المنافرات في الأدب الجاهلي

إعداد

فاطمة حمد ناصر حمد الكنيبي المزروعي

المشرف

الدكتور حمدي منصور

قدمت هذه الدراسة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في

اللغة العربية وآدابها

بكلية الدراسات العليا

في الجامعة الأردنية

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع ..... التاريخ ٢٠٠١/٤/٢٩

نيسان/ ٢٠٠١ م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ ٢٣/ ٤/٢٠٠١م

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
الدكتور حمدي منصور	"مشرفًا "	.....
الأستاذ الدكتور هاشم ياغي	" عضوًا "	.....
الأستاذ الدكتور عفيف عبد الرحمن	"عضوًا "	.....
الدكتور ياسين عايش	" عضوًا "	.....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهداء

ألى أمي الحبيبة ... نهر الحب الصّامت، ويد الرحمة والدعاء المبارك.

إلى أبي الحبيب ... عنوان الحب، والعزيمة الصّلبة ، والابتسامة العذبة.

إلى أخي الحبيب " عبد الله " الذي قلّدني أطواقا من الجميل لا أنساها ... وأقول شكرا.

إلى " أبي عبدالله "... معا نرسم الواقع، ونلوّن المستقبل، معا نسير لغدٍ أفضل، وبك تغدو الدنيا أجمل وأكمل.

إلى قرة عيني " عبد الله " ... معك أعيش الماضي والآتي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

أسطر شكري العميق للدكتور حمدي منصور، الذي حرص على متابعة عملي في الرسالة، وقراءة فصولها بعناية وحرص، ولقد سعدتُ بملاحظاته التي أثرت الرسالة، وبنصائحه التي جعلتني أكثر دقة عند الكتابة، داعية أن يجزيه الله – سبحانه وتعالى – عني كلّ خير.

وأشكر الأساتذة العلماء الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة: الأستاذ الدكتور هاشم ياغي والأستاذ الدكتور عفيف عبد الرحمن والدكتور ياسين عايش لتفضلهم بقراءة هذه الرسالة وتقويمها وإثرائها بملاحظاتهم وتوجيهاتهم.

وجزيل الشكر للملحقية الثقافية بسفارة دولة الإمارات العربية المتحدة، وعلى رأسهم الأستاذ زهدي الخطيب المستشار الثقافي، فهو نعم الوالد العطوف، الذي يتفقد أبناءه، ويرعاهم بعين المحبة، ويغمرهم بعطفه، ويذلل لهم الصعاب، كما أشكر المشرف الأكاديمي الأستاذ سمير حمدان، لدوره الفعال في متابعة شؤوننا التعليمية . وأشكر الأستاذ أحمد محمد عبيد الذي أرشدني إلى بعض نصوص المنافرات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتويات

قرار لجنة المناقشة	**ب**
الإهداء	**ج**
شكر وتقدير	**د**
المحتويات	**هـ –ز**
ملخص باللغة العربية	**ح–ط**
المقدمة	**ي–ل**
التمهيد: نشأة المصطلح وتطوره	**١ – ٢٩**
أولا: المنافرة لغة واصطلاحا	٢ – ٧
ثانيا: مترادفات المنافرة وتطور دلالتها بعد العصر الجاهلي	٧– ١١
أ– مترادفات المنافرة	٧ – ١١
ب– تطور دلالة لفظة المنافرات بعد العصر الجاهلي	٩– ١١
ثالثا: بين المنافرة والمصطلحات الأخرى	١١–١٨
أ– بين المنافرة والمفاخرة	١١–١٥
ب–بين المنافرة والمناقرة	١٥–١٥
ج– بين المنافرة والمعاقرة	١٦–١٦
د– بين المنافرة والمباهلة	١٧–١٧
هـ– بين المنافرة والمساجلة	١٧–١٨
رابعا: موقف الإسلام من المنافرات	١٨–٢٢
خامسا: المنافرات عند العلماء والباحثين	٢٣– ٢٩
أ– كتب المنافرات	٢٣–٢٤
ب– الاتجاهات العامة في دراسة المنافرات في العصر الحديث	٢٤–٢٩
الفصل الأول: المنافرة: أسبابها وعناصرها ومقوماتها	**٣٠ – ٨٦**
أولا: عوامل المنافرة	٣١–٤٣
أ– عوامل المنافرة	٣١–٣٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- أسباب المنافرة	٣٥-٤٣
ثانيا: عناصر المنافرة	٤٣-٨٦
أ- الحكّام	٤٣-٦٣
ب-طقوس المنافرة/ التحكيم	٦٣-٦٦
ج- الأحكام	٦٦-٧٢
د- الحكم ووسائل تنفيذه	٧٣-٧٦
هـ - زمن المنافرة	٧٦-٧٨
و- مكان المنافرة	٧٨-٨٢
ز- النُّفورة	٨٢-٨٤
ح- الرهان	٨٤-٨٦
الفصل الثاني: أنواع المنافرات ومجالاتها وآثارها	**٨٧ – ١٣٢**
أولا: أنواع المنافرات ومجالاتها	٨٨ – ١٠٩
أ- طبقات أنساب العرب	٨٨-٩٠
ب- أنواع المنافرات	٩٠-٩٤
ج- مجالات المنافرة	٩٤-١٠٤
د- صفات المُنافر	١٠٤-١٠٥
هـ- موقف المتنافريْن بعد التنفير	١٠٥-١٠٩
ثانيا: آثار المنافرات	١١٠-١١٤
أ- داحس والغبراء	١١٠-١١٣
ب- حرب الفِجَار	١١٣-١١٤
ثالثا: صورة المجتمع الجاهلي من خلال المنافرات	١١٥-١٢٣
أ- الحياة الدينية	١١٥-١١٨
ب- الحياة السياسية	١١٨-١٢٠
ج- الحياة الاجتماعية	١٢١-١٢٣
رابعا: الأخبار الشبيهة بالمنافرات	١٢٣-١٣٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث: آثار المنافرات في الأدب الجاهلي **١٣٣ - ١٩٣**

أولا: في الشعر ١٣٤-١٧٦

أ- المقطعات ١٣٤-١٥٤

ب- القصائد ١٥٥-١٧٦

ثانيا: في النثر ١٧٧-١٩٣

أ- المضمون ١٧٧-١٨٢

ب- اللغة ١٨٢-١٩٢

ج- التصوير ١٩٢-١٩٣

الخاتمة **١٩٤-١٩٦**

قائمة المصادر والمراجع **١٩٧-٢٠٤**

الملاحق **٢٠٥-٢٦٦**

أولا: أخبار المنافرات وحكامها وما جاء فيها من شعر ٢٠٦-٢٥٥

ثانيا: شعر المنافرات الذي ذكر في الدواوين الشعرية ٢٥٦-٢٦٣

ثالثا: خطب المنافرات ٢٦٤-٢٦٦

ملخص باللغة الإنجليزية (Abstract) **٢٦٧- ٢٦٨**

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخص

المنافرات في الأدب الجاهلي

إعداد

فاطمة حمد ناصر حمد الكنيبي المزروعي

إشراف

الدكتور حمدي منصور

تحاول هذه الدراسة أن ترصد وتحلل المنافرات في الأدب الجاهلي. والمنافرات هي وسيلة للفصل بين المتخاصميْن اللذيْن يلجآن إلى الحكّام من الحُكَماء والكهّان للفصل بينهما: حول أيهما أعزّ نسبا، وأفضل قوماوقد أسهم الشعراء والخطباء في المنافرات لنصرة المُتَنَافِرَيْن شِعْرًا ونَثْرًا، علاوة على أحكام الكُهَّان التي جاءت فيها العبارات مَسْجُوعَة.

جاءت هذه الدراسة في تمهيد وثلاثة فصول، أما التمهيد فتضمّن التعريف بـــ "المُنَافَرَة" لغة وإصطلاحا، وموقف الإسلام منها، وتطوّرها في العصر الإسلامي والأموي، وبيان الفرق بين المُنَافَرَة وبين ما يقاربها من مصطلحات مثل:المُفَاخَرَة والمُنَاقَرَة والمُبَاهَلَة والمُعَاقَرَة.

أما الفصل الأول فدرست فيه عوامل المنافرة الاقتصادية والاجتماعية، وهي عوامل هيّأت أسباب المنافرات، ثم انتقلت إلى عناصر المنافرة، وهي: المتنافران والحَكَم والنُّفورَة والرِّهان والزَّمان والمكان.

وتناول الفصل الثاني أنواع المنافرات بالنسبة إلى المتنافرين، وهي: منافرة قَبَلِيّة وشخصية، ومنافرة شخصيّة تتحول إلى قَبَلِيّة، مع التركيز على مجالات المنافرة، وأهمّ هذه المجالات هي: النسب الكريم العريق والخصال الحميدة خاصة الكرم والشجاعة، ثم تطرقت الدراسة إلى بعض الأخبار الشبيهة بالمنافرات، متناولة أوجه تشابهها مع المنافرات، وأوجه الاختلاف التي تحول دون وضعها مع المنافرات وأخبارها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الفصل الثالث والأخير فقد تناول آثار المنافرات في الأدب، وتمّ تقسيم الفصل إلى: شعر ونثر، وأفردت في النهاية ملاحق بأخبار المنافرات ونصوصها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمة

يتمثل مسعى هذه الدراسة في تناول المنافرات في الأدب الجاهلي بغية فهمها وتبيان أسبابها ونشأتها وعناصرها ومقوماتها، وأثرها في الأدب الجاهلي، والدور الذي قام به المشاركون فيها من حكماء وكهان وشعراء وخطباء، وطبيعة الحُكْم في المنافرات وكيفية التحكيم، وتوضح هذه الدراسة القيم التي تفاضل فيها العرب فيما بينهم، وكيف تحولت بعض الصراعات الفردية بين الأشخاص إلى صراع بين القبائل أو في القبيلة ذاتها، وما كان يحدث في الأسواق والمواسم من منافرات.

تهدف هذه الدراسة إلىرصد ماجاء في المنافرات من مُقطّعات وقصائد، مع رصد ما جاء من نثر، وخاصة سجع الكُهان، وما قيل من خطب وأمثال مع دراسة السمات الفنية في شعر المنافرات ونثره مع تركيز الاهتمام على منافرة عَلْقمة بن عُلاثة وعامر بن الطُفيل؛ نظراً لكثرة الأخبار التي وصلتنا عنهاولشهرتها؛ ولعلّ ذلك يعود إلى مشاركة شعراء جاهليين بارزين فيها مثل: الأعشى ولبيد ابن ربيعة والحطيئة.

وما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع هو قناعتي بأهمية المنافرات في العصر الجاهلي، وأثرها في الأدب، وقلّة ما كُتب عنها، مما يعني أن الموضوع بحاجة إلى دراسة متأنية فاحصة، تجمع فيها نصوص المنافرات المتناثرة بين كتب الأدب والتاريخ وكتب التراجم، وتحللها لاستخلاص مفهومها وخصائص أدب المنافرات.

والدراسات عن المنافرات قليلة، فلم أظفر إلا بفصلين وكتاب صغير جداً، أما الفصل الأول فهو لمحمد محمد حسين في كتابه الموسوم بـــ" الهجاء والهجاءون في العصر الجاهلي"، حيث تحدث فيه باختصار عن المنافرة وعناصرها، دون أن يتعمق في تحليل أخبار المنافرات؛ لأن كتابه عن الهجاء فلم يتحدث عن المنافرات إلا فيما يخدم غرضه، وبفصل آخر هو في كتاب" أدب ما قبل الإسلام" لمحمد عثمان علي ، وركّز الاهتمام فيه على منافرة عَلْقمة بن عُلاثَة وعامر بن الطُفَيْل، وما جاء فيها من نثر، وسماته الفنية. ثمة كتاب صغير بعنوان" منافرة عامر بن الطُفيل وعَلْقمة بن عُلاثة العامريّن، وأثرها في الشعر الجاهلي" ومؤلفه هو حمد الزايدي، واهتم في كتابه بإعطاء فكرة موجزة عن المنافرة، واهتم كثيراً بالترجمة للمتنافريْن والشعراء، مع شرح ماجاء من شعر في هذه المنافرة، ولم يتطرق لمفهوم المنافرة لدى الشعراء، ولأثرها في لغة الشّعر وأساليبه، وما تميز به عن أغراض الشّعر الأخرى.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان أبرز مصادر هذه الدراسة:

١. كتاب الديباج و كتاب شرح نقائض جرير والفرزدق لأبي عبيدة، وذكر في الكتاب الأول أهم المتنافرين في الجاهلية، والحُكّام العُدول والمرتشين، وفي كتابه الآخر روى منافرة جرير بن عبدالله البَجَلي وخالد بن أرطاة الكلبي.
٢. كتاب المنمق في أخبار قريش لمحمد بن حبيب. واعتمدت عليه؛ لأنه جمع منافرات قريش وذكر حُكّامها، مما جعل أكثر المصادر المتأخرة تنقل عنه، وخاصة منافرات بني هاشم وعبدشمس.
٣. كتاب الأغاني للأصفهاني، وقد اعتمدت عليه في بعض المنافرات وخاصة منافرة عَلْقمة بن عُلاثَة وعامر بن الطُّفَيْل، وما جاء فيها من شعر ونثر، حيث اهتم بنقل الروايات جميعها، علاوة على المنافرة التي كادت أن تحدث بين حاتم الطائي وابن عمّه، ولنقله بعض أخبار المنافرات الأخرى.
٤. كتاب مجمع الأمثال للميداني، حيث نقل قصص المنافرات التي جاء فيها أمثال على ألسنة المتنافرَيْن أو الحَكَم أو المناصرين للمُتَنَافِر.
٥. دواوين الشُّعراء وهم: الأعشى ميمون بن قيس، ولبيد بن ربيعة، والحطيئة، وحاتم الطائي.

والحقّ أن الباحث في المنافرات يواجه مشكلة تكمن في ضياع كتب المنافرات، مما جعل جمع ما بقي منها الكتب المتفرقة أمراً غير يسير، بيد أنني حاولت جمعها من مظانها، وبعض هذه المنافرات وصل منها الخطبة أوحُكْم الكاهن فقط، وبهذا لم تصلنا أخبار المنافرات جميعها ولا ظروف بعضها.

وقد تناولت الدراسة المنافرات في تمهيد وثلاثة فصول، ففي التمهيد عرّفت المنافرة لغة واصطلاحاً، مع التفريق بينها وبين المُفَاخَرَة والمُنَاقَرَة والمُعَاقَرَة والمُبَاهَلَة مع توضيح موقف الإسلام من المنافرات. أما الفصل الأول فركّزتُ الاهتمام فيه على عوامل المنافرة وأسبابها، وعناصرها، و بينت دور الحُكّام من الحُكَمَاء والكُهّان، والثُّفُورة، والرِّهان، مع تحديد الزمان والمكان، ودور سوق عُكاظ لأهميته الخاصة.

أما الفصل الثاني فأُفردته للحديث عن أنواع المنافرات بالنسبة إلى المتنافرين وهي: منافرة شخصية ومنافرة قبلية ومنافرة شخصية تحولت إلى قبلية، مع التطرق لمجالات المنافرة، وأهمها النسب العريق مع تحلي المنافر ببعض الخصال وأهمها الكرم والشجاعة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والفصل الثالث تناول أثر المنافرات في الأدب الجاهلي، وما جاء فيها من شعر ونثر، وخاصة منافرة عَلْقمة بن عُلاثة وعامر بن الطُّفيل؛ لكثرة ماقيل فيها من رجز وقصيد، ومن نثر تضمن حوار المتنافريْن، مع دراسة الآثار النثرية من حيث المضمون واللغة والتصويروالموسيقى.

أما الخاتمة فتضمنت نتائج الدراسة و الخصائص الفنية العامة لأثر المنافرات في الأدب الجاهلي، ووضعت في النهاية ملاحق بنصوص المنافرات التي عثرتُ عليها، ووضعتُ الملاحق حتى يسهل على القارئ العودة إلى النصوص خاصة وأنها لم تجمع، فأخبار المنافرات متناثرة في كتب شتى. وقد تضمنت الملاحق أخبار المنافرات التي رُتبت حسب كثرة الروايات مثل منافرات قريش ومنافرة عَلْقمة بن عُلاثة وعامر بن الطُّفيل مع مراعاة ترتيب المصادر زمنياً، ثم ذُكرت الأشعار التي جاءت في دواوين الشعراء الذين شاركوا في المنافرات، وختمت الملاحق بالخطب، ولابد أن أشير هنا إلى أن قلة نصوص المنافرات وأخبارها جعلتني أكرر بعض النصوص في مواضع قليلة من الدراسة في سياق مختلف ليخدم فكرة جديدة، فالتكرار كان في الشاهد وليس في الفكرة.

هذا ما قدّمت متمنية أن يبارك الله – عز وجل – لنا، وأعتذر عن هفوات القلم، وأسأل الله التوفيق والسداد، عليه توكلت وإليه أنيب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التمهيد:

نشأة المصطلح وتطوره

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التمهيد: نشأة المصطلح وتطوره

تعد المنافرات صورة من صور التباهي بالأحساب والأنساب، ووسيلة للفصل بين المتنازعين، وقد يتحول فيها التنازع بين شخصين إلى صراع بين القبائل أو في القبيلة نفسها، وهي وسيلة لإظهارالحق وإقامة العدل، وفي هذا يقول زهير بن أبي سلمى:

وإنّ الحقَّ مَقْطَعُهُ ثَلاثٌ

يَمينٌ أو نِفَارٌ أوجِلاءُ[١]

ونتوقف فيما يأتي عند المنافرة لغة واصطلاحا، وتطور هذه اللفظة، والفرق بينها وبين المفاخرة، والمعاقرة، والمساجلة، والمباهلة، و المناقرة.

أولا: المنافرة لغة واصطلاحا:

إن الاشتقاق اللغوي للمنافرة مأخوذ من مادة نفر، ويدل المعنى اللغوي على التفرق والتباعد، ونَفَرَتْ الدابة نَفْراً ونَفَرَاناً أي شَرَدَتْ " نَفَرَ الجِلْدُ: وَرِمَ وتجافى عن اللحم، والنَّفَرُ دون العشرة من الرجال والجمع أَنْفَار، وفي حديث أبي ذر: لو كان ههنا أحد من أَنْفَارِنا أي قومنا. والنَّفِيرُ: الجماعة من الناس وجمعها أَنْفار. واسْتَنْفَرَ الإمام الناسَ لجهاد العدو إذا حثهم على النَّفِيرِ ودعاهم إليه،والاسْتِنْفارُ: الاسْتِنْجادُ و الاسْتِنْصارُ"[٢].

وفي القـــــرآن الكريم "فَمَالَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضين، كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنفِرَةٌ، فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ "[٣]، أي أن الله سبحانه وتعالى يشبه المعرضين عن التذكرة بالحُمُر الوحشية الشديدة الشرود والنفران من الأسد، وهذا يؤكد معنى الشرود والتباعد. جـــاء في شرح مادة " نفر ": " إن منكم مُنَفِّرِينَ أي من يلقى الناس بالغلظة والشدة، فَيُنَفِّرونَ من الإسلام والدين، والمنافرة المفاخرة والمحاكمة...وفيه إن الله يُبْغض العِفْرِيَّةَ النِّفْرِيَّةَ أي المنكر الخبيث، وقيل النِّفْرِيَّةُ و النِّفْرِيتُ إ تْـــــباع للعِفْرِيَّةِ والعِفْرِيتِ"[٤]. إذاً المعنى اللغوي للكلمة يدور حول التفرق والتباعد والشرود.

---

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى: ١٢.

(٢) ابن منظور- لسان العرب، مادة " نفر"، الزبيدي،تاج العروس، مادة نفر.

(٣) المدثر،من الآية ٤٩ إلى ٥١.

(٤) ابن الأثير - النهاية في غريب الأثر،٧٩-٨٠:٥. العفرية: الداهية، وأنثى العفريت. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " عفر ".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما المعنى المجازي فأسوق هنا النصوص متبوعة بالتحليل،" ومن المجاز: بي نُفْرَةٌ مِنْ هذا الأمْر، وأنا منه نافِرٌ إذا انقبضت منه، ولم ترض به. ونَفَرَ فلان من صحبة فلان، ونَفَرَتْ المرأة من زوجها وهـــــــي فَرِقَةٌ منْهُ نافِرَةٌ"[١]،والتباعدوالتحافي هنا نفسي نتيجة عدم الارتياح والشعور بالانقباض، مما يؤدي إلى نفور الناس من بعض الاشخاص، ويذكرنا هذا بالحديث النبوي: " قال الليث: عن يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف"[٢].

ومن المجاز أيضاً " نافرته إلى الحكم فنفّرني عليه: حاكمته فغلّبني عليه، وأصل المنافرة من قولهم أيُّنا أعز نفراً. والنُفْرَةُ أي الحكومة"[٣].

وهنا نلاحظ أن معنى المنافرة المجازي هو المحاكمة والقضاء لأحد الطرفين، والحكومة ركن أساسي في المنافرة ذاتها، وفي تمييزها عن غيرها من المفاخرة والمعاقرة وغيرهما، وهذا ما سأركز الاهتمام عليه عند تبيان الفروقات بغية تحديد المنافرة تحديداً واضحاً، وجعل المصطلح جامعاً مانعاً.

مما سبق نجد أن معنى المنافرة لغة التفرق والتباعد سواء أكان مادياً أم نفسياً، والمحاكمة للقضاء بين طرفين أو قبيلتين فيما يختلفان فيه، فأما المنافرة اصطلاحاً فهي " المحاكمة في الحسب، وقال أبوعبيدة: المنافرة أن يفتخر الرجلان كل واحد منهما على الآخر،ثم يُحكّما بينهما رجلاً كفعل عَلقمة بن عُلاثة[٤] وعامر بن الطُفيل[٥] حين تنافرا إلى هرم بن قطبة، وفيهما يقول الأعشى:

قَدْ قُلْتُ قَوْلاً فَقَضَى بَيْنَكُمْ

وَاعْتَرَفَ المَنْفُورُ لِلنَّافِرِ[٦]

والمَنْفور: المغلوب، والنَافِر: الغالب.وقد نَافَرَهُ فنَفَرَهُ يَنْفُرهُ نَفْراً إذا غلبه. ونَفَّرَ الحاكم أحدهما على صاحبه وأَنْفَرَهُ تنفيرا: أي قضى عليه بالغلْبَةِ وكذلك أنْفَره. ونافر الرجل مُنافرة ونِفارا: حاكمه. والنُفَّارَةُ: ما أخذ النافِر من المَنْفورِ، وهو الغالب، وقيل ما أخذه الحاكم. قال ابن الأعرابي النافِر القامِرُ[٧].

---

(١) الزمخشري - أساس البلاغة،٢:٤٦٤

(٢) صحيح البخاري - رقم الحديث ٣٣٣٦، ٦: ٤٤٦.

(٣) ابن منظور - لسان العرب، مادة " نفر " .

(٤)هو عَلْقَمة بن عُلاثَة بن عَوْف العامِري من بني الأحْوص، من أشراف بني عامر في الجاهلية، أسلم وولاّه عمر بن الخطاب حوران. انظر: محمد بن حبيب – المحبر: ١٣٥؛ ابن حجر العسقلاني – الإصابة في تميز الصحابة، ٤: ٤٥٥.

(٥) هو أبو علي عامر بن الطفيل بن مالك العامري، وهو من فرسان العرب وعقمائهم، وهو ابن عمّ الشاعر لبيد بن ربيعة، أدرك عامر الإسلام لكنّه لم يسلم، وقرّر قتل النبي – صلى الله عليه وسلم – مع أربد بن قيس أخي ليد لأمّه، فدعا الرسول-صلّى الله عليه وسلّم- عليهما بالهلاك فهلك عامر بالغُدّة في بيت امرأة سلولية،وأصابت أربد صاعقة ومات، فتحققت دعوة الرسول – صلى الله عليه وسلم – عليه. انظر: محمد بن حبيب – مصدر سابق: ١٣٥؛ والآمدي – المؤتلف والمختلف: ٢٨.

(٦) انظر: ديوان الأعشى: ١٧٩ .

(٧) ابن منظور – مصدر سابق،مادة نفر ، الزبيدي – تاج العروس،مادة نفر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نستخلص من النص السابق أنّ المنافرة ضرب من المفاخرة تؤدي إلى التحاكم، والنص الذي يبين أن أصل المنافرة مأخوذ من قولهم (أينا أعز نفراً؟) أي أن أساسها التفاخر بالأنساب والأحساب، وسأقف فيما بعد على الفرق بين المنافرة والمفاخرة بشيء من التفصيل.

أما أركان المنافرة فهي المتنافران والحكم والنفورة، وهي أساسية، وتختل المنافرة بفقد أحد أركانها، فتخرج إلى المفاخرة أو المباهلة أو غيرهما.وسيأتي الحديث عن هذه الأركان في الفصل الأول.

جاء في البيان والتبيين للجاحظ أن "نُفَيْل بن عبد العُزّى تنافر إليه عبد المطلب وحَرْب بن أمية فنفّر عبد المطلب.أي حكم لعبد المطلب.والمنافرة المحاكمة"[١].

ونص الجاحظ السابق تناول معنى من المعاني اللغوية للمنافرة وهوالمحاكمة، لاالمعنى الاصطلاحي وهو المحاكمة في الحسب والنسب، لكننا نجد المعنى الاصطلاحي في نص ابن نباتة المصري حيث قال:" معنى المنافرة المحاكمة في الحسب، والفَضْل بين الرجلين، يقال نافرهُ إذا حاكمه، ونَفَرهُ إذا غلبه"[٢]، ويؤكد هذا نص القلقشندي فقد عرف المنافرة بأنها " المحاكمة في الحسب "[٣].

ونذكر هنا تعليق السهيلي على ابن هشام في السيرة النبوية حيث يقول: " يُنافر: أي يحاكم.قال قاسم بن ثابت:لفظ المنافرة مأخوذ من النَفَر، وكانوا إذا تنازع الرجلان،وادعى كل واحد منهم أنه أعز نفراً من صاحبه تحاكموا إلى العلاّمة فمن فُضِّل منهما قيل: نفّرهُ عليه، أي فضّل نَفَرهُ على نَفَرِ الآخر فمن هنا أُخذت المُنافرة" [٤].

ونلاحظ هنا أنه استخدم كلمة العلاّمة بدلا من المُنفّر أو الحاكم بينهما سواء أكان حكيماً أو كاهناً، وتعني كلمة العلامة الشخص المُبرز في العلم،ولاشك أن العلم المطلوب هنا هو العلم بالأنساب و الأحساب، ومعرفة مناقب الناس ومثالبهم.

ووقف الألوسي على المنافرة معرِّفاً هذا المصطلح بقوله "كانت العرب في الجاهلية إذا تنازع الرجلان منهم الشرف تنافرا إلى حكمائهم... ونافر معناه حاكم في النسب، وسمّيت منافرة لأنهم

---

(١) الجاحظ- البيان والتبيين،١:٣٠٤.

(٢) ابن نباتة المصري - سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون: ١٦٢.

(٣) القلقشندي -صبح الأعشى في صناعة الإنشا،١:٤٧٣.

(٤) السهيلي- الروض الأنف، ١:١٦٢،١٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كانوا يقولون في المفاخرة أينا أعز نَفَراً"[١]. وهذا النص يؤكد أن المنافرة هي مفاخرة في الحسب والشرف تقتضي وجود تحكيم، وبهذا تكون المفاخرة عامة، والمنافرة خاصة بالفخر بالنسب فقط علاوة على التحكيم الذي يفصل بين المتنافرين.

ونتوقف على مصطلح المُنَافَرَةِ في معجم المصطلحات العربية " والمنافرة هي الاحتكام إلى الكهان في الخصومات، والتكاثر بالآباء و الأحساب، ومثالها منافرة هاشم بن عبد مناف وأمية بن عبد شمس إلى الكاهن الخزاعي، وقد تطلق المنافرة على المفاخرة بالشعر وعرضه على المحكمين. ومثال ذلك في الجاهلية الـزّبرقان بن بدر، وعمرو بن الأَهْتَم، وعبدة بن الطيب، والمُخَبَّل السَّعْدِي، وكان الحـكم بينهما ربيعة بن حُذار الأسدي... وكانوا يستخدمون السجع في المنافرات والمفاخرات"[٢].

إن مفهوم المنافرة يتسع عند صاحبي المعجم المذكور- وهما مجدي وهبة وكامل المهندس- ليعني التحكيم في النسب والشعر، و لا نجد أحداً من القدماء و لا من المحدثين من يقول بما ذهب إليه صاحبا معجم المصطلحات العربية من توسع، ولعله اجتهاد منهما فلم يذكرا المصادر التي اعتمادا عليها، و لا أجد مبرراً لذلك سوى ما يحدث من تحكيم عند المفاخرة بالشعر، لكن المنافرة أساسها تفاخر بالأنساب والأحساب يؤدي بالمتنافرين إلى التحكيم على أساس عراقة النسب وكرم المحتد وهو المعنى الاصطلاحي، أما التحكيم في الشعر فيعتمد على الجودة الفنية وحسن الصنعة، ومجال دراسته هو النقد الأدبي، وبهذا يكون معنى المنافرة التي عناها صاحبا المعجم هو المعنى اللغوي بما لا يتفق مع هدف المعجم الذي يهتم بدراسة المصطلحات، وإذا أخذنا برأيهما سيؤدي بنا ذلك إلى إدخال نصوص كثيرة في مجال المنافرات بيد أنها في الأصل تدرج ضمن المفاخرات بكل شيء.

وإذا سلّمنا بالرأي السابق فإن المفاخرات في الشعر ستصبح من المنافرات، ونسوق مثالا للمفاخرات في الشعر ، ورد في قصة حكومة أم جُنْدُب بين امرئ القيس وعَلْقَمة الفحْل، " قال أبو عبيدة كانت تحت امرئ القيس امرأة من طيىء تزوجها حين جاور فيهم، فنزل به علقمة الفحل بن عَبَدة التميمي، فقال كل واحد منهما لصاحبه: أنا أشعر منك، فتحاكما إليها، فأنشد امرؤ القيس قوله:

خليليَّ مُرَّا بي على أمِّ جُنْدُبِ

---

(١) الألوسي - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: ٣١١.

(٢) مجدي وهبة وكامل المهندس - معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: ٣١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إليك من المدينة لتحكم بيننا في صوتين صنعناهما، فقال: لِيُغَنِّ كل واحد منكما صوته، فقال لمعبد: أحسنت على سوء اختيارك للشعر!... ثم قال لمالك: أحسنت واللهِ ما شئت"[١].

إن هذه المفاخرة في الغناء تضمنت تحكيما، وهذا يجعلنا نضعها في المنافرات حسب المعنى اللغوي لا الاصطلاحي للمنافرة المتعارف عليه عند القدماء والمحدثين.

خلاصة القول إن المنافرة حوار وجدال بين شخصين جوهره التفاخر بالنسب والحسب، إضافة إلى الخصال الحميدة مثل الكرم والشجاعة،فكل من المتنافرين يرى أنه أعز وأشرف من الآخر، ويفصل بينهما في ذلك الحكام والكهان،ويتدخل الشعراء والخطباء لنصرة المتنافرين. ويختلف قرار الحكام فقد يفضل الحكَم أحد المتنافرين على الآخر، أو التسوية بينهما، أو تحويلهما لحكم آخر، ولعل ما يؤكد ما نذهب إليه–وهو أن المنافرة نوع خاص من المفاخرة بالحسب والنسب – ما ورد في تعريفها فهي" المحاكمة في المفاخرة"[٢]، و" المحاكمة في الحسب والنسب"[٣].

ثانيا: مترادفات المنافرة وتطور دلالتها بعد العصر الجاهلي

أ– مترادفات المنافرة

وهناك مترادفات للمنافرة منها **المُخَايَرَة**، والكلمة مأخوذة من المادة اللغوية خير، والخير ضد الشّرّ ، ويقال خارَهُ على صاحبه خَيْراً وخِيَرة وخِيَّرة: فضَّله، والخَيرة من النساء الشريفة الحسب[٤].

وقد وردت كلمة المُخايرة في منافرة أُنَيْس، وذكر أبو ذرّ " أن أخاه أُنَيْساً نافر رجلا عن صَرمة[٥] له وعن مثلها فخُيِّر أُنَيْس فأخذ الصرمة، معنى خُيِّر أي نُفِّر، قال ابن الأثير: أي فُضِّل وغُلِّب. ونافرتُهُ فنَفرتُهُ أيّ غلبته، وفاخرتُهُ ففخرتُهُ بمعنى واحد، وناجبتُهُ فنجبتُهُ"[٦].

---

(١) انظر: الأصفهاني – الأغاني ، ١: ٢٧٣.

(٢) محمد عبد الرؤوف المناوي – التوقيف على مهمات التعاريف ، ١: ٧٠٥. لمزيد من التفصيل انظر: ابن الأثير – النهاية في غريب الحديث، ٥: ٨٠.

(٣) عبد القادر البغدادي– خزانة الأدب، ٣:٣٩٨.

(٤) ابن منظور – لسان العرب، ٣: ٢٥٦.

(٥) الصَرمة: جزء من النخلة أو الشجرة. انظر: ابن منظور – مصدر سابق، مادة " صرم " .

(٦) المصدر نفسه، مادة " خير ".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من هذا النص يتضح أن هناك مترادفات للمنافرة وهي: **المُخايرة والمُفاخرة والنَّجابة**، حيث ذكر أبو ذرّ لفظة نافر ولكنه لم يقل نفّر بل قال خيِّر، وهي تدل على تفضيل أنيس على من نافره، علاوة على أن هذه اللفظة تعني الخيِّر أي شريف النسب والحسب كما مرّ بنا سابقاً. وهنا جعل ابن الأثير المنافرة والمفاخرة مترادفتين، وكذلك معظم اللغويين يعدون المفاخرة والمنافرة من المترادفات، ولكن هناك فرق أساسي بين المفاخرة والمنافرة التي لابد أن تؤدي إلى تحكيم، وإلا ستظلّ مفاخرة، وسيأتي الحديث عن الفرق بينهما في موضعه من هذا التمهيد. ونجد هنا مترادفات أخرى مثل ناجبتَهُ فنجبته، والنَّجيب هو الكريم ذو الحسب، و انتجب فلان فلاناً إذا اختاره واصطفاه على غيره.

والمُشَايصة من مترادفات المنافرة، والشَيص والشَيصاء رديء التمر، وأشاص النخل إذا فســـــد. وجاء في نوادر الأعراب قولهم :" شَيَّص فلان الناس إذا عذبهم بالأذى، وبينهم مُشايصة أي منافرة"[١]، ولا ريب أن في المنافرة أذى نفسياً واجتماعياً حيث يعرض الإنسان نفسه وقبيلته لمخاطرة التنافر، إضافة إلى الرهائن الذين يؤخذون من الأبناء وغيرهم ضماناً للوفاء بما اتفق عليه المتنافران وغير ذلك من الأذى.وترد لفظة المناداة مرادفة للمفاخرة والمنافرة حيث يُقال: "فلان ينادي فلاناً أي يُفاخره، ومنه سُمِّيت دار الندوة، وقيل للمنافرة مناداة،كما قيل لها المفاخرة، قال الأعشى:

فيَّلو يُنادي الشمسَ ألقتْ قِناعَه أو القَمرَ السَّاري لألقى القَلائدَا[٢]

أي لو فاخر الشمس لذلّتْ له، وقناع الشمس حُسنها"[٣].

ونقف عند مترادفات أخرى مثل **التنابل**، وهي مأخوذة من المادة اللغوية نبل، النُّبل الذكاء والنجابة والإجادة في لعمل، وقد نَبُل نُبْلاً و نَبالةً و تَنَبَّل وهو نَبِيلٌ و نَبْل والأنثى نَبْلة والجمع نِبال ونَبَل و نَبُلة، ونُبْلة كل شيء خِياره وأفضل ما فيه[٤]، ويتفق في هذا المعنى مع المخايرة، " قال أبو زيد: تنابل فلان وفلان فَنَبَلَهُ فلان إذا تنافرا أيهما أنبل،من النُّبل، وأيهما أحذق عملا. و نابلني فلان فَنَبَلْتُهُ أي كنتُ أجود نَبْلاً منه "[٥].

وردت لفظة **المماجدة** مرادفة للمنافرة، وذلك في المنافرة التي كادت تقع في الحيرة، بين حاتم الطائي وسعد بن حارثة بن لأم، وهو من أصهار النعمان بن المنذر، بسبب خلاف بينهما، حيث" قالوا لحاتم: بيننا وبينك سوق الحيرة **فنماجدك**"[٦]. والمجد في اللغة هــو الشـــــرف و الســـؤدد،

---

(١) ابن منظور – لسان العرب، مادة " شيص " .

(٢) لم أجد البيت في ديوان الأعشى.

(٣) ابن منظور – مصدر سابق، مادة " ندى " .

(٤) المصدر نفســه، مادة نبل.

(٥) المصدر نفســه، المادة نفسها.

(٦) الأصفهاني – الأغاني، ١٧: ٣٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقيل المجد بالآباء خاصة، و ماجده مجاداً أي عارضه بالمجد، و ماجدتَهُ فمَجدتَهُ أي غلبْتَهُ بالمجد[١]، وهذا هو جوهر المنافرة الذي يقوم على التفاخر بالأنساب، ومن تحكيم كاد يحدث لولا حثّ النعمان بن المنذر سعد بن حارثة على الصلح، فلم يتم اللقاء في الحيرة، ومما يؤكد أن أساس هذه المماجدة هو المفاخرة بالأحساب قول حاتم الطائي لابن عمه" يابن عم، أعني على مخايلتي. قال: والمخايلة المفاخرة"[٢]، والمفاخرة عند معظم اللغويين مرادفة للمنافرة على الرغم من وجود فروق بينهما، أما المخايلة فمأخوذة من مادة خيل، وخايلت فلاناً باريتَهُ وفعلت فعله، والتخايل التفاخر والتباري[٣].

وترد لفظة الحسب صريحة مما لا يدع مجالاً للشك بمرادفة المماجدة للمنافرة، حيث ذهب حاتم الطائي لابن عمه ليحثه على مساعدته في المنافرة قائلاً "خاطرتُ على حَسَبك وحَسَبي "[٤]، إذاً فالمماجدة تفاخر في الأحساب والأنساب يقتضي تحكيما، لذا فهي مرادفة للمنافرة.

ونلاحظ مما سبق أننا لانجد فروقاً واضحة بين هذه المترادفات خلا المفاخرة التي عدّت من مترادفات المنافرة عند معظم اللغويين. وهذه المترادفات تؤكد أن جوهر المنافرات هو التباهي بالأحساب والأنساب مثل المماجدة والتنابل والمخايرة، وتدل أيضا على التباري والتسابق بين طرفين لتفضيل أحدهما على الآخر من خلال الفصل والقضاء بينهما.

ب_ تطور دلالة لفظة "المنافرات" بعد العصر الجاهلي:

يندر ورود لفظ المنافرات – بالمعنى الاصطلاحي – خاصة في نصوص التراث العربي بعد العصر الجاهلي، ومنه ما جاء في شعر حسان بن ثابت، وهو شاعر مخضرم، إذ وردت لفظة نفر ومشتقاتها في مواضع متفرقة من ديوانه، وسنتحدث عن ذلك في موقف الإسلام من المنافرات، وهناك منافرة جرت بين جَوّاس بن قُطْبَة العُذْري وجميل بن عبد الله المعروف بجميل بثينة[٥].

وأوردنا من قبل خبر تحاكم المغنيين: مالك ومَعْبَد إلى ابن سُرَيْج، فقد استخدمت لفظة المنافرة استخداماً لغوياً لا اصطلاحياً، وهو المحاكمة والقضاء بين المتنازعين، ونسوق هنا جزءا من الخبر: " فتلاحيا جميعاً فيما صنعاه من هذين الصوتين، فقال كل واحد منهما لصاحبه: أنا أجود صنعة منك، فتنافرا إلى ابن سُرَيْج فمضيا إليه بمكة، فقالا له: إنا خرجنا إليك من المدينة لتحكم بيننا في صوتين صنعناهما"[٦]، إذاً توفرت هنا أركان المنافرة من متنافرين،وحكم، وتفاخر، لكنه هنا تفاخر

---

(١) ابن منظور – لسان العرب، مادة " مجد "

(٢) الأصفهاني- الأغاني،١٧:٣٧١.

(٣) ابن منظور – مصدر سابق، مادة "خيل".

(٤) الأصفهاني، مصدر سابق، ١٧: ٣٧١.

(٥) المصدر نفسه،٢٢: ١٥١.

(٦) المصدر نفسه،١:٢٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بجودة الغناء، وحسن اختيار الشعر المُغنى في حين كان التفاخر في المنافرات في العصر الجاهلي بالأنساب وبعراقة الأصول، وشرف المحتد.

وإن كانت المنافرة ترد بالمعنى اللغوي في العصر الأموي فإنها ترد في العصر العباسي بالمعنى الاصطلاحي، ونجد ذلك في شعر أبي تمام في كلمة " يستنفر" حيث يقول:

مُسْتَنْفِرٌ للمادحين كأنما
آتيه يَمْدَحُـــهُ أتاه يُفاخِره[١]

فيعلق الصولي على هذا البيت قائلا: " أي يدعو من يمدحه ليعطيه، ويستنفرهم لذلك كما يستنفر المفاخرة من فاخره إلى حكم بينهم، ويسمى ذلك المنافرة، ومنه نافر هاشم أمية، ونافر عامر بن الطفيل علقمة بن علاثة"[٢].

ولقد انحصرت دلالة المُنَافَرَة بعد القرن الرابع الهجري في الدلالة على النفور والبعد النفسي، وما يؤديان إليه من مجادلة وخصام نتيجة لاختلاف الآراء. ونقف عند الخلاف المشهور الذي وقع بين ابن دريد ونِفْطَوَيْه، وقد عبّر السيوطي عن خلافهما بالمنافرة، حيث قال: " قال الأزهري: ممن ألف الكتب في زماننا فرُمي بافتعال العربية، وتوليد الألفاظ أبوبكر بن دريد، وقد سألت عنه إبراهيم بن محمد بن عَرَفة —يعني نفطويه— فلم يعبأ به، ولم يوثقه في روايته. قلتُ: معاذ الله! هو بريء مما رُمي به، ومن طالع الجمهرة رأى تحريه في روايته، وسأذكر منها في هذا الكتاب ما يُعرفُ منه ذلك، لا يقبل فيه طعن نفطويه؛ لأنه كان بينهما منافرة عظيمة، بحيث إن ابن دريد هجاه"[٣]، هنا نرى أن الخلاف بين ابن دريد ونفطويه أدّى بهما إلى المنافرة التي تعني الهجاء.

ولعل استخدام لفظة المنافرة اقتصر على النُّفور والبعد النفسي مما أدى إلى ذكر المنافرة مع لفظة المُناقَرة، ونجد هذا جليّا فيما حدث بين أبي الحسن علي بن عبد الغني الحصري القيرواني وأبي الحسين بن محمد بن طراوة المالقي، حيث أفضت بهما المنافرة والمُناقرة إلى الهجاء[٤].

ونورد هنا نصّا آخـــر يـــؤكد تطـــور مفهوم المنافرة إلى الخصـــــام والمجادلة، ورد في ترجمة " أبي الحسن بن عصفور علي بن مؤمن بن محمد بن علي النحوي الحضرمي الأشبيلي حامل

---

(١) ديوان أبي تمام، شرح الصولي: ٥٥٠.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٣) السيوطي - المزهر في علوم اللغة، ١: ٩٣.

(٤) انظر: أبو طاهر السلفي - معجم السفر: ١٦٧. وهناك نص أورده ياقوت الحموي عند حديثه عن مدينة أشبيلية . انظر: معجم البلدان، ١: ٣٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لواء العربية في زمانه بالأندلس قال ابن الزبير ... ولازمه مدة ثم كانت بينهما منافرة ومقاطعة "[١]، والمُنَافَرَةِ تؤدي إلى الهجاء والمقاطعة في أحيان كثيرة.

ثالثا: بين المنافرة والمصطلحات الأُخرى:

سنقف عند أهم المصطلحات التي تشترك مع مصطلح المنافرة في جانب أو أكثر، وتختلف في جوانب أُخرى، وسنبدأ بذكر المادة اللغوية لكل مصطلح ودلالته، مع تحليل موقف يمثل هذا المصطلح، وتوضيح مايشترك فيه مع المنافرة، و بيان جوانب الاختلاف معها.

أ- بين المنافرة والمفاخرة:

نقف على المادة اللغوية لفخر،والفخَر والفَخَار: التمدح بالخصال وعدّ القديم،وتفاخر القوم: فخر بعضهم على بعض، والتفاخر:التعاظم، وفاخرَهُ مُفاخرة وفِخاراً: عارضه بالفخر ففخره. وفخيرك: الذي يُفاخرك، والفَخير: المغلوب بالفخر[٢].

ولعل أشهر المفاخرات ما حدث بين وفد بني تميم والرسول – صلّى الله عليه وسلّم-، ولقد وردت هذه المفاخرة في أكثر من مصدر، وسنعتمد على صبح الأعشى؛ لأنه فرّق بين المفاخرات والمنافرات " فأما المفاخرات، فمنها ما روي أنه لما وفد على رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم- وفد بني تميم سنة الوفود بعد فتح مكة، فيهم عُطارِد بن حاجِب بن زُرارَة بن عُدُس التميمي، وقَيْس بن عاصم، وقيْس بن الحارث، ونُعيم بن زيد، وعُتبة بن حِصْن بن حُذيفة بن بدر، والأقرع بن حابس، في لفهم و لفيفهم، و دخلوا المسجد، ونادوا رسول الله– صلّى الله عليه وسلّم- من وراء حجراته أن اخرج إلينا يا محمد **جئناك لنفاخرك، فأذن لشاعرنا وخطيبنا...**"[٣].

يتضـــح لنا من خلال النص السابق أن هناك فـــرقًا بين المُنَافَرَةِ والمفاخرة، فالمُنَافَرَةِ تحاكم بين شخصين لدى الحكَم، وأساسه كرم النسب مع مكارم الأخلاق الأُخرى مثل الشجاعة والكرم، في حين أن المفاخرة قد تكون بالنسب أو الشجاعة أو بغيرها من مكارم

---

(١) ابن العماد - شذرات الذهب،٣:٣٠٣.

(٢) انظر: ابن منظور - لسان العرب، مادة " فخر ".

(٣) القلقشندي - صبح الأعشى في صناعة الإنشا،١: ٤٢٦ - ٤٢٧ ، وانظر انموذجا آخر للمفاخرات: الأصفهاني - الأغاني،١٦:١٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأخلاق، وهو ما يتضح من قول القلقشندي: " واعلم أن المفاخرة قد تكون بالنسب أو الشجاعة أو الفصاحة واللّسن مقام الحسب " [١].

ويؤكد ما ذهب إليه القلقشندي قول أبي تمام:

فمن شاء فليفخر بما شاء من نَدى فليس لحيّ غيرنا ذلك الفخرُ[٢]

وما جرى بين الرسول– صلّى الله عليه وسلّم– ووفد بني تميم هو مفاخرة لا منافرة، لأن كلمة المفاخرة قد وردت في النص " جئناك لنفاخرك "، ولأن الافتخار لم يركز الاهتمام فيه على النسب مثلما يحدث في المنافرات حيث ترد فيها كلمتا الحسب والنسب كثيراً، لكننا نكتفي بما جاء في منافرة علقمة بن عُلاثة وعامر بن الطُّفيل " وجمع عامر بني مالك فقال: إنما تخاطرون عن أحسابكم" [٣]، بينما يُهتم في المفاخرة بمكارم الأخلاق، أو أية صفة مميزة.

وهناك دليل آخر على أن ما جرى بين رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– ووفد بني تميم كان من قبيل المفاخرة لا المنافرة؛ لقول حسان بن ثابت في هذه المناسبة:

ولـــــــوْلا حَياءُ اللهِ قُلْنا تَكَرُّماً

على النَّاسِ بالخَيْفَيْنِ هَلْ مِنْ مُنافِرِ[٤]

فهذه المفاخرة لم تتحول إلى منافرة لأن الدين الإسلامي قد بدّل المفاهيم السائدة، وبالتالي تغيرت ثقافة المجتمع، علاوة على أن المنافرة تعارض ما دعا إليه الإسلام من أخلاق وقيم مما أدّى إلى اختفائها.

ويعلّق القلقشندي على هذه المفاخرة بقوله: " وهذه مكابرة ظاهرة، وتجاهل فاحش من بني تميم، حيث طلبوا المفاخرة مع الرسول –صلّى الله عليه وسلّم–وكل العرب على اختلاف شعوبهم، وتتابع قبائلهم معترفون لبني هاشم بالسَّبق في الشرف،والتقدم في الفضل، مع ما فضّل الله تعالى به

---

(١) القلقشندي – صبح الأعشى، ١: ٤٣٥.

(٢) ديوان أبي تمام، تحقيق عبده عزام، ٤: ٥٧٥.

(٣) الأصفهاني – الأغاني، ١٦:٢٨٨.

(٤) ديوان حسان بن ثابت: ١٠٨. بالخيفين:مفردها الخَيف: وهو ما ارتفع من الأرض عن مجرى السيل، ونسبت بعض الأحياف إلى القبائل، وخيْف بني كنانة هو المُحَصَّب. انظر: ياقوت الحموي – معجم البلدان، ٢: ٤١٢ و ٥: ٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– وخصّه به مع رفيع الشرف الذي لم يبلغه نبي مرسل، و لا ملك مقرَّب"[١].

و لا نجد في المفاخرات تحكيماً مثلما يجري في المنافرات، والتحكيم هو ركن أساسي في المنافرة.

وهناك خبر آخر يورد مفاخرة جرت في منادمة العباس بن عبد المطلب وأبي سفيان بن حرب على الشراب " فحمى أبو سفيان لما سمع من الشعر، وجعل يعددّ مآثر حرب بن أمية، ومآثر نفسه، وتناقلا في المفاخرة إلى أن قال له العباس: نافرني إلى فتاك هذا فإنه نجيب يعني معاوية –رضي الله عنه– فقال أبوسفيان: قد فعلت هذا، وهند تسمع فاهتبلت الفرصة، وأنشأت تقول مخاطبة لابنها معاوية:

اقْضِ فَدتكَ نَفْسي
لآلِ عَبْدِ شَمسِ
فَهُمْ سُراةُ الحُمْسِ
عَلى قَدِيمِ الحَرْسِ

فقطع معاوية قولها، وقال:

صه يا ابنةَ الأكَارِمْ
فَعَبدُ شمس هاشمْ
هما برغم الراغمْ
كانا كغَربي صَارمْ

فلما سمع العباس –رضي الله عنه– وأبو سفيان مقالة معاوية – رحمه الله– ابتدراه أيهما يتناوله قبل صاحبه، فتعاوراه ضَماً وتقبيلاً وتفديةً، وافترقا راضيين".[٢].

و لا ريب أن المنافرة هي نوع خاص من المفاخرات، حيث يفتخر المتنافران بالأنساب خاصة،وتأتي الصفات والمكارم مؤكدة استحقاق السّبق لأحد الطرفين، في حين تكون المفاخرات في

---

(١) القلقشندي – صبح الأعشى في صناعة الإنشا،١:٤٢٩،٤٣٠.

(٢) ابن ظفر الصقلي – أنباء نجباء الأبناء: ٦٥-٦٤. الحُمْس : هم المتشددون في دينهم منهم قريش وخزاعة. لسان العرب،مادة "حمس"، غربي صارم: أي حدي السيف، لسان العرب، مادة " غرب " . والحَرْس: أي الدهر، لسان العرب، مادة " حرس ".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كل شيء مثل الشجاعة والكرم وغير ذلك من مكارم الأخلاق. ولابد في المنافرات من تحكيم حتى تخرج عن كونها مفاخرة، ويتضح ذلك من خلال النص السابق حيث تناقل أبو سفيان مع العباس بن عبد المطلب في المفاخرة، وطلب منافرة معاوية قائلاً: نافرني إلى فتاك، مما جعل هند بن عتبة تبادر لقول الشعر مبتدئة بكلمة(اقضِ)، وهذا دليل واضح على أن المنافرة تخرج عن المفاخرة بالنسب وبالتحكيم، لكن معاوية قطع حديثها بالتسوية بينهما، و بتشبيههما بجاني السيف الصارم، مما دفعهما للتسابق إلى تقبيله وضمه، تقديراً منهما لذكائه، وسرعة بديهته، وحرصه على العلاقات في القبيلة الواحدة،وإبعاداً لكل ما قد يعكر صفو هذه العلاقات. فكلمة نافرني استوجبت تحكيماً لولا تدخل معاوية بن سفيان.

ولا بأس من الإطالة هنا نظراً للتشابه بين المنافرة والمفاخرة، ففي أحيان كثيرة كانت تبدأ المفاخرة ثم تتحول إلى منافرة حين يطلب الطرفان تحكيماً بينهما، وخير مثال على ذلك المنافرة النادرة التي أوردها المرزباني في ترجمة العَدْل بن عمرو ونصها: "فاخر مالك بن نُوَيْرَة اليَرْبُوعي في الجاهلية إلى الكاهن الباهلي، ففضّل العَدْل على مالك"[١]، ونلاحظ هنا كلمة فاخر مما يعني أنها بدأت مفاخرة، لكن اللجوء إلى الكاهن للتحكيم بينهما جعلها منافرة، وهنا استخدم المؤلف كلمتي " فاخر- فضّل " بدلاً من " نافر- نفّر "، وهذا دليل على أن المنافرة هي محاكمة في المفاخرة بالنسب والحسب.

ولا ريب في أن المنافرة تشترك مع المفاخرة في الفخر بالنسب خاصة،لذا فإن المفاخرة أعم من المنافرة، وأيضاً مشاركة الشعراء والخطباء، ففي مفاخرة وفد بني تميم مع الرسول صلّى الله عليه وسلّم طلبوا الإذن لشاعرهم وخطيبهم في المشاركة،وكذلك خطب عن المسلمين ثابت بن قيس، وشارك حسان بن ثابت بشعره.

ولقد نهى الإسلام عن التفاخر لقوله تعالى: "وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ للنَّاسِ وَ لا تَمْشِ في الأرْضِ مَرَحاً إنَّ الله لايُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ"[٢] وقوله تعالى: " وَاعْبُدوا الله وَ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وبالوالدينِ إحْسَاناً وبِذي القُربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجارِ الجُنُبِ والصَّاحبِ بالجَنبِ وابنِ السَّبيلِ وَمَا مَلَكَتْ إيمانكُم إن الله لايُحِبُّ مَن كان مُخْتالاً فَخُوراً"[٣]، وبيِّن هذا النهي حديث للرسول- صلّى الله عليه وسلم- حيث " ذكر الكبر عند النبي — صلى الله عليه وسلم — فشدد فيه، فقال: (إن الله لا يحب كل مختال فخور)، فقال رجل من القوم: والله يا رسول الله إني

(١) المرزباني- معجم الشعراء: ٦٧١.

(٢) سورة لقمان، آية ١٨.

(٣) سورة النساء، آية ٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأغسل ثيابي فيعجبني بياضها، ويعجبني شِراك نعلي وعِلاقة سوطي، فقال: ليس ذلك الكِبْر، إنما الكِبْر أن تسفه الحق وتَغْمِص النّاس "[١].

ولقد جاء هذا النهي لأن التفاضل في الإسلام أساسه التقوى والعمل الصالح وليس بالأحساب والأنساب، وسيتضح ذلك أكثر في موقف الإسلام من المنافرات.

ب- بين المُنافرة والمُناقرة:

والمناقرة مأخوذة من المادة اللغوية نقر، والنَّقر: ضرب الرَّحى والحجر وغيره بالمنقار، ونقره نقراً: ضربه. والنِّقر والنُقرة والنُقير: النكتة في النواة كأن ذلك الموضع نُقِر منها. ونَقَر الرجل يَنقُره نَقْراً: عابه ووقع فيه[٢].

أما معنى المناقرة فهو " المنازعة. وقد ناقره: نازعه. والمناقرة: مراجعة الكلام، وبيني وبينه مُناقرة ونِقار وناقِرة ونِقْرة أي كلام"[٣]. إذن المناقرة منازعة وخصام بين شخصين بسبب اختلاف الآراء وقد تؤدي إلى الهجاء بينهما أحياناً، وهذا يؤكد ماقلناه سابقا من أن لفظة المنافرة تطور معناها إلى المناقرة بعد العصر الجاهلي، و لاعجب أن نجد كلمة المناقرة تعطف على كلمة المنافرة كما ذكر في النص الآتي: " كان بين أبي الحسن علي بن عبد الغني الحصري القيرواني وأبي الحسين ابن محمد بن طراوة المالقي منافرة ومناقرة، ويهجو كل واحد منهما الآخر"[٤].

ولعل وجه التشابه بينهما هو الحوار الذي يؤدي إلى الاختلاف بين المتحاورين، ويحسم هذا الاختلاف بين المتنافرين بالتحكيم، بينما يؤدي الاختلاف بين المتناقرين إلى الهجاء والمقاطعة أحياناً والاعتذار والمصالحة أحياناً أخرى، وعند تتبع ما جاء في المنافرات والمناقرات نجد أن المنافرات ارتبطت بمناقب المتنافرين ومآثرهم، أما المُناقرات فارتبطت بمثالب الأشخاص ومساوئهم.

---

(١) الطبراني – المعجم الكبير، ٢: ٦٠.

(٢) انظر: الزمخشري - أساس البلاغة،ص ٦٥١. وابن منظور - لسان العرب، " مادة نقر ".

(٣) ابن منظور - المصدر نفسه، مادة " نقر ".

(٤) أبو الطاهر السلفي – معجم السفر: ١٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ج-بين المنافرة والمعاقرة:

لفظة المعاقرة مأخوذة من المادة اللغوية عقر، والعُقْر: العقم، ويقال امرأة عاقر: أي لا تحمل، وعقر البعير عَقراً:نحره أي قطعوا إحدى قوائمه ثم نحروه، وقد يذكر مرادفاً لها هو المُناحرة[١].

أما مصطلح المعاقرة فهو من" عاقر صاحبه: فاضله في عقر الإبل، كما يقال كارمه، وفاخره، وتعاقر الرجلان عقرا إبلهما يتباريان بذلك ليُرى أيهما أعقر لها"[٢].

ولعـــل أشهر المعاقرات ما حدث بين سُحَيْم بن وَثِيل وغالب بن صَعْصَعَة والد الفرزدق " وحاصل القصة فيما ذكر أهل الأخبار أن غالباً وسحيماً خرجا في رفقة، ... في خلافة عثمان فنحر غالبٌ ناقة وأطعم، فنحر سحيم ناقة، فقيل لغالب إنه يوائمك، فقال: بل هو كريم، ثم نحر غالب ناقتين فنحر سحيم ناقتين، ثم نحر غالب عشراً، فنحر سحيم عشراً، فقال غالب: الآن علمت أنه يوائمني، فسكت إلى أن وردت إبله، وكانت مائتين وقيل أربعمائة، فعقرها كلها، فلم يعقر سحيم شيئاً،ثم استدرك ذلك في خلافة علي فعقر بالكناسة مثلها، فقال: لا تأكلوها"[٣].

إذا مما سبق نلاحظ أن المعاقرة تبارٍ وتسابق في كثرة النحر، للدلالة على الكرم والسخاء والجود، ولعل ما يؤكد ذلك هو ترادف بين كلمتي عاقره وكارمه، وبهذا تلتقي المعاقرة مع المنافرة في التفاخر، وتختلفان في مجال التفاخر، فالأولى تفاخر بالكرم، والثانية تفاخر بالنسب والحسب.

وقد نهى الإسلام عن المعاقرة؛ لأن هذا الكرم والجود لا يقصد به مرضاة الله بل الرياء والسمعة، لذا فلا عقر في الإسلام، لنهي المصطفى -صلّى الله عليه وسلم- عنه، ومما يدل على ذلك قول : " هارون بن عبدالله ثنا حماد بن مسعدة عن عوف عن أبي ريحانة عن بن عباس قال نهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن معاقرة الأعراب"[٤].

---

(١) انظر: ابن منظور - لسان العرب، مادة " عقر " .

(٢) المصدر نفسه، المادة نفسها.

(٣) العسقلاني - الإصابة في تميز الصحابة، ٣: ٢٠٧-٢٠٨ .

(٤) سنن أبي داود،٣: ١٠١، " ثنا " في اصطلاح أهل الحديث اختصار لكلمة " حدثنا " .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

د- بين المنافرة والمُباهلة:

البَهْل في اللغة اللعن، والتَبَهّل العناء بالطلب، وأَبَهَل الناقة: تركها من الحلب، وبَهَله: لعنه، وتباهلا وابْتهلا: التعنا. والمُبَاهَلَة:المُلاعنة، ومعنى المباهلة: أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولون: لعنة الله على الظالم منا[١].

وتتشابه المباهلة مع المنافرة في الاختلاف بين شخصين أو أكثر، لكنها تختلف في وسيلة الفصل، فهنا يكون اللعن على الظالم والكاذب، أما في المنافرة فالتحكيم هو الفيصل بين المتنافرين. وهي مشروعة في الإسلام لمجادلة أهل الكتاب، ولابد أن يتمتع المُباهل بفصاحة اللسان،وقوة الحجة، وسرعة البديهة، والحكمة في معالجة الأمور،وجرت أكثر من مباهلة بين الرسول –صلّى الله عليه وسلّم– مع النصارى والمشركين[٢]، ووردت هذه اللفظة في قوله تعالى" " فَمَنْ حاجّكَ فيه مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِن العِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوا نَدْعُ أَبْنَاءَنا وأَبْنَاءَكُمْ ونِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَعْنَةَ اللهِ على الكاذبين" [٣].

وتشرع المباهلة للأزواج إن اتهم أحدهما الآخر بارتكاب الفاحشة،ولم يكن لديه شهداء، وذكر الله سبحانه وتعالى ذلك في قوله: " والذّينَ يَرْمونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَداءُ إلا أَنْفُسُهُمْ، فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَات باللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادقينَ، والخَامسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كان مِنَ الكاذبين، وَيَدْرَؤوا عَنْها العَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهادَاتٍ باللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الكاذبينَ، والخَامسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْها إِنْ كان مِنَ الصَّادقِينَ"[٤].

هـ- بين المنافرة والمساجلة:

والمساجلة مأخوذة من المادة اللغوية سجل، والسَّجل:الدلو الضخمة المملوءة، وانسجل الماء انسجالاً: إذا انصب. والمساجلة: المغالبة أيهما يغلب صاحبه، بهذا تكون المساجلة بين طرفين يتنافسان ليتحدد الغالب منهما [٥]، ويوضح ابن منظور أصلها، وهو "أن يستقي ساقيان، فيخرج كل واحد منهما في سَجله مثل ما يخرج الآخر فأيهما نكل فقد غلب، فضربته العرب مثلاً للمفاخرة فإذا

---

(١) انظر: الزمخشري – أساس البلاغة: ٥٥ ، ابن منظور – لسان العرب،مادة " بهل " .

(٢) انظر: تفسير القرطبي، ٤ :٤٠ ، تفسير ابن كثير،٤ : ١٦٥، فتح الباري،٨ : ٩٥.

(٣) سورة آل عمران، آية ٦١.

(٤) سورة النور، الآيات من ٦ – ٩.

(٥) انظر:ابن منظور – مصدر سابق،مادة " سجل".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قيل فلان يساجل فلاناً فمعناه أن يـــــخرج من الشرف مثل ما يخرجه الآخر، فأيهما نكل فقد غلب، وتساجلوا أي تفاخروا" [١].

والمساجلة تكون بهذا مرادفة للمفاخرة، وهي تشترك مع المعاقرة في التباري بين شخصين في الجود والكرم أو غير ذلك، وتكون الغلبة للمُكثِر منهما، لكن المعاقرة تقتصر على نحر الإبل فقط بينما يتسع المجال في المساجلة.

رابعا: موقف الإسلام من المنافرات:

حين جاء الإسلام إلى الجزيرة العربية كان أكثر العرب قبائل متفرقة متناحرة، تثور بينها الحروب،فعمد إلى جمعهم على كلمة الحقّ، وعلى إحلال الألفة والمحبة محل الشحناء والتباغض، وعلى احتواء خلافاتهم جميعها وصهرها، لتحويل طاقاتهم الجسدية والذهنية لنصرة هذا الدين الجديد.

ومن أهم أسباب تأليف القلوب إبعاد أسباب التنازع والتخاصم، ومن أسبابها المنافرات والمفاخرات، التي يتباهى فيها المتنافرون والمتفاخرون بأنسابهم وبأصولهم،لذا وضع الإسلام أساساً آخر للتفاضل بين الناس ألا وهو التقوى قال تعالى: " يا أَيُّها النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُـــــــوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ، إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"[٢].

وأساس التقوى أساس عادل بمقدور كلّ إنسان أن يحققه، لذا حين غدا المقياس غير مقياس الحسب والنسب تساوى بلال الحبشي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي مع غيرهم من مسلمي قريش الصالحين.

ولقـــد نهى الرسول – صلّى الله عليه وسلّم- عن جوهر المنافرة، والتفاخر بالحسب والنسب حـــين " كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال: الأنصاري: يا للأنصار. وقال المهاجري: يا للمهاجرين. فسمع ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما بال دعوى جاهلية؟! قالـــــوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال: دعوها فإنها مُنْتِنَةٌ "[٣].

---

(١) انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة "سجل".

(٢) سورة الحجرات، آية١٣.

(٣) صحيح البخاري، رقم الحديث ٤٩٠٥، ٨: ٨٢٦. كـسع: أي ضرب دبره بيده أو برجله، لسان العرب، مادة " كـسع ".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن المنطلق السابق شَعر حسان بن ثابت في المفاخرة التي دعا إليها وفد بني تميم مع الرسول –صلّى الله عليه وسلم – بالحرج والحياء من الله –سبحانه وتعالى – من تحويل هذه المفاخرة إلى المنافرة حيث يقول:

ولَـــــوْلا حَياءُ اللهِ قُلنا تَكَرُّماً
على الناسِ بالخَيْفَينِ هل من مُنافِرِ

فأحْياؤنا مِنْ خَيرِ مَنْ وَطِئَ الثَّرى
وأَمْواتُنا من خَيْرِ أهــلِ المقَابــرِ [١]

ولا نجد في السيرة النبوية ولا كتب الحديث ما يشير إلى النهي عن المنافرة بشكل صريح وواضح ولكن هذا الدين الجديد قد شغل الناس عن كلّ شيء، ومنـــــه هذا النص فقد " ذكروا أن أول من أسلم من الأنصار أسعد بن زُرارة و ذَكْوان بن عبد قيس، خرجا إلى مكة يتنافران إلى عُتبة ابن ربيعة، فقال لهما: قد شغلنا هذا المُصلي عن كلّ شيء"[٢]، ويقصد به الرسول –صلّى الله عليه وسلّم–.

وورد أن الرسول –صلّى الله عليه وسلّم– نهى عن المنافرة، فقد ذكر الأصفهاني: عن علي ابن شفيع أنه قال: " إني لواقفٌ بسوق حَجْر إذ برجل من هيئته وحاله عليه مُقَطَّعات خَزّ، وهو على نَجيب مَهْري عليه رَحْل لم أرَ قطّ أحسن منه، وهو يقول من يفاخرني من ينافرني ببني عامر بن صَعْصَعَة فُرساناً وشعراء وعَدداً، وفعالاً؟ قلت: أنا. قال: بمن؟ قلت: ببني ثَعلبة بن عُكابة بن صَعْب بن علي بن بكر بن وائل. فقال:أما بلغك أن رسول الله– صلّى الله عليه وسلّم– نهى عن المنافرة؟ ثم ولّى هارباً. قلت: من هذا؟ قيل:عبد العزيز بن زُرارة بن جَزْء بن سُفيان الكِلابي"[٣].

إن عبد العزيز بن زُرارة يعمد هنا إلى تهيئة أسباب المنافرة، حيث لبس أفخر ما لديه، من مقطعات الخز،ودار على مهره، بأجمل رحل لم يرَ راوي الخبر أجمل منه، رغبة في إثارة من حوله بلبسه، وبدورانه، وبتهييج من حوله بقوله " من يُفاخرني؟ من ينافرني ببني عامر بن صعصعة؟"، ويحدد مجالات المنافرة بالفرسان، وبالشعراء،وبكثرة العدد، لكن حين يبرز منافره ويحدد بمن ينافره، يتساءل

---

(١) ديوان حسان بن ثابت: ١٠٨ .

(٢) ابن سعد – الطبقات الكبرى : ١: ٢١٨.

(٣) الأصفهاني – الأغاني، ٩ :١٠٩. لم يرد حديث عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في النهي عن المنافرة، ولكن وردت أحاديث تنهى عن التفاخر بالأنساب. مَهْرِيّ: الإبل المنسوبة إلى مَهْرة بن حَيْدان، وهو أبو قبيلة وحي عظيم. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " مهر " .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائلاً: " أما بلغك أن رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– نهى عن المنافرة؟" مما دفع بمنافره للهرب خجلاً، ولعل ما دفعه إلى تحريض الآخرين على المنافرة هو رغبته في اختبار من حوله إن ظلّت فيهم بقايا من عادات الجاهلية، وحين تبرز يذكرهم بنهي المصطفى عن المنافرة.

والإسلام كما ذكرنا سابقاً يحرص على العلاقات بين الأفراد؛ لتسودها الألفة والمحبة، لذا يدعو للإصلاح بين المتخاصمين، وأن لا تتجاوز مدة الهجر بين المتخاصمين ثلاث ليال،وأن خيرهم من يبدأ بالسلام تشجيعاً لهما،ورغبة في عودة الوصال بينهما، وفي ذلك : "حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك عن بن شهاب عن عطاء بن يزيد الليثي عن أبي أيوب الأنصاري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام"[١]. والإسلام يجيز الكذب في حالات معينة منها الإصلاح بين المتخاصمين، ومما يدلل على ذلك الحديث النبوي الآتي: "حدثني حرملة بن يحيى، أخبرنا بن وهب، أخبرني يونس عن بن شهاب، أخبرني حميد بن عبد الرحمن بن عوف: أن أمه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وكانت من المهاجرات ... اللاتي بايعن النبي صلى الله عليه وسلم، أخبرته أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يقول: ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ويقول خيرا وينمي خيرا، قال ابن شهاب و لم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس كذب، إلا في ثلاث: الحرب والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها"[٢].

ولاشك في أن أهم أسباب اختفاء المنافرة بعد الإسلام هو احتواؤها على المراهنة بين الطرفين، بينما أجاز الإسلام المراهنة من طرف واحد، وأسرد هنا بعض النصوص للدلالة على كون المراهنة من الطرفين قبل عرض الأحاديث التي تنهى عن المراهنة من الطرفين.

ونقف عند بعض المنافرات منها منافرة علقمة بن عُلاثة وعامر بن الطُفيل " ومع كل واحد منهما ثلاثمائة بعير يُعطى الحاكم منها مائة،ويعقر مائة، ويأكل هو وأصحابه في الطريق مائة"[٣]. هذا التقسيم إلى ثلاثة أقسام، للحاكم قسم، وللنافر قسم، أما القسم الثالث فللأصحاب و المنافر ليأكلوا منها، مما يعني أن المنافرة تتم بالمراهنة من الطرفين، وقد حرّمها الإسلام.

---

(١) صحيح البخاري، رقم الحديث ٦٠٧٧، ١٠: ٦٠٤.

(٢) صحيح مسلم،رقم الحديث٢٦٠٥، ٤: ٢٠١١.

(٣) أبو عبدة - الديباج: ٨٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا يقتصر الأمر في بعض المنافرات على مئات من الإبل، وإنما يتجاوز ذلك بكثير مثل منافرة جرير بن عبدالله البَجلي، و خالد بن أرطاة بن حُشين بن شبت الكلبي " قال خالد بن أرطاة لجرير: ما نجعل؟ قال: الخَطر في يدك. قال: ألف ناقة حمراء في ألف ناقة حمراء، فقال جـــرير: ألف قينة عذراء في ألف قينة عذراء، وإن شئت فألف أوقية صفراء لألف أوقية صفراء" [١]، وهنا نجد إضافة إلى المراهنة بين الطرفين مبالغة في النُفورة التي قد تؤدي إلى إفقار أحد الطرفين، وتبديد أمواله، بدلاً من تسخيرها لخير الإنسان وأهله، بل تصل هذه المراهنة إلى أبعد من ذلك مثل ما حدث بين أبي ربيعة بن المُغيرة و أَسيد بن أبي العيص حيث " قال أَسيد: إن نفّرتُك أخرجتك من مالك، وإن نفّرتني أخرجتني من مالي...، وخرجوا، وساقوا إبلاً ينحرها المُنفّر" [٢]، وهذا يعني أن المغلوب سيصبح فقيراً، وهذا ما لا يرضاه الإسلام، وخاصة أن الإسلام لا يقرّ أسباب المنافرة، و لايعترف بها؛ لأنها تقوم على أساس غير عادل، من التفاخر بالأنساب و الأحساب.

إن المنافرة مخاطرة على الأحساب و الأنساب، فقد يقضي الحاكم على أحد المتنافرين، فيشعر هو وقبيلته بانتقاص قدرهم، خاصة و أن المنافرات كانت تُقام في الأسواق والمواسم ومنها سوق عكاظ أي بحضور عدد كبير من الناس من مختلف القبائل، مما يؤدي إلى شيوع خبر المنافرة، بل وتمتد إلى مدى طويل من الزمن، مثلما حدث لعلقمة بن عُلاثة رغم أن هَرِم بن قُطْبة ساوى بينه وبين عامر، لكن شِعر الأعشى الذي قاله في علقمة أثر على نفسيته ومكانته، ورويت رائية الأعشى في المنافرة في حضرة الرسول – صلّى الله عليه وسلّم – فنهاهم عن روايتها كما جاء في النـــص التالي: " كان رسول الله– صلّى الله عليه وسلّم – ربما حدّث أصحابه، وربما تركهم يتحدثون ويُصغي إليهم، ويبتسم، فبينا هم يوماً على ذلك يتذاكرون الشعر وأيام العرب، إذ سمع حسان بن ثابت ينشد هجاء أعشى بني قيس بن ثعلبة في عَلْقَمَة بن عُلاثة ومديحه لعامر بن الطفيل:

عَلْقَمَ لا لَسْتَ إلى عَامِرٍ
النَّاقِضِ الأوتَارَ و الوَاتِرِ
سُدْت بَنِي الأَحْوَصِ لَمْ تَعْدُهُمْ
وَ عَامِرٌ سَادَ بَنِي عَامِرِ
سَادَ وَ أَلْفَى قَوْمَهُ سَادَةً
وَكَابِراً سَادُوكَ عَنْ كَابِرِ [٣]

(١) الأسود الغندجان – فُرحة الأديب: ١٠٨.
(٢) محمد بن حبيب – المنمق: ١١٥.
(٣) ديوان الأعشى: ١٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم –: كفّ عن ذكره يا حسان، فإن أبا سفيان لما شعّث مني عند هرقل، ردّ عليه علقمة، فقال حسان بن ثابت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، من نالتك يده فقد وجب علينا شكره" [١].

مما سبق نجد نهي الرسول – صلّى الله عليه وسلّم – حسان بن ثابت عن رواية ما قيل في علقمة بن عُلاثة في منافرته مع عامر بن الطُفيل، بسبب ردّه على ما قيل في مجلس هرقل عن الرسول – صلّى الله عليه وسلّم – مما دفع المصطفى إلى ردّ هذا المعروف بالنهي عن رواية ما قيل في علقمة.

إذاً المنافرة مخاطرة بالحسب والنسب، ونتيجتها غير مضمونة دائماً، لذلك يجهد كلا المتنافرين في حشد كل الوسائل لإحراز الغلبة، وفي ذلك قال عامر بن الطفيل لقـــومه: " وجمع عامر بني مالك فقال: إنما تخاطرون عن أحسابكم.... فقال عامر:يا بني مالك، إنما لمقارعة عن أحسابكم، فاشخصوا بمثل ما شخصوا به، ففعلوا"[٢]. إن المتنافر يذكّر قومه دائماً بهذه المخاطرة، من أجل جمع كل ما تحتاج إليه المنافرات من جَزُورٍ، وإبل وغير ذلك مما تحتاج إليه المنافرات.

ويخاطر المنافر بأمن أسرته وقبيلته مما يعرضها للتزعزع وعدم الاستقرار،ويثير الشحناء والبغضاء بين القبائل أو في القبيلة نفسها؛ لأن المنافرات تقتضي وجود رهائن من الأبناء والرجال، وقد تؤدي إلى الحرب مثلما حدث في داحس والغبراء، ولن نستفيض هنا، فلهذا موضع في البحث.

ولاشك في أن الأسباب السابقة كفيلة بأن ينهى الإسلام عن المنافرات؛ لحرصه على توفير الاستقرار بكل جوانبه النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

---

(١) الأصفهاني – الأغاني،١٦ :٢٩٥. شعث: أي انتقص من أمره،انظر: ابن منظور– لسان العرب، مادة " شعث ".

(٢) الأصفهاني – مصدر سابق، ١٦ :٢٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خامسا-المنافرات عند القدماء و المحدثين:

أ- كتب المنافرات:

حظيت المنافرات باهتمام الإخباريين والنسابين وبعض علماء اللغة، فأفردت لها كتب كثيرة، ومن أهم من كتب في المنافرات:

- **خالد بن طليق (ت نحو ١٦٩ هـ):**

هو ابن محمد بن عمران بن حصين الخزاعي، ولاه المهدي قضاء البصرة، ومن كتبه: كتاب المآثر، كتاب المتزوجات، كتاب البرهان، كتاب المنافرات[١].

- **ابن الكلبي (ت ٢٠٤ هـ):**

هو هشام بن محمد بن السائب بن بشر، عالم بالنسب وأخبار العرب،وأيامها، ومثالبها، ووقائعها. ولديه كتب منها: كتاب الأحلاف، وكتاب بيوتات قريش، كتاب المعاتبات، كتاب المناقلات، كتاب حكام العرب، كتاب المنافرات[٢].

- **أبو عبيدة مَعمر بن المثنى التيمي (ت ٢٠٩ هـ):**

وهو من تيم قريش، ومولى لهم، وقيل إن أباه كان يهودياً، وقد اهتم بالأخبار والأنساب، ومن أهم مصنفاته: معاني القرآن، مجاز القرآن، كتاب الديباج، كتاب الحيوان، كتاب الأمثال، كتاب القبائل، كتاب المنافرات وغيرها من الكتب[٣].

- **علان الشعوبي (ت نحو ٢١٨ هـ):**

وهو فارسي، وكان راوية عرّافاً بالأنساب والمثالب و المنافرات، وكان ينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة، ولديه كتب منها: كتاب مثالب القبائل، كتاب فضائل كنانة، كتاب نسب تغلب بن وائل، وكتاب المنافرة[٤].

---

(١) ابن النديم - الفهرست: ١٥١.

(٢) المصدر نفسه: ١٥٢.

(٣) انظر: المصدر نفسه: ٨٤.

(٤) المصدر نفسه: ١٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **علي بن محمد المدائني (ت ٢٢٥ هـ):**

هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالله المدائني، مولى شمس بن عبد مناف وله كتب كثيرة منها كتبه في أخبار النبي – صلّى الله عليه وسلّم –، وأخبار قريش، وكتب في أخبار مناكح الأشراف وأخبار النساء، وفي أخبار الخلفاء، وفي كتب الفتوح، وكتاب المنافرات، وغيرها[١].

- **أبو الحسن النَّسابة (ت ٤٠٠ هـ):**

وهو محمد بن القاسم التميمي، من أهل البصرة، ولديه مجموعة من المؤلفات منها: كتاب الأنساب والأخبار، كتاب أخبار الفرس وأنسابها، كتاب المنافرات[٢].

هذا عدا الكتب التي تناولت المنافرات في باب من أبوابها.ولاشك في أن هذا دليل على أهمية المنافرات في العصر الجاهلي، ومشاركة الشعراء والخطباء فيها، ولكن هذه الكتب ضاعت، و لم تصلنا المنافرات مجموعة إلا في كتاب المنمق في أخبار قريش لمحمد بن حبيب وقد اقتصرت على منافرات قريش كما يتضح ذلك من عنوانه، وقد أفرد لها جانباً من كتابه.

ب– الاتجاهات العامة في دراسة المنافرات في العصر الحديث:

لم تحظ المنافرات بنصيب كبير من اهتمام الدارسين المحدثين، ويعود ذلك إلى ضياع كتب المنافرات، وتناثر النصوص بين كتب الأدب والتاريخ والتراجم، ومن تناول المنافرات اقتصر غالباً على منافرة علقمة بن عُلاثة وعامر بن الطفيل معتمداً على ما جاء في كتاب الأغاني.

ويمكن تقسيم الاتجاهات العامة في دراسة المنافرات عند الباحثين المحدثين إلى ثلاثة أقسام هي:

١–باعتبارها فناً من فنون النثر الجاهلي.
٢– باعتبارها فناً نثرياً تطور عنه غرض الهجاء.
٣– باعتبارها فناً نثرياً تطور عنه فن النقائض.

---

(١) ابن النديم – الفهرست: ١٦٧.
(٢) المصدر نفسه: ١٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسأعرض فيما يأتي الكتب التي تناولت المنافرات من خلال التقسيم السابق، متناولة كيفية معالجة الموضوع مع التعليق على ذلك بما يلزم.

١- باعتبارها فناً من فنون النثر:

اهتم بعض مؤلفو الكتب بدراسة المنافرات باعتبارها فناً نثرياً مستقلاً نشأ في العصر الجاهلي، وتوقفوا عند تعريف المنافرة، والفرق بينها وبين المفاخرة وما اشتملت عليه، والنصوص التي اعتمدوا عليها عند دراسة المنافرات، وقد تباينت هذه الكتب في طريقة معالجتها، فهناك من اهتم بالتحليل فيما اكتفى بعضهم بالنقل الحرفي من المصادر.

ونقف عند تعريف المنافرات لدى المحدثين حيث عرّفها محمد هاشم عطية من خلال فهمه لها بأنها "من النثر المأثور عن أهل هذا العصر، ما كان يقع أولاً على جهة المحاورة بين رجلين، ثم يتورط أحدهما أو كلاهما فيترع بهما الجدل إلى المنافرة، وهي التحاكم إلى الأشراف من حكام العرب، ليفصلوا بينهما، ويقضي الحاكم لأحدهما، أو يسوي بينهما"[(١)].

فالمؤلف يرى أن المنافرة هي محاورة أساسها الجدل حول أيهما أفضل في النسب مما يؤدي بهما إلى التحاكم للفصل بينهما.ويتفق معه في ذلك الباحث محمد عبد المنعم خفاجي حيث جعل المنافرة نوعاً من المحاورات، " والمحاورة: هي التحاور والتراجع في الكلام والحديث، وهي من ضرورات المجتمع والحياة. والعرب كثيرو المحاورة لكثرة خصوماتهم و مفاخراتهم، وتنازعهم على الشرف وسواه.

وتشمل المحاورات: المنافرة والمفاخرة، وسواهما من المحاورة العامة.

- فالمنافرة: المحاكمة في المفاخرة، وأصلها من قولهم: أينا أعز نفراً، فهي التحاكم إلى الأشراف من حكام العرب؛ ليفصلوا بينهما، ويقضوا بالشرف لأحدهما.

- المفاخرة: مصدر فاخر، وهي تفاخر القوم بعضهم على بعض، وكانوا يفاخرون بالحسب والشرف، والأخلاق الكريمة، والعز، والثروة، والكثرة، والعدد.

---

(١) محمد هاشم عطية - الأدب العربي وتاريخه: ٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيها من نحر للإبل وإطعام للناس. ويقف المؤلف على أهمية منافرة علقمة وعامر، وأسبابها، وقدّم ترجمة للمتنافرين، مركزاً اهتمامه على ما قيل في هذه المنافرة من شعر ورجز، فدرس شعر الأعشى والحطيئة ولبيد بن ربيعة محللاً هذا، ولم يركز على ما جاء في الشعر من عناصر المنافرة وما يحدث فيها، وستكون لنا وقفة عند تناول الشعر في المنافرات.

٢- باعتبار المنافرة فناً نثرياً تطور عنه غرض الهجاء:

سأتناول هنا كتابين أولهما " الهجاء والهجاءون " لمحمد محمد حسين، حيث يضع عنواناً للفصل الأول (أقدم صور الهجاء) ويقصد به المنافرات حيث يعرّفها، ويبين أنواعها، وما يجري فيها من التحكيم والرهان والنحر، ومكانها، ودور الشعراء والخطباء في إذكاء روح المنافسة،لذا يعتبرها خليطاً من الشعر والنثر.

ويوضح الأسباب التي تدفعه إلى القول بأن المنافرة أقدم صور الهجاء " فالمنافرة هي الصورة البدائية الساذجة لفن الهجاء، والجانب الهجائي فيها يعتمد على المثالب الشخصية، ويدور حول الفرد، ولكنه لا يرتفع إلى الحياة في أفقها الواسع، ودائرتها الكبيرة.وقد اعتبرناها صورة بدائية ساذجة، لأنها لا تسمو من ناحيتها الأدبية إلى الخلق والابتكار، ولكنها تعتمد على تقرير الواقع، وصياغته في عبارة منمقة، فهي هجاء شخصي في أحط صوره وأدنى درجاته"[١].

ويسوّغ الباحث سبب جعل المنافرات صورة بدائية للهجاء، حيث يرى اعتمادها على المثالب الشخصية ولكنه يغفل هنا أنها لا تحتوي على الهجاء فقط،فهناك الفخر الشخصي، فلماذا لا نجعل الفخر –أيضاً- تطوراً عن المنافرات؟

أما الكتاب الآخر فهو " فن الهجاء وتطوره عند العرب " لإيليا حاوي، ويذكر المنافرات ضمن بواعث الهجاء في العصر الجاهلي ومنها:

- النزاع بين الفرد وقبيلته والمجتمع.
- النزاع بين الفرد والدولة.
- النزاع بين القبائل.

---

(١) محمد محمد حسين - الهجاء والهجاءون: ١٠٤-١٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- " المنافرات بين الأفراد: وقد تنشأ مفاخرات ومنافرات بين الأفراد في التسامي بالأصل والسؤدد وما إلى ذلك. وقد تكون هذه المنافرات المرحلة الأولى من مراحل الهجاء"[١].

يرى المؤلف أن المنافرة والمفاخرة سببهما هو التسامي بالأصل والسؤود، لكن المفاخرة تختلف عن المنافرة، وقد ذكرت ذلك سابقاً. ويرجح أن تكون المنافرات أُولى مراحل الهجاء، وأنها تتمثل في خطب الإصلاح؛ لأن حكام العرب –غالباً–حرصوا على درء الشر بين القبائل خوفاً من انبعاث الحروب بينهم، لذا عمدوا إلى الإصلاح بين المتنافرين.

ولاشك في أن غرض الهجاء كان قائماً بجوار المنافرات التي يمكن اعتبارها عادة من عادات الجاهلية، وظاهرة اجتماعية وأدبية، وكانت تُقام في الأسواق فيشهدها الناس، ولعلّ ما يجعلها أدبية هو مشاركة الشعراء والخطباء فيها، وما جاء فيها من سجع على ألسنة الكهان.

وأما ما نذهب إليه فهو أن المنافرات فن مستقل له أصوله، شارك فيه الشعراء والخطباء والكهان، وقد توقف هذا الفن بعد انتشار الإسلام. و للمنافرات أسباب تختلف أحياناً عن أسباب الهجاء منها العصبية القبلية، والتنازع على الرئاسة في القبيلة الواحدة، ورفض وقوع الظلم على الآخرين، وأسباب أُخرى كثيرة .

والحكم على المنافرات بأنها ساذجة وبدائية، وتفتقر إلى الخلق و الابتكار حكم قاسٍ ومتسرع، وقد ينطبق هذا على بعض المنافرات، والتعميم لايجوز نظراً لضياع كتب المنافرات، وتناثر النصوص بين كتب الأدب والتاريخ والتراجم.

٣– باعتبار المنافرات فناً تطور عنه فن النقائض:

إن كان إيليا حاوي يرى أن المنافرات هي أصل للهجاء، فإن أحمد الشايب في كتابه تاريخ النقائض في الشعر العربي يرى أن فن النقائض تطور عن المنافرات، و لم يفصل القول في ذلك. ولعل عبد المجيد عبد السلام المحتسب في كتابه " نقائض جرير و الفرزدق " كان أكثر تأكيدا لفكرة تطور النقائض عن المنافرات، حيث يرى أن المنافرة هي الصورة البدائية الساذجة للمناقضات، ويعلّق على نص منافرة علقمة بن عُلاثة وعامر بن الطُّفيل قائلا " والذي يدقق ويمعن النظر في حوار المتنافرين النثري، وفي الأبيات الشعرية التي قيلت حول هذه المنافرة، يرى الحوار الساذج البسيط الذي يعد

---

(١) إيليا حاوي – فن الهجاء وتطوره عند العرب: ٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صورة للنقيضة في طورها الجاهلي الأول، ونستطيع القول: إن النقيضة الجاهلية نشأت في صورتها الساذجة نثراً عادياً، وقامت على نقض المعاني أولاً وقبل كل شيء دون التزام الجانب الموسيقي الذي يتمثل في وحدة القافية والبحر والروي"[١].

وبهذا يرى المؤلف أن وجه التشابه بين المنافرة والنقائض هو نقض المعاني، فكلا المتنافرين يثبت الصفات الإيجابية لنفسه والسلبية لمنافره، و أنه اقتصر على النثر وبعض الأبيات الشعرية، في حين تطور فن النقائض. والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا يحرص الباحثون على إيجاد جذور للنقائض في المنافرات؟ رغم وجود فن النقائض في العصر الجاهلي في قصائد بعض الشعراء الجاهليين، ورغم اختلاف عناصر المنافرة عن النقائض حيث تحتوي على عناصر مثل الرهان والتحكيم، ومشاركة الشعراء والخطباء في المنافرات.

مما سبق نستطيع أن نقول إن المنافرات فن نثري وشعري مستقل نشأ في العصر الجاهلي، ولا نجد مبرراً للقول بتطور فنون أخرى أو أغراض عنه وإن كان فن النقائض أقرب إليه من غرض الهجاء، لكن المنافرات امتازت بخصائص وعناصر خاصة بها، وإن اشتركت مع بعض المصطلحات الأخرى في جوانب، لكنها اختلفت أيضاً عنها في جوانب أخرى.

---

(١) عبد المجيد المحتسب - نقائض جرير والأخطل: ٣٦ -٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول:

المنافرة: أسبابها وعناصرها ومقوماتها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولا: عوامل المُنافَرَة وأسبابها:

كانت المُنافَرَة وسيلة للفصل بين المتخاصمين وخاصة بين المتنازعين حول أيهما أثبت نسبًا وأفضل شرفاً، وللمُنافَرَة عوامل مهدت لنشوء أسبابها بين الأفراد والقبائل؛ ولأن هذه العوامل مهمة عند النظر في أسباب المُنافَرات يتعين علينا الوقوف عندها قبل أن نعرض أسباب وجودها.

أ-عوامل المُنافَرَة:

للمُنافَرَة عوامل اقتصادية واجتماعية، أما العوامل الاقتصادية فمرتبطة بحالة العرب الاقتصادية، ويمكن الحديث عن نمط حياتهم ومعيشتهم من خلال تقسيم العرب في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام إلى أهل الوبر، وهم الأعراب الذين لم ينعموا بالحياة المستقرة، بل تنقلوا من مكان إلى آخر متتبعين أماكن الماء والكلأ. ويرى أحمد الشايب أن هذا الفقر الحسيّ أدّى إلى غنى نفسي من حبّ للحرية ومن رفض للذل وخضوع للآخرين؛ لذا لا يرضى العربيّ إلا بحكم القبيلة وقوانينها، ولاشك في أن أهم وشائج القبيلة وروحها هو النسب [١].

ويقول أحمد الشايب عن حالة أهل الوبر الاقتصادية وظروف معيشتهم " يرقب الأعراب مساقط الغيث فيهرعون إليها أينما كانت لعلّهم ظافرون منها بمراعٍ وقتية للإبل والشاة التي يكتسون من أصوافها وأوبارها ، ويطعمون بألبانها ولحومها ثم يركبونها في عُرْض البادية في سبيل مرعى آخر يعتركون حوله. وأما إذا أخلف المطر أو قلّ الغيث فالجَدْب المهلك، والبلاء الشامل..." [٢].

هذا حال الأعراب في الصحراء والبوادي أما أهل المدر،وهم من يعيشون في الحواضر والمدن فعرفوا الحياة الآمنة المستقرة، ومنهم من عمل في التجارة مثل بعض سكان مكة ويثرب، حيث كانت القوافل تنطلق إلى الشام صيفاً، وإلى اليمن شتاء وإلى الحيرة، وهذه الظروف الاقتصادية أثرّت في الحياة الاجتماعية مما أدّى إلى تقسيم الناس إلى طبقات فهناك الأثرياء ومتوسطو الدخل والفقراء. فالوضع الاقتصادي لم يحل دون التنافر، وقد تكون النُّفورة فوق طاقة الفرد فيلجأ إلى القبيلة، وإن بدت النُّفورة عن الفرد فإنها تمس القبيلة، وتتصل بشرفها؛ لذا تقف القبيلة لتساند الفرد في المنافرة مادياً بمساعدته في الوفاء بالنُّفورة، ومعنوياً بحضورها معه ومساندته.

---

(١) انظر: أحمد الشايب ، تاريخ النقائض في الشعر العربي:٣٦.

(٢) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جعلت الظروف الاقتصادية القاسية أحياناً المتنافرين يفضلون أن تكون النُّفورة من الإبل غالباً،مما يعني أن النافر المنتصر سيضمن ثروة إن تقدم للمنافرة، وهو واثق من فوزه. وعند تأمل أحوال المتنافرين في المُنافَرات التي وصلتنا نستطيع أن نقول إن المُنافَرات – بشكل عام – جرت بين الأثرياء والأشراف وكذلك بين الفقراء؛ وذلك لأن تراجم المتنافرين لا توضح أحوالهم المالية إضافة إلى أن المتنافر يطلب مساعدة القبيلة في الوفاء بالنُّفُورَة. والأوضاع الاقتصادية كان لها بعض الأثر في المنافرات فيما يبدو، فالأثرياء والأشراف ومن يملكون الأموال هم أجرأ على المنافرة وأكثر استعدادا لها؛ لأنهم قادرون على تحمل تبعاتها، أما الفقراء فربما كانت تجري بينهم منافرات تكون فيها النُّفورة مناسبة لأوضاع المتنافرين الاقتصادية.

أما العوامل الاجتماعية فأهمها اهتمام العرب بالنسب، إذ لعب دوراً هاماً في تهيئة الظروف لنشوء المُنافَرات وكثرتها في المجتمع الجاهلي. فالنسب هو عمود القبيلة، وكلّ أفراد القبيلة تربطهم صلات قربى، وينتمون لأصل واحد، منه يتفرعون. والانتماء إلى القبيلة يدفع أفرادها إلى التجمع لدرء المخاطر المحدقة بها، ولمحاربة أعدائها.

وبلغ اهتمام العرب بالنسب شأناً كبيراً، تجاوز الاهتمام فيه نسب الأفراد إلى الاهتمام بنسب الخيل[١]. ولم يقتصر اهتمامهم على معرفة أنساب الخيل فقط، فهناك أنساب للمصايد والمطارد[٢].

والنسب هو عمود القبيلة، وسبب تجمعهم ووحدتهم كفيل بتحقيق كثير من المصالح والمنافع للقبيلة، وفي هذا يقول عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– :" تعلّموا أنسابكم تعرفوا بها أصولكم، فتصلوا بها أرحامكم. وقيل لو لم يكن من معرفة الأنساب إلا اعتزازها من صَوْلَةِ الأعداء، وتنازع الأَكْفَـاء لكان تعلّمها من أحزم الرأي وأفضل الثواب"[٣]. إذن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه – يرى أن معرفة النسب مدعاة لصلة الرحم، وللفصل بين أبناء القبيلة الأكفاء إن تنازعوا على الرئاسة والشرف.

---

(١) الجاحظ – البيان والتبيين ،١:٣٠٥. حظيت الخيل باهتمام العرب فألفوا في أنسابها مثل كتاب الخيل للأصمعي وأسماء الخيل لابن الأعرابي، انظر: ابن النديم – الفهرست: ٨٧ و ١٠٩.

(٢) انظر: القلقشندي – صبح الأعشى ، ٢:٤٧.

(٣) الأبشيهي – المستطرف من كل فن مستظرف، ٢: ١٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن النسب الواحد يجمع أبناء القبيلة، ويحقق لهم مصالح ومنافع، وفي هذا يقول ابن خلدون: " ولايَصْدُق دفاعهم وذيادهم إلا إذا كانوا عصبية وأهل نسب واحد؛ لأنهم بذلك تشتد شوكتهم، ويُخشى جانبهم،إذ نُعرة كلّ واحد على نسبه وعصبيته أهم، وما جعل الله في قلوب عباده من الشفقةوالنُّعرة على ذوي أرحامهم وقربائهم موجودة في الطبائع البشرية، وبها يكون التعاضد والتناصر، وتعظم رهبة العدو لهم"[١].

ويفصل أحمد الشايب في أهمية معرفة الأنساب عند العرب، فيقول إن " العناية بالأنساب أصولها وسلاسلها، ظاهرة بدوية قديمة تحرص عليها الجماعات الأولى لتكوين العصبيات القبلية أو الجنسية احتفاظاً بالقُربى، و توفيراً للوحدة والمعاونة، وعرفاناً لمواطن الثارات، ونفياً للغريب، وتنظيماً لمسائل الإرث والزواج، ودفعاً لعدوان المنافس والمغالب لتعيش القبيلة عزيزة الجانب، آمنة مذلة الجيران والعادين، متعاطفة الآباء والأبناء، وهي تعرف بعد ذلك مفاخرها، وأيامها، فيسجلها شعراؤها، ويناقضون بها خصومهم من شعراء القبائل الأخرى"[٢]. بهذا تحفظ معرفة الأنساب حقوق الأفراد والقبيلة، وتعزز مكانتها بين القبائل بوحدتها في وجه المخاطر المحدقة بها، وتحقق لها العزة والكرامة، وتنظم أمور القبيلة أيضاً، ويحرص الأهل والأقارب على صلة الرحم، هذه هي أهم أسباب حرص العربي على معرفة نسبه و الانتماء إلى قبيلته.

ظلّت الأنساب تُروى مشافهة إلى أن أمر عمر بن الخطاب- رضي الله عنه - بتسجيل الأنساب عندما فرض العطاء، وقد فصّل جواد علي الحديث في هذه القضية فلا نرى حاجة للحديث عنها هنا[٣]. واختُص بعض الرجال في الجاهلية والإسلام بالأنساب حتى اشتهروا بهذا العلم، فيرجع إليهم عند الاختلاف في الأنساب وأطلق عليهم لقب النُّساب، ولعلّ من أبز هؤلاء النُّساب نفرحتى قيل: " النُّساب أربعة: دَغْفَل بن حَنْظلة[٤]، وعُمَيرة أبو ضَمْضَم[٥]، وصُبْح الحَنفي[٦]، وابن الكيِّس النَّمَري[٧]، قال الأصمعي: دَغْفَل بن حَنْظلة النَّسابة البكري، وكان نصرانيّاً و لم يُسَمِّه"[٨]، هؤلاء هم أشهر النُّساب عند العرب، ولكلّ قبيلة نُسابها، ومن هؤلاء نُساب قريش" أربعة من قريش كانوا

---

(١) ابن خلدون- المقدمة:٢٢٤.

(٢) أحمد الشايب - تاريخ القائص في الشعر العربي:٥٤.

(٣) انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ١:٤٦٦ وما بعدها.

(٤)هو دَغْفَل بن حَنْظَلَة من بني شيبان بن ثَعْلَبَة بن عُكابَة، أعلم أهل زمانه بالنَّسب، ويضرب به المثل في معرفة علم النسب، فيقال: " أنسب من دغفل". لقي النبي – صلى الله عليه وسلّم – ولا يعرف إن أسلم أو لم يسلم. انظر: ابن دريد- الاشتقاق: ٣٥١؛ الميداني- مجمع الأمثال، ٢: ٣٩٦.

(٥) لم نعثر على ترجمة له.

(٦) لم نعثر على ترجمة له.

(٧) هو زيد بن الكَيِّس من بني النَّمر بن قاسط ، وهو أعلم النّاس بالنسب. انظر : ابن دريد- مصدر سابق: ٣٣٤.

(٨) الجاحظ - البيان والتبين،١:١٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رواة الناس للأشعار وعلماءهم بالأنساب والأخبار: مَخْرَمَة بن نَوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زُهْرَة، وأبو الجَهْم بن حُذَيفة بن غانم بن عامر بن عبدالله بن عوف[١]، وحُوَيطب بن عبد العُزَّى، وعَقِيل بن أبي طالب[٢]، وكان عَقِيل أكثرهم ذكراً لمثالب الناس فعادوه لذلك، وقالوا فيه، وحمّقــوه"[٣].

مما سبق نجد أن النُّساب كانوا يمتازون برواية الشِّعروحفظ الأخباروالأيام، ولا ريب في أن هذه المعارف كانت تعينهم على معرفة الأنساب، وتدعيم هذه المعرفة بأدلة عند الحاجة إلى ذلك.

(١) هو من بني عَدِيّ بن كَعْب، وهو أعلم النّاس بأنساب قريش، كان يُخاف منه للسانه. انظر: : ابن دريد- مصدر سابق: ١٣٩.

(٢) وهو أحد حكّام قريش، تعلّم الأنساب من الأحنف بن قيس، حكم في المنافرات والمخاصمات، وكرهه النّاس لأسلوبه في التنفير لذكره المساوئ لكلا المتنافرين. انظر: محمد بن حبيب- المنمق: ٤٨٤.

(٣) المصدر نفسه، ١ : ٣٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب-أسباب المُنافَرَة:

هناك أسباب متعددة للتنافر، أهمها التنازع على الرئاسة والشرف والسؤدد والمجد، وهو السبب الرئيس في مُنافَرَة عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعامر بن الطُّفَيْل.

١-التنازع على الشرف والمجد:

المعنى اللغوي لكلمة الشرف هو الحسب بالآباء[١]، والمجد هو المروءة والسخاء والكرم، و نيل الشرف الذي لا يكون إلا في الآباء ، وقيل المجد كرم الآباء خاصة، وقيل الأخذ من الشرف والسؤدد ما يكفي[٢].

وهذا هو أهم سبب من أسباب المُنافَرات، ولعلّ المعنى اللغوي للمُنافَرَة جاء من أَيُّنا أعزّ نفراً؟ أي أعزّهم قبيلة، وأكرمهم نفراً معتمداً على نسب قبيلته. ومن هذه المُنافَرات مُنافَرَة عائذ بن عبدالله ا بن مَخْزُوم والحارث بن أَسد بن قُصيّ، فقد تنازعا " في الشرف والمجد، وأيهما أشرف وأمجد فجعلا بينهما كاهناً"[٣].

وفي المُنـــافَرَة التي كادت تحدث بين سُبَيْع بن الحارث ومَيْثَم بن مُثّوب لولا مَرْثد بن يَنْكف بن نوف بن مَعْديكَرِب الذي أصلح بينهما، وسبب تنافرهما كما ذكر أبو علي القالي أنهما" تنازعا الشَّرف حتى تشاحنا، وخيف أن يقع بين حَيَّيهما شر فيتفانى جِذْمَاهما"[٤]. إن تنازع الشرف هنا وادعاء كلّ منهما أنه أشرف نسباً، وأكرم نفراً من الآخر دفعهما إلى التنافر.

والتفاخر بالآباء والأجداد، وتذاكر الأمجاد والوقائع يؤدي بالمتفاخرين إلى تنازع الشرف والمجد، ومثال ذلك ما جرى بين بني قُصيّ وبني مَخْزُوم فقد " جعل نفر من قريش مجلساً، فقال أبو ربيعة بن المغيرة، وابنه المغيرة، وبنو المغيرة : ومنا سُويد بن هَرَمِي من بني عامر بن عبيد بن عمر بن مَخْزُوم، فقال أَسيد بن أبي العِيص بن أمية: إليك إنما بنو قُصيّ أشرف،إنما شرف عبد الله بن عمر لأن أمَّـــه بَرَّة بنت قُصيّ، فبها نال ما نال، ثم عدد رجال قُصيّ، ثم قال: فينا السِّقاية، والحِجَابة، والنَّدوة،

---

(١) انظر: ابن منظور- لسان العرب، مادة "شرف".

(٢) المصدر نفسه، مادة " مجد " .

(٣) محمد بن حبيب- المنمق:١٠٧.

(٤) أبو علي القالي - الأمالي،١ : ٩٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والرِّفادة، واللِّواء فتداعوا إلى المُنافَرَة[١]. فهنا نرى أن المجلس الذي ضم قبيلة بني مَخْزُوم وبني قُصيّ نقلهما من المفاخـرة إلى المُنافَرَة، و لم تقتصر هنا المُنافَرَة على ذكر أشراف القبيلة ووجهائها، لكن شملت أيضاً بعض ما ميّز قبيلة بني قُصيّ من مآثر من نحو السقاية والحجابة وغيرها.

والتفاخر لا يحدث بين أشراف القبائل ووجهائها حسب، و لكن قد يمتد إلى حلفائهم الذين يتفاخرون بشرف حلفائهم وأمجادهم، وما يتمتعون به من نسب عريق، ومكانة بين القبائل، ومثال هذا مانراه في مُنافَرَة بني مَخْزُوم وبني أمية، حيث "اجتمع عند الحَجَر قوم من بني مَخْزُوم، وقوم من بني أمية فتذاكروا العِزَّ وَالمَـنَعَة، فقال رجل من بني كِنانَة كان حليفاً لبني مَخْزُوم: بنو مَخْزُوم أعز وأمنع فجرى بينهما الكلام حتى غضب الوليد بن المغيرة المَخْزُومِيّ وأَسِيد بن أبي العِيص وتفاخرا، وجرى بينهما اللجاج"[٢].

إن الاجتماع عند الحجر دعا الحلفاء إلى تفاخر كل حليف بحليفه، وما يمتاز به كلّ منهما من عراقة في النسب، وهذا التفاخر أثار الوليد بن المُغيرة وأَسِيد بن أبي العِيص، ودفعهما إلى المُنافَرَة عند الكاهن سَطِيح الذِّئبي، الذي نفّر أَسِيد بن أبي العِيص على الوليد بن المغيرة.

٢- التنازع على الرئاسة:

كانت رئاسة القبيلة منصبا مهما، لاينالـه إلا من كان ذا نسب كريم، اتصف بالحكمة والقوة والكرم، ويكثر المتنافسون على رئاسة القبيلة بين الأكفاء، خاصة إذا مرض رئيس القبيلة، وشارف على الموت أو إذا صار خَرِفاً.وهذا السبب هو أهم سبب في مُنافَرَة عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعامر بن الطُّفَيْل، وذكر أبوعبيدة منافرتهما حين تحدث عن أشهر المتنافرين في الجاهليةفقال: " عامر بن الطُّفَيْل وعَلْقَمَة بن عُلاثَة الجَعفريان، وتنازعا في الرئاسة حين أُهْتِر عامر بن مالك[٣] مُلاعب الأسنة"[٤]. هذا التنازع على رئاسة القبيلة حدث حين أهتر عامر بن مالك وصار خَرِفاً، مما دفع بالمتنافسين على الرئاسة إلى التنافر، ليفصل بينهما حَكَم،ويرجح كفّة أحدهما فيتولى النافر المنتصر رئاسة القبيلة. وسنفصل الأسباب الأُخرى في منافرة علقمة وعامر في موضعها من هذه الدراسة.

---

(١) محمد بن حبيب- المنمق:١١٥.

(٢) المصدر نفسه :١١٢.

(٣) هو عامر بن مالك بن جعْفَر، يُكَنّى بأبي بَراء، وأمه أم البنين، وهي أنجب امرأة في العرب، وهو من الفرسان المشهورين، يلقّب بمُلاعِب الأسِنَّة، وفد على الرسول – صلى الله عليه وسلم – لكنّه لم يسلم. انظر: ابن نباتة- سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون: ١٣٠.

(٤) أبوعبيدة - الديباج:٨٨. أهتر: كَبُر سنه. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " هتر " .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد يدفع الاستهزاء بأحد المتنافرين إلى سبّ منافره، وهذا ماجرى في مُنافَرَة مَعْبد بن نَضلة ابن الأَشْتَر بن حَجْوان بن فَقْعَس وخالد بن وهب الصيداوي، والسبب غير المباشر في هذه المُنافَرَة هو رغبة ضَمْرة بن ضَمْرة[١] في النيل من بني فَقْعَس الذين أحرجوه حين كان جاراً فأعلن نوفل بن جابر – وأمّه هي عاتكة بنت الأَشْتَر بن حَجْوان بن فَقْعَس – عن أنه بَرِئ ممن استجار به، بسبب كثرة مقامرته، فأرسل ضَمْرة سراً إلىبني تميم للإغارة على بني فَقْعَس، وغير ذلك من الأحداث[٢]. وقد حثّ ضَمْرة بن ضَمْرة خالد الصيداوي على الاستهزاء بمَعْبد بن نضلة وسبّه عند النعمان بـــن المنذر " فلما راحوا إلى النعمان سبّ خالد مَعْبداً.فقال : أتَسبني و لم تنافرني"[٣].

وسبب مُنافَرَة بني فَزارَة وبني هِلال حيلة دبرها رجل ثَعلبي وآخر كَلْبي للفزاري للاستهزاء به، والتهكم عليه، ولقد أورد الميداني قصة هذه المنافرة فقال: " وحديث ذلك أن ثلاثة نفر اصطحبوا فَزَاريًّا، وثعلبيًّا وكِلابيًّافصادوا حماراً، ومضى الفَزارِيّ في بعض حاجته، فطبخا وأكلا، وخبّآ للفَزَاري جُرْدان الحمار،فلما رجع الفَزارِيّ قالا: قد خبّأنا لك، فكُل، فأقبل يأكله، ولا يكاد يسيغه، فقال: أكلّ شواء العَيْر جُوفان؟ يعني به الذّكر، وجعلا يضحكان، ففطن"[٤]. هذه الحيلة أدّت إلى المُنافَرَة التي تناولت الجوانب السلبية في كلا المتنافرين، وقد قضى أنس بن مُدْرِك[٥] للفَزاريين على الهلاليين، فأخذ الفَزارِيّون مائة بعير كانوا تراهنوا عليها.

وقد نال الاستهزاء أيضاً منبعض القبائل، ومثال ذلك مُنافَرَة جَرير بن عبدالله البَجَلِيّ[٦] وخالد بن أَرْطاة الكَلْبِيّ فيروى "أن كَلْباً أصابت في الجاهلية رجلاً من بَجيلَة من بني عَادِيَة بن عامر بن قُدَاد يُقال له: مالك بن عُتْبة –أو عِنَبَة، شك في اسمه الكَلْبِيّ – فوافوا به عُكاظ . ومرّالعَادي بابن عمّ له يُقال له:القَسِم بن عُقَيل يأكل تَمْراً، فتناول من ذلك التَمْر شيئاً لِيَتَحَرَّم به، ومعه رجل من كَلْب يُمسكه، فجذبه لكَلْبِيّ بِقِده فقال: إنه رجل من عَشيرتي، فقال : لو كانت لك عَشيرة مَنعتك ... حتى هجم [جرير بن عبدالله البَجَلِيّ] على منازل كَلْب بعُكاظ، فانتزع منهم الأسير مالكاً فقامت كَلْب دونه، فقال جَرير : زعمتم أن قومه لا يمنعونه، فقالت كَلْب: جماعتنا خُلُوف عنا،فقام جَرير فقال: لو كانوا حُضوراً لم يدفعوا عنه شيئاً. فقالوا: كأنك تَستطيل على قُضَاعَة، فقال: إن

---

(١)اسمه شِقّ بن ضَمْرَة، وسمّاه بعض ملوك الحيرة ضَمْرَة، امتاز بالفصاحة والبيان. انظر: : ابن دريد- مصدر سابق: ٢٤٤.

(٢) انظر: الألوسي - بلوغ الأرب في أحوال العرب، ١ :٣٢٦ .

(٣) الألوسي - بلوغ الأرب، ١:٣٢٧.

(٤) الميداني - مجمع الأمثال، ١:١٩٦.

(٥) من رجال بني خثعم، يكنى بأبي سفيان، حكيم وشاعر، شارك في يوم فَيْف الريح. انظر: ابن دريد – الاشتقاق: ٥٢٣.

(٦) هو جرير بن عبد الله بن جابر –الشُّلَيْل – بن مالك بن نَصْر ، امتاز بالوسامة، حتى وصفه عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – بأنه يوسف هذه الأمّة، أسلم، وكان عامل عثمان بن عفّان على هَمْذان، توفي سنة ٥١ هـ، انظر: أبوعبيدة: نقائض جرير والفرزدق، ١: ٣٠٩؛ انظر: : ابن دريد- مصدر سابق: ٥١٩؛ وابن الأثير – أسد الغابة في معرفة الصحابة، ١: ٣١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شاؤوا قايسناهم المجد"[١]. هذا الاستهزاء نال من واجبات القبيلة في حماية أفرادها ، ومن مكانتها بين القبائل، وهذا ما دعا عبدالله بن جَرير البَجَلِيّ إلى انتزاع الأسير مالك بن عُتبة من بني كَلْب، وادعى كلّ من المتنافرين القوة والمنعة فلم يفصل بينهما إلا الأقرع بن حابس[٢] الذي نفّر جَرير بن عبدالله البَجَلِيّ على خالد بن أَرْطاة الكَلْبِيّ.

٤- التنافس بين الأفراد:

قد يحدث التنافس بين الأكفاء في القبيلة الواحدة، فكلّ واحد منهم يحاول أن يثبت أنه الأفضل، لذا قد تتولد بينهم مشاعر الغيرة والحسد، والرغبة الشديدة في مجاراة نظرائه. ولعلّ هذا ما جرى في مُنافَرَة هاشم بن عبد مناف وأمية بن عبد شمس حيث أطعم هاشم بن عبد مناف الناس، ونحر لهم في سنة جوع أصابت الناس،فحاول أمية مجاراته، و" كان أمية بن عبد شمس مُكْثِراً، فتكلف أن يصنع ما صنع هاشم فعجز عنه وقصر، فشَمِت به ناس من قريش، وسخروا منه و عابوه، بما صنع وقصر فهاج ذلك بينه وبين هاشم شرًّا، و مفاخرة و مخاصمة حتى دعاه إلى المُنافَرَة، وألب أمية إخوته، ووبخوه، وحرّبوه، وكره ذلك هاشم لسنه، حتى أكثرت قريش في ذلك وذمّوه "[٣].

نجد في الخبر السابق أن رغبة أمية بن عبد شمس في مجاراة هاشم بن عبد مناف، ومن ثم عجزه عن المجاراة هيّج في داخله مشاعر الحسد والغيرة، وأوغر صدره ما سمعه من سخرية وتأنيب من قومه وخاصة إخوته، فاضطر كلا المتنافرين إلى المُنافَرَة، وَكَرِهَ أمية بن عبد شمس ذلك بسبب عجزه وتقصيره عن مجاراة هاشم بن عبد مناف، لكنه كابر قومه، وتحدى الآخرين، وكره الثاني التنافر بسبب كبر السن، ولعل الظروف المحيطة بهما شجعت قبيلة قريش على إقامة المُنافَرَة.

ويبدو أن التنافس بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة هو سبب من أسباب منافرتهما، فقد كان علقمة يحاول أن يصل إلى درجة شهرة عامر ومكانته بين قومه وبين العرب .ينفرد الأنباري في روايته لديوان عامر بن الطُّفَيْل بخبرين، أولهما ماحدث في زيارة علقمة لقيصر فقد " قدم عليه عَلْقَمَة ابن عُلاثَة فانتسب له، فقال: أنت ابن عم عامر بن الطُّفَيْل، فغضب عَلْقمة، وقال: أراني لا

---

(١) أبوعبيدة – مصدر سابق، ١: ٣٠٩- ٣١٠. خُلُوف: أي غير حاضرين، غيّب. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " خلف ".

(٢) هو الأقْرَع بن حابِس بن عِقال بن محمد بن سُفْيان بن مُجاشِع، من رجال بني تميم وفرسانهم وحكمائهم، وآخر من قضى لتميم قبل الإسلام، وهو شريف في الجاهلية والإسلام، وأول من داهن في الحكومة، كان من المؤلفة قلوبهم، واستعمله عبدالله بن عامر بن كُرَيْز على جيش إلى خُراسان. انظر: أبوعبيدة- مصدر سابق، ١: ٣١١. ومحمد بن حبيب- المحبر: ١٣٤.

(٣) محمد بن حبيب - المنمق:١٠٣-١٠٥..وانظر: تاريخ الطبري، ٢:٥٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أُعرف إلا بعامر، فكان ذلك مما أوحر صدره عليه وهَيّجه إلى أن دعاه للمُنافَرَة"[١]. وهذا السبب وإن أوغر صدر عَلْقَمَة بن عُلاثَة فإن عامر بن الطُّفَيْل لا ذنب له أن طبّقت شهرته الآفاق، وبلغت مسامع قيصر ملك الروم، فجعل قُرب النسب لعامر بن الطُّفَيْل سبباً لتقدير أقاربه وأهله. والرواية الأخرى تبين أن عامر بن الطُّفَيْل تأخر عن قومه، وفيهم عَلْقَمَة بن عُلاثَة الذي استغل غياب عامر بن الطُّفَيْل فعابه بسبب عَور عينه، وعُقمه لكن عامراً خطب في قومه موضحاً سبب تأخره عليهم[٢]. ولاشك في أن هاتين الروايتين سردهما الأنباري؛ ليبين أن عَلْقَمَة بن عُلاثَة حسد عامر بن الطُّفَيْل بسبب شجاعته وشهرته، وقدرته على كسب ودّ قومه مهما قيل فيه؛ لأنه يملك القدرة على كسب المواقف لصالحه.

ولعل الأنْباري كان يميل إلى عامر بن الطُّفَيْل في منافرته مع علقمة، حيث أورد روايات كثيرة حول أسباب النفار كلها تدور حول حسد علقمة عامر بن الطفيل، ومهما يكن من كثرة الروايات فإن السبب الأساسي هو التنازع على الرئاسة، ولعلّ الأسباب الأخرى شجعت على المُنافَرَة، وهيّأت لها.

وقد يكون التنافس بين الأفراد في أمور متعددة مدعاة إلى المنافرة مثل سباق الخيل والمراهنة على الفرس الغالب، وهذا ما حدث بين مالك بن عُميلة و عُميرة بن هاجر الخُزاعي فقد روي أن عُميرة قال لمالك: " فرسي أجود من فرسك، فتراهنا على فرسيهما، وجعلا الرّهن على يدي عكرمة ابن عامر بن هاشم بن عبد مناف أيهما سبق فله مائة من الإبل، فأرسلا فرسيهما من أجياد[٣]، فأقبل فرس عُميرة سابقاً، فعرض له قاسط بن شريح بن عثمان بن عبد الدار فحبسه، فطلب عُميرة السَّبق فأبى عليه حتى كاد أن يقع الشرّ بينهما، فتداعيا إلى المُنافَرَة إلى الكاهن"[٤]. إن الاختلاف على نتيجة السباق بسبب حجز فرس الفائز، وهو لعُميرة أدّى إلى تنازع مالك وعُميرة، ودفعهما إلى المُنافَرَة، دفعاً للشرّ، وهذا يذكرنا بحرب داحس والغبراء، وما حدث فيها من مراهنة على الخيل، وكيف تحول التنافر بينهم إلى حرب، وسيأتي الحديث عن ذلك بالتفصيل في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

وهناك مُنافَرَة جرت بين حاجب بن زُرارَة وقَيْس بن مَسْعُود[٥]، ولها سبب غير مباشر هو رغبة النعمان بن المنذر في إعطاء أفضل العرب مائة من الإبل مما أدّى إلى التنافس على لقب أفضل العرب، وهذا له دلالته فهو من ملك العرب النعمان بن المُنذر، مما يعني التأكيد على مكانة من

---

(١) ديوان عامر بن الطُّفيل: ٩-١٠ . أوحر صدره: أوغره. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة "وحر".

(٢) ديوان عامر بن الطُّفيل: ٩-١٠ .

(٣) أجياد: موضع بالقرب من مكة بلي الصفا. ياقوت الحموي – معجم البلدان،١:٥٠١.

(٤) محمد بن حبيب – المنمق:١٠٩.

(٥) قَيْس بن مَسْعُودبن قيس بن خالد بن عبدالله ذي الجدّين من بني ذُهْل بن شَيْبان، جاهلي، وله شعر.كان عاملاً لكسرى هرمز بن أبروز على طف العراقين و الأُبُلّة ، وهو أو الشاعر بسطام الشَيْباني. انظر: المرزباني – معجم الشعراء: ٣٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سيحمل اللقب، ومن ثم يحوز هذه الإبل " وكان من حديث ذي الجَدَّين [قَيْس بن مَسْعُود] أن الملك النُّعمان قال: لأُعْطِيَنَّ أفضل العرب مئة من الإبل، فلما أصبح الناس اجتمعوا لذلك، فلم يكن قَيْس بن مَسْعُود فيهم، وأراده قومه أن ينطلق، فقال: لا، ولئن كان يريد بها غيري، لا أشهد ذلك، وإن كان يريدني بها لأُعْطِيَنَّها، فلما رأى النُّعمان اجتماع الناس، قال لهم: ليس صاحبها شاهداً، فلما كان من الغداة، قال قومه: انطلق، انطلق، فدفعها إليه الملك، فقال حاجب: أبيت اللّعن، ما هو أحقّ بها مني، فقال قَيْس بن مَسْعُود: أنافره عن أكرمنا قَعِيدة، وأحسننا أدب ناقة، وأكرمنا لئيم قوم، فبعث معهما النُّعمان من ينظر في ذلك"[1].

مما سبق نجد أن تفضيل النُّعمان بن المنذر بإعطاء أفضل العرب مائة من الإبل يكتسب أهمية؛ لأنه يأتي من ملك العرب النُّعمان بن المنذر، مما سيرفع من قدر المفضل على غيره من العرب وخاصة أن مجالس النُّعمان يغشاها أشراف العرب ووجهاء القبائل، وهذا ما دعا حاجِب بن زُرارَة إلى منافسة قَيْس بن مَسْعُود.

و لم يغير حضور الأشراف ووجهاء القبائل رأي النُّعمان؛ لأنه اختار من سيفضّله على غيره مما دَعَـاه إلى تأجيل ذلك؛ لأن قَيْس بن مَسْعُود غير حاضر، ولهذا شجعه قومه على الذهاب في المرة الأخيرة. وهذه المُنافَرَة تحمل عدّة دلالات:

- أن التفضيل قد تم لدى النُّعمان بن المنذر.
- أن قَيْس بن مَسْعُود يعرف قدر نفسه، و لا يرضى بأن يضع نفسه إلا في أجلّ مقام يليق به، لذا عرف الناس وخاصّة النُّعمان بن المنذر قدره.
- أن من أسباب تفضيل النُّعمان بن المنذر قيساً على غيره عراقة نسبه وهو يتساوى في هذا مع حاجِب بن زُرارَة إضافة لمكانة قيس عند العرب، ولأنه عامل كسرى هرمز بن أبرويز على طَفّ العراق والأُبُـلّة مما جعل النُّعمان يفضله على حاجِب بن زُرارَة.
- أن المتتبع لأخبار النُّعمان يجد أن من عاداته تفضيل شخص على آخر في مجالسه عند استقباله للوفود العربية.
- أن ما يلفت النظر في هذه المُنافَرَة أن المجالات التي حددها قَيْس بن مَسْعُود غريبة وفريدة، لعلّه اختارها لشدّة ثقته بنفسه وبمكانته عند قومه.

---

(١) ابن رشيق – العمدة، ٢: ٩٤٠. قَعِيدة: أيّ زوجة لقعودها في البيت. ابن منظور – لسان العرب، مادة" قعد".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥- إقامة الحقّ:

إن رغبة بعض أفراد القبيلة في إقامة الحقّ، ونيلهم لحقوقهم قد تدفع بالأمور إلى المُنافَرَة التي تتهيّأ ظروفها من خلال هذا التنازع فيحاول كلّ طرف أن يثبت أنّه صاحب حقّ. وهذا ما حدث في مُنافَرَة عبد المطلب بن هاشم و ثقيف، حيث " كان لعبد المطلب بن هاشم مال بالطائف يُقال له ذو الهَرْم فادعته ثقيف، وجاؤوا فاحتفروا، فخاصمهم فيه عبد المطلب إلى الكاهن بالشام يُقال له عُزّى سَلِمَة العُذْرِيّ"[١]. وهذا الاختلاف في ملكية المال فصل فيه الكاهن باثبات أنه لعبد المطلب بن هاشم من خلال ادعاء معرفته بالغيب، مما دفع بالثقفيين في ردة فعل لهم إلى طلب المُنافَرَة ، حيث " غضب الثقفيون فقال جندب بن الحارث:اقضِ لأرفعنا مكاناً، وأعظمنا جِفاناً..."[٢]. ولقد نفّر الكاهن عبد المطلب بن هاشم مما شجع الأخير على تحويل المُنافَرَة من شخصية إلى قبلية بين مُضر وثقيف، فنفّر الكاهن مُضر.

وقد يؤدي البحث عن الحقيقة، ومحاولة إثبات الحقّ إلى التنافر، وذلك هو ما جرى بين عبد المطلب بن هاشم وحَرْب بن أُمَيَّة الذي أغرى بعض فتيان قريش بقتل تاجر يهودي من أهل نَجْران[٣] مما" جعل عبد المطلب لا يعرف لـه قاتلا حتى كان بعد فعلم من أين أتى، فأتى حَرْب بن أُمَيَّة، فأنبه لصنيعه، وطلب بدم جـاره، فأبى حـرب ذلك عليه، وانتهى بهما التماحك واللـجاج إلى المُنـافَرَة"[٤]. لدى نُفَيْل بن عَبْد العـزّى[٥]، فيتبين أن محاولة البحث عن القاتل والأخذ بدم التاجر اليهودي أفضت بهما إلى المُنافَرَة.

ولابد هنا من الإشارة إلى أن المُنافَرَة التي حدثت في بني لوي بسبب اتهام عامر بقتل أخيه عمرو بن لوي بن غالب، التي حكم فيها سَطِيح الذئبي ببراءة عامر بن لوي من دم أخيه[٦]، لاتعد مُنافَرَة بالمعنى الاصطلاحي، وهو المحاكمة في المفاخرة بالنسب، بل بالمعنى اللغويّ وهو المحاكمة بشكل عام. ويصدق الأمر على مُنافَرَة عُتبة بن ربيعة[٧] والفاكه بن المغيرة

---

(١) محمد بن حبيب- المنمق: ٩٨ – ٩٩. عُزّى سَلِمَة العُذْرِيّ: هو أحد حكّام الجاهلية من الكهان، تنافر إليه عبد المطلب وبنو ثقيف وغيرهم. انظر: الألوسي: بلوغ الأرب: ١: ٢٧٨.

(٢) محمد بن حبيب- مصدر سابق:١٠١.

(٣) نَجْران:موضع في اليمن من ناحية مكة. ياقوت الحموي - معجم البلدان، ٥:٢٦٦.

(٤) محمد بن حبيب – مصدر سابق: ٩٤.

(٥) هو نُفَيْل بن عبد العُزّى بن رياح، من بني عَدي بن كعْب من قريش، وهو جدّ عمر بن الخطاب – رضي الله عنه - وهو أحد قضاة العرب في الجاهلية، تحاكمت العرب إليه في الخصومات والمنافرات. انظر: محمد بن حبيب- المحبر: ١٣٣.

(٦) المصدر نفسه: ١١٧ . وهناك منافرة بالمعنى اللغوي بين قريش ودُوَيْك الذي سرق غزالي الكعبة، انظر: تاريخ الطبري، ١: ٥٢٥.

(٧) هو عُتْبة بن ربيعة بن عبد الشمس، يكنى أبا الوليد، وهو أحد سادات الجاهلية، خطيب جاهلي، قتل يوم بدر نحو ٢ هـ. محمد بن حبيب- المحبر: ١٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المَخْزُومِيّ التي حكم فيها كاهن اليمن ببراءة هند مما رميت به من اتهام[١]. ولعلّ ما يدفعنا لهذا القول هو لجوء الحُكام، وهم الكهان هنا إلى الحُكم مباشرة دون الاستماع إلى المتنافرين، فهم يحكمون بما يملكون من معرفة بالغيب حسب ما يزعمون.

ثانياً: عناصر المُنافَرَة:

أ-الحُكام:

١-صفات الحُكام ومكانتهم:

نقف بداية عند المعنى اللُغوي والاصطلاحي لكلمة الحُكام، وهي مأخوذة من المادة اللُغوية (حكم)، ويعني العِلم والفقه والقضاء بالعدل، وجمعه أحكام. تقول العرب حَكَم عليه بالأمر يَحْكُم حُكْماً وحُكُومة. وأصل الحكومة ردّ الرجل عن الظلم، ومن هذا قيل للحاكم بين الناس حَاكم وقاضٍ؛ لأنه يَمْنع الظالم من الظُلم. والحاكم: مُـنَفـذ الحُكم، وهو الحَكم، والجمع حُكام. وحاكمه إلى الحَكم: دعاه. وحَكّموه بينهم: أمروه أن يحكم. يُقال: حَكّمنا فلاناً فيما بيننا أي أجزنا حُكْمه بيننا وحَكّمَهُ في الأمر فاحْتَكَمَ: جاز فيه حُكْمُهُ، والاسم الأُحْكُومَةُ والحُكُومَةُ. والمُحَاكَمَة: المخاصمة إلى الحاكم. واحتكموا إلى الحاكم، وتحاكموا بمعنى. والحَكَمَة: القضاة. والحِكْمـة: العـدل[٢].

مما سبق نجد أن أساس الحُكم هو القضاء بالعدل، ويُسمى الحاكم والحَكم بهذا الاسم؛ لأنه يَمْنع الظالم عن الظلم، ويفصل بين الناس في الخِلاف والخصومة. وما يصدره من رأي وقرار يُسمى حُكْماً. ويفرّق جواد علي بين الحَكَم والحاكم " ومنهم من جعل [الحَكَم] الشخص الذي ينظر في العرف، والحاكم الشخص الذي ينظر في القوانين"[٣].

ولا نكاد نظفر بنصوص عن استعمال كلمة القاضي مرادفة لكلمة الحاكم إلا ما جاء في وصف عامر بن الظَّرِب[٤] بحاكم العرب وقاضي العرب [٥]. ويرى جواد علي أن ذلك دليلاً على

---

(١) محمد بن حبيب- المنمق: ١١٨.

(٢) انظر: ابن منظور - لسان العرب، مادة "حكم". وانظر: أبو عبيدة - شرح نقائض جرير والفرزدق، ١:٢٢٩.

(٣) جواد علي- المفصل، ٥:٤٩٦.

(٤) هو عامر بن الظَّرِب بن عمرو بن عبّاد بن يشكر بن عدوان بن قيس، وهو حكم مضر وإمامها وفارسها في الجاهلية، ولا تعدل العرب بفهمه فهما، ولا بحكمه حكما، وقيل إنه صاحب قصّة المثل " إن العصا قرعت لذي الحِلْم "، وقيل إن المثل لغيره، وملخص قصة المثل أنه قال لابنته بعدما طعن في العمر أن تقرع له العصا إن أخطأ في حكمه حتى ينبّه. انظر: محمد بن حبيب - المحبر: ١٣٥؛ الآمدي - المؤتلف والمختلف: ٢٣٠؛ والميداني- مجمع الأمثال، ١: ٦٢.

(٥) جواد علي- مرجع سابق، ٥:٤٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استعمال كلمة قاضٍ مرادفة لكلمة الحاكم، لكن تبقى لفظة الحَكَم والحاكم هي المستعملة في النصوص الجاهلية التي وصلتنا.

ولقد حظي الحكام بمكانة مرموقة في المجتمع الجاهلي، لدورهم في إنهاء المشاجرات والخصومات والقضاء بالعدل لدى أغلب الحكام، ولقيام بعضهم بالإصلاح بين المتخاصمين والمتنافرين، حفاظاً على الدماء؛ لأن المُنافَرات قد تجر إلى حروب . وقد تحدث اليعقوبي في كتابه عن الحُكام ودورهم " وكان للعرب حُكام ترجع إليها في أمورها، وتتحاكم في مُنافَراتها، و مواريثها ومياهها ودمائها؛ لأنه لم يكن دين يرجع إلى شرائعه. وكانوا يُحَكِّمون أهل الشرف، والصدق، والأمانة، والرئاسة، والمجد، والتجربة"[١]. من خلال الخبر السابق تتضح الموضوعات التي تحاكم فيها الجاهليون ومنها المُنافَرات والمواريث والمياه والقتل، واعتمدوا فيها على الأعراف واستنتاج الأحكام من خلال تجاربهم ومعرفتهم بالحياة، ومع مرور الأيام امتلكت هذه الأعراف قوة فجعلتها أقرب إلى القوانين التي سار عليها الجاهليون إلى أن جاء الإسلام.

يتضمن الخبر السابق لليعقوبي بعض صفات الحكام وهي الشَّرف، والصدق، والأمانة، والرئاسة، والتجربة. ولعلّ أهم هذه الصفات هي العدل، ومما يدل على ذلك أن المعنى اللُّغوي يربط القضاء بالعدل، لذا فهذه الصفة مرغوبة في الحَكَم، وسبب لاشتهاره بين الناس، وفي ذلك يقول زُهَيْر ابن أبي سلمى:

متى يَشْتَجِرْ قَوْمٌ تَقُــلْ سَرَواتُهُم

هُمُ بَيْنَنا فَهُمُ رِضىً وهُمُ عَدْلُ[٢]

والعَدْل المَرْضِيّ من الناس قوله وحُكْمه، وجمعه عُدُول[٣]، وبهذا فإن العدل سبب لرضى الناس بالحكم، وسيأتي الحديث عن الحُكام العُدُول ومن تلقى الرشاوى منهم في موضعه من هذا الفصل.

ومن الصفات الضرورية للحكام في الجاهلية الحِكْمة، نظراً لأهمية الحُكْم الذي سيقضي به الحَكَم؛ لأنه سيؤثر على القبيلة بمجملها فيرفعها أو يترلها عن مكانها، وقد يقع الشَّرّ بين القبيلتين المتنافرتين أو في القبيلة الواحدة. ونستطيع أن نقول إن الحُكْم شهادة مُصدقة – إن كان الحَكَم

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ١:٣١١.

(٢) ديوان زُهَيْر بن أبي سلمى: ٩٠ سَرَوات: السَّري الرجل الشريف الكريم. انظر ابن منظور-لسان العرب، مادة " سرى".

(٣) الفراهيدي- معجم العين، ٢:٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عادلاً- بحَقِّ القبيلة، وخير دليل على ذلك ما جاء في مُنافَرَة عبد المطلب بن هاشم وقبيلة ثقيف " فقال عبد المطلب: اقضِ بين قومي وقومه أيهم أفضل فقال [الكاهن عُزّى سَلِمَة العُذْرِيّ] :

إن مَقَالي فاسْمعُوا شهادة

أن بني النَّضْرْ كِرَامٌ سَادة "[١].

إن معنى الحِكْمة هو " معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم. ويقال لِمن يُحْسِن دقائق الصناعات ويُتقنها: حَكِيم، والحكيم يجوز أن يكون بمعنى حاكم... والحَكِيم العالم وصاحب الحِكْمة"[٢]، وبهذا نجد أن كلمة حَكِيم يجوز أن تأتي مرادفة لكلمة حاكم، ولابد أن يتصف الحكم في المُنافَرات بالمعرفة الواسعة لأنساب العرب وأيامها، والفِطنة، والبلاغة، وفصاحة اللسان؛ حتى يستطيع الفصل في الخصومات والمُنافَرات، ولابد أن يتسم بالحكمة، وحسن التصرف مع إدراكه الآثار المترتبة على حُكْمه؛ لذا لجأ بعض الحُكام إلى المساواة بين المتنافرين حقناً للدماء، ورغبةً في الإبقاء على صلة الرّحم بين بطون القبيلة.

ويرفع جواد علي مكانة الحُكام إلى درجة الفلاسفة، وفي ذلك يقول " ورأوا في الحاكم الرجل العادل البصير الحكيم الذي ينفذ إلى أسرار الأمور، ويعمل بحقائق الأمور، فحُكْمه حِكمة وقوله مَثَل يُعمل به، لما فيه من عمق وتبصر ونفاذ إلى داخل الأشياء؛ لأنه صادر عن حكيم حليم راجح العقل، عقله فوق مستوى العقول. فهو حاكم وحكيم، وفيلسوف يفلسف المعضل المشكل، والأمر المتنازع عليه المشتبه فيه"[٣]. ونجد في القول السابق مبالغة إلى حدّ ما فالحَكَم في الجاهلية شخص لديه علم بأنساب العرب وأيامها، ويمتاز بالحِكمة، والحلم بسبب خبرته وتجربته في الحياة، ويتسم ببعد النظر وبالعدل في القضاء والفصل، أما رفع مكانة الحُكام إلى درجة الفلاسفة فهذا فيه شيء من المبالغة؛ لأن الفيلسوف هو من يملك رؤية شاملة للإنسان والكون. ولا ننكر بأن بعض الحُكام قد بلغ مكانة في المجتمع الجاهلي جعلت الآخرين يرفعونهم إلى أعلى قدر، ومن ذلك ما قيل في أحد الحُكـــام، وهـــو " وكيع بن سلمة بن زهر بن إياد، وهو صاحب الصرح بِحَزْوَرَةِ مكة. وقد أكثروا فيه فقالوا كان كاهناً، وقالوا كان صديقاً من الصديقين"[٤]. هنا رفعت مكانة هذا الحكم إلى درجة الكاهن والصِّدّيق مما يُعطي الثقة بأحكامه، ولا غرابة في أن نجد بعض الأحكام التي سنّها بعض الحُكام قد

---

(١) محمد بن حبيب- المنمق:١٠٢.

(٢) ابن منظور - لسان العرب، مادة " حكم ".

(٣) جواد علي- المفصل، ٥:٥٠٣.

(٤) محمد بن حبيب- المحبر:١٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أقرّها الإسلام ومنهم الأقرع بن حابس، وقال عنه أبو عـــبيدة كانوا: "يَصْدرون عن رَأيه، وذهب حُكْمُهُ ورَأيُهُ مع النبوة "[١].أيّ أن رأيه وافق بعض ماجاء به الإسلام من أحكام.

وإذن فإن الحُكام من حُكماء وكهان هم المُشرعون في العصر الجاهلي، واللجوء إليهم يكون برضى الطرفين، مما يجبرهما على تنفيذ حُكم الحَكَم الذي ارتضوه، وأحياناً يطلب بعض الحُكام مَنَعَةً قبل الفصل بين المتنافرين مثلما طلب هَرِم بن قُطْبَة[٢] من عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعامر بن الطُّفَيْل " فقال هَرِم : لعمري لأَحْكُمنَّ بينكما، ثم لأَفصلنَّ، ثم لستُ أثقُ بواحد منكما، فأعطياني موثقاً اطمئن إليه أن ترضيا بما أقول، وتُسلّما لما قضيتُ بينكما"[٣]، وطلب هَرِم الموثق منهما قبل الحُكْم والفصل؛ لضمان رضائهما عن حُكْمه، وللحصول على قوة تنفيذية تجبر المتنافرين على الامتثال للحُكْم مهما كان.

٢- أنواع الحُكام:

لعلّ أبرز الحُكام في الجاهلية كانوا من الحُكماء والكُهان، وفي ذلك يقول الحُطيئة:

وَمَا أسَاء فِـــــــواراً مِنْ مُجَلّحة

ولا كَاهِنٌ يَمْتَرِي فِيَها وَلا حَكَمُ [٤]

ومن يَحْكم في الخصومات والمنازعات بشكل عام هو الكاهن والحكيم؛ لإعطاء كل ذي حقّ حقه، وفي المُنافَرات ليرى الحكم أيُّهما له الشرف والمجد من المتنافرين، لكن عند دراسة المُنافَرات نجد أشخاصاً آخرين مثل الملوك، والشعراء، وبعض الطوائف الأخرى.

- **الحُكماء:**

لكلّ قبيلة في الجاهلية حُكامها الذين تلجأ إليهم في المنازعات والخصومات، وتجدر الإشارة هنا إلى لجوء العرب إلى حُكام قريش غالباً، وذكر الأصفهاني أن العرب تتحاكم إلى قريش [٥]،

---

(١) أبو عبيدة- شرح نقائض جرير والفرزدق،٢:٤٤١.

(٢) هو حكيم، امتاز بالبلاغة والفصاحة، وهو أحد الحكّام المشهورين بالعدل في الجاهلية، أدرك الإسلام، وثبت في الردّة. انظر: : ابن دريد- الاشتقاق: ٢٨٣؛ الميداني: مجمع الأمثال، ١: ٣٩٥.

(٣) الأصفهاني- الأغاني، ١٦:٢٨٧. انظر: ابن نباتة - سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون: ١٦٤.

(٤) ديوان الحطيئة تحقيق: نعمان محمدأمين:١٦. مُجَلّحة : داهية، ابن منظور-لسان العرب، مادة(جلح)، يقول ما أساء عامر ولا قومه حين فروا أو حاجزوه عند المُنافَرَة.

(٥) الأصفهاني - مصدر سابق، ١٦:٢٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا يدل على مكانة قبيلة قريش بين القبائل العربية وامتثالهم لأحكامها، فلم يقتصر التحكيم على الفصل في الخصومات، إنما اتسع ليشمل التحكيم في جودة الشعر أيضا، وما تقبله قريش يصبح مقبولا، وما ترده يصير مردودا، ومثال ذلك ما حدث مع عَلْقمة بن عبدة مشهور حيث وصفت قريش قصيدتيه بسمطي الدَّهر [١]، وهذا يعني أن رأي قريش قاطع وحاسم بالنسبة إلى الشعراء وغيرهم.

ومما يدل على ذلك لجوء عَلْقَمَة بن عُلاثَة و عامر بن الطُّفَيْل إلى حُكام قريش ومنهم أبو سفيان بن حَرْب بن أُمَيَّة، وأبو جهل بن هشام فرفض كلّ منهما؛ لأن عامرا وعلقمة من القبيلة نفسها، ومن الصعب تنفير أحدهما على الآخر؛ فالشّرّ قد يقع بينهما، وهذا سبّب ضيقا لمروان بن سُرَاقَة بن قَتَادَة بن عمرو بن الأحوص بن جعفر فقال:

يالَ قُرَيْشٍ بيِّنوا الكَلامَـــا

إنَّا رَضَيْنَا مِنْكُمُ الأَحْكَاما

فَبَيِّنُـــوا إنْ كُنتُمُ حُكّامَـــا

كَـــانَ أبُـــونا لَهُمُ إمَامَـــا[٢]

هنا لم يكتف المتنافران بحَكم واحد بل ذهبا لحَكَمَيْن من قريش قبل الذهاب إلى غيرهم من حُكام القبائل الأخرى.

وهناك شاهد آخر ورد في خُطبة أبي طالب لما حضر نكاح الرسول – صلّى الله عليه وسلّم – على خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها – حيث قال : " الحمدلله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إســـــماعيل .... وجعل لنا بيتاً مَحجوجاً، وحَرماً آمناً، وجعلنا الحُكام على الناس"[٣]، وهنا نلاحظ أن أبا طالب قد عدد مميزات قريش، ومنها لجوء الناس إلى حُكامهم؛ نظراً لما تمتعت به قريش بشكل خاص، ومكة بشكل عام من مكانة دينية وتجارية وأدبية جعلها محط الأنظار، وقِبلة القاصدين.

---

(١) انظر: الأصفهاني- الأغاني ، ٢١ : ٢٠٦.

(٢) المصدر نفسه ،١٦:٢٨٧.

(٣) الأبشيهي- المستطرف من كل فن مستظرف،٣: ١٨٥، وانظر: الآبي – نثر الدر، ١: ٣٩٦. لم أجد الخطبة في السيرة النبوية لابن هشام، ولا في تاريخ الطبري.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونقف هنا عند أسماء أشهر حُكام العرب ، وأولهم هو " الأفْعى بن الحُصَيْن بن غَنَم بن رُهْم بن الحارث الجُرْهُمي[١] الذي حكم بين بني نِزار بن مَعَدٍّ في ميراثهم"[٢]. أما أشهرهم فهم" ثلاثة : هَرِم بن قُطْبَة، وهَرِم بن سِنان المرّيّ مرّة غطفان[٣]، ومعاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب، وهو مُعوّد الحُكام"[٤]. وهناك خبر آخر لأهم الحُكام في الجاهلية، ذكره صاحب القاموس المحيط: " وحكام العرب في الجاهلية أَكْثَم بن صَيْفي[٥]، وحاجِب بن زُرارَة، والأَقْرع بن حابس، وربيعة بن مُخاشِن[٦]، و ضَمْرة بن أبي ضَمْرَة لتميم، وعامر بن الظَّرِب، وغَيْلان بن سلمة[٧] لقيس، وعبد المطلب وأبو طالب، والعاص بن وائل[٨]، والعلاء بن حارثة[٩] لقُريش، وربيعة بن حُذار[١٠] لأسد، ويَعْمُر بن الشَّدَّاخ[١١]، وصَفْوان بن أمية[١٢]، وسَلْمَى بن نُوفَل[١٣] لكِنانَة"[١٤]، وبهذا نجد أن أشهر حُكام العرب هم من قبيلة كِنانة وخاصة قريش وقبيلة بني تميم، و لا عجب في ذلك فالعرب كانت تتحاكم عند قريش، وقبيلة تميم التي أُسند إليها القضاء كثيراً في أسواق العرب وخاصة سوق عُكاظ. أما أسماء حُكّام كلّ قبيلة فلقد ذكرهم كلّ من محمد بن حبيب و اليعقوبي [١٥].

---

(١) هو أول الحكّام عند العرب كما ذكرت الأخبار، حكم بين نزار ومعدّ في ميراثهم، من أولاده السَّبَّد والعاقِب، أسقفا نجران اللذان أرادا مباهلة الرسول – صلى الله عليه وسلم –. انظر : محمد بن حبيب – المحبر: ١٣٢؛ تاريخ اليعقوبي: ٣١١.

(٢) محمد بن حبيب – مصدر سابق: ١٣٢ وما بعدها، وانظر: تاريخ اليعقوبي:٣١١.

(٣) هو هَرِم بن سِنان بن أبي حارِثَة المُرّي، جواد مشهور بالكرم، ويقال في المثل: " أجود من هَرِم "، وهو من ممدوحي زهير بن أبي سلمى. انظر محمد بن حبيب– مصدر سابق: ١٤٣؛ و ابن دريد– الاشتقاق: ٢٨٨ ؛ والميداني: مجمع الأمثال، ١: ٣٣٦.

(٤) هبة الله الحلبي– المناقب الزيدية في أخبار الملوك الأسدية،١:١٧٤.

(٥) هو أَكْثَم بن صَيْفي بن رِياح بن الحارث بن مُخاشِن، حكيم وخطيب جاهلي، أحد حكّام بني تميم، تعلّم الأنساب من عبدالمطلب بن هاشم، أدرك النبي – صلى الله عليه وسلم – فكان يوصي قومه في اتباعه، ولكنّه لم يسلم. انظر: محمد بن حبيب – مصدر سابق: ١٣٤.

(٦) هو ربيعة بن مُخاشِن بن معاوية بن شريف بن أُسَيِّد عمرو بن تميم، كان يجلس على سرير من خشب، ولذلك لقّب بذي الأعواد. انظر: محمد بن حبيب– المحبر: ١٣٤.

(٧) هو غَيْلان بن سَلَمَة بن مُتْعِب بن مالك بن كعْب بن عمرو بن سعْد بن عوْف، حكم قبيلة قيس وقاضيها، كان يجلس في المواسم فيحكم بين الناس يوما، وينشد شعره يوما، وينظر إلى وجهه يوما. انظر: محمد بن حبيب– مصدر سابق: ١٣٥.

(٨) هو العاص بن وائل أبو عمرو بن العاص، كان سيدا مطاعا في قريش، وله مكانة فيها، توفي في مكة قبل الهجرة. انظر: ابن دريد– الاشتقاق: ١١٢٦؛ الألوسي– بلوغ الأرب، ١ : ٣٦١.

(٩) هو من بني زهرة، من حكّام قريش، مميّز بعلوّ مكانته ونفوذ حكمه، ومعرفته بأحوال العرب وأنسابهم، أسلم وكان من المؤلفة قلوبهم. انظر: محمد بن حبيب– مصدر سابق: ١٣٣و ٤٧٣؛ والألوسي– بلوغ الأرب، ١ : ٣٦١.

(١٠) هو أحد حكّام العرب المشهورين، وهو من قبيلة أسد، حكم في عدة منافرات من أشهرها مُنافَرَة القَعقاع بن مَعْبد وخالد بن مالك النهشلي. انظر: ابن دريد– مصدر سابق: ٢٣٧.

(١١) هو يَعْمر بن عَوف بن كَعْب، من رجال بني كِنانة، لقب الشَّدَّاخ لأنه أصلح بين قريش وخزاعة في الحرب التي دارت بينهم. محمد بن حبيب– مصدر سابق: ١٣٣؛ ابن دريد– مصدر سابق: ١٧١.

(١٢) هو صَفْوان بن أمية بن محرّث بن خُمل بن شِقّ بن رُقبة بن مالك بن كنانة، فصيح اللسان ومشهور البيان، من أجواد الجاهلية، وهو من المؤلفة قلوبهم. انظر: محمد بن حبيب – المحبر: ١٣٣ و ٤٧٣؛ والألوسي– مصدر سابق، ١: ٣٦٣.

(١٣) هو سلمى بن نوفل بن معاوية بن عروة بن صخر بن يعمر بن نفاثة بن عدي الدّيل، من أجواد الجاهلية، ومن أشهر حكّام كنانة. انظر: محمد بن حبيب– مصدر سابق:١٣٣.

(١٤) الفيروزآبادي– القاموس المحيط، مادة " حكم" .

(١٥) انظر: محمد بن حبيب– المحبر: ١٣٢ وما بعدها؛ تاريخ اليعقوبي:٣١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونورد هنا خبراً عن حُكام المُنافَرات والمفاخرات في قبيلة قريش، فقد" كان في قريش أربعة نفر يتحاكمون إليهم في عقولهم، ويحكمون بين الناس في المفاخرة، وكلّ أدرك الإسلام، منهم عَقيل ابن أبي طالب بن عبد المطلب، ومَخْرَمَة بن نُوفَل بن أَهَيْب بن عبد مناف بن زُهْرَة، وحُوَيطب بن عبد العزّى بن أبي قَيْس بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤي، و أبو الجَهْم بن حُذيفة بن غانم العَدَوِيّ وكان أبغضهم إليهم عَقيل بن أبي طالب؛ لأن الثلاثة كانوا يعدون محاسن الرجلين إذا تنافرا إليهم فأيّهما كان أكثر محاسن فضلّوه، وكان عَقيل يعدّ المساوئ فأيهما كان أكثر مساوئ أخرّه فيقول الرجلان... أظهر من مساوينا ما كان خافياً "[1].

مما سبق نجد أن كثرة التحاكم إلى قريش أدّى إلى تخصيص عدد من الحُكام للمُنافَرات والمفاخرات، لما يحتاجان إليه من علم بالأنساب وأيام العرب، ومعرفة دقيقة بمثالب الرجال ومناقبها، وبهذا يمكن أن نقول بوجود حُكام متخصصين بالمُنافَرات والمفاخرات في العصر الجاهلي. ويتبين من هذا الخبر أن هناك طريقتين للتحكيم في المُنافَرات والمفاخرات فأغلب الحُكام لجأ إلى عدّ مناقب المتنافرين مع تركيز الاهتمام على النسب، فأيهما كان أكرم نسباً، وأفضل في مناقبه من منافره – خاصة إذا تساويا في النسب– نُفّر على صاحبه عدا عَقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب الذي لجأ إلى عدّ المثالب، فأيّهما كان أقل من منافره نُفر على صاحبه. وهي طريقة فريدة خاصة به دون غيره، وربما عمد إلى ذلك ليدلل على أن الكمال مطلب عسير مهما حاول الإنسان بلوغ ذلك، غير أن طريقته أدّت إلى بغض المتنافرين وكرههم له، فلا أحد يحبّ أن تُذكر له مثالبه وخاصة أمام خصمه ومنافره؛ ولا أن يعلن ماكان خافيا على الناس أو منسيا من مثالبه. ونجد ذكراً لهذه المثالب في منافرة بني فزارة وبني تميم[2].

وإذا كانت قبيلة قريش قد اختارتها القبائل للتحاكم والتنافر لديها، فإن قبيلة تميم انفردت في كثير من الأحيان بالتحكيم في سوق عُكاظ قبل ظهور الإسلام " الحُكام والأئمة في المواسم كانوا بعد عامر بن الظَّرِب في بني تميم. فكان الرجل يلي الموسم منهم، ويلي غيره القضاء. فكان ممن اجتمع له الموسم والقضاء جميعاً سَعْد بن زيْد مناة بن تميم ... وكان آخر تميمي اجتمع له القضاء والموسم محمد

---

(١) محمد بن حبيب – المنمق: ٤٨٣ – ٤٨٤، عقيل بن أبي طالب بن عبدمناف القرشي، كان عالماً بأنساب العرب ومناقبها ومثالبها،أسلم قبل الفتح. وانظر: العسقلاني – الإصابة في تمييز الصحابة،٤:٤٣٩.

(٢) انظر: المعري– شروح سقط الزند،٢:٥٣٣؛ الميداني– مجمع الأمثال،١:١٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن سفيان بن مُجاشع[١] فمات. فافترق الأمر فلم يجتمع القضاء والموسم لأحد منهم حتى جاء الإسلام. وكان محمد بن سفيان بن مُجاشعٍ يقضي بعُكاظ، فصار ميراثاً لهم"[٢].

وإذا كان بنو تميم قضاة في سوق عُكاظ، وقد يجتمع لهم أحياناً ولاية الموسم والقضاء، فهذا يدل بوضوح على مكانتهم بين القبائل، ويتجاوز الأمر عندهم إلى توريث مهنة القضاء في عُكاظ، لتُصبح خاصة بهم لإنهاء المنازعات والخصومات والمُنافَرات بين القبائل وفي بطون القبيلة الواحدة، وبهذا نجد أن بني تميم قد تخصصت في التحكيم في سوق عُكاظ، وورثت هذه المهنة لأبنائها، وعلّمتهم كيفية القضاء وما يجب أن يتصف به القاضي من الحِكمة، والأمانة، والعدل. لكن ما الذي أكسب بني تميم حقّ الحكومة في أشهر أسواق العرب وأهمها؟ وما طبيعة علاقتهم بقريش؟

وعند قراءة أخبار بني تميم في الجاهلية نرى أن لها مكانة تؤهلها لتكون مسؤولة عن سوق عُكاظ، لذا قالت العرب تميم كاهل مُضر، وروي هذا القول عن الرسول – صلّى الله عليه وسلّم – حين سُئِل عن مُضر "كِنانَة جُمْجُمتها وفيها العينان، وأسد لسانها، وتميم كاهلها"[٣]. والكاهل " من الإنسان ما بين كتفيه، وقيل هو موصل العنق في الصلب...الكاهل الحارك وهو ما بين الكتفين"[٤]. ووصف بني تميم بالكاهل لكثرة عددهم، ولاعتمادهم عليهم " يُقال فلان كاهل بني فلان إذا رأسهم، وقام بأمرهم فاعتمدوه لما ينوبهم، وأصله من كاهل الظهر؛ لأنه المعتمد عليه فيما يُحتمل، والعرب تقول تميم كاهل مُضر؛ لأن العدد فيهم"[٥].

ولاشك في أن امتداد نفوذ بني تميم في شبه الجزيرة العربية من الأسباب التي جعلتها تحتل مكانة مرموقة، فقد امتدت ديار بني تميم بين البصرة واليمامة، ولها مواطن متفرقة في نجد وغيرها[٦]. وتقع عكاظ ضمن نفوذ بني تميم، وحدد اليعقوبي موقع سوق عُكاظ، فهو " بأعلى نجد يقوم في ذي القعدة، ويزلها قريش وسائر العرب إلا أن أكثرها مضر ، وبها كانت مفاخرة العرب وحمالاتهم ومهادناتهم "[٧]. و يعرض جواد علي بعض الافتراضات لتولي بني تميـــم الحكومة والموسم في عُكاظ، ويركّز اهتمامه على وجود علاقة بين بني تميم وقبيلة قُريش،ويقول عن هذا " رئاسة الموسم من

---

(١) هو حكم من حكّام بني تميم، وحدّ الفرزدق، اجتمع له القضاء والموسم في عكاظ، وهو رئيس بني مالك بن حنْظَلَة في يوم الكُلاب، وأبلى فيها بلاء حسنا، وقتل ابنه في هذا اليوم. انظر: أبوعبيدة – شرح نقائض جرير والفرزدق، ٢: ٦١٨؛ وابن دريد–الاشتقاق:٢٣٨.

(٢) أبو عبيدة– مصدر سابق،٢:٢٢٧.

(٣) ابن عبد ربّه – العقد الفريد، ٣:٢٩٥.

(٤) ابن منظور – لسان العرب، مادة " كهل " .

(٥) الخطابي – غريب الحديث،١:٦٠٩.

(٦) انظر: ياقوت الحموي – معجم البلدان،٢:٢٥٥، ٢: ٤٥٧، ٤:٤٣٣،٣:١٢٥وغيرها.

(٧) تاريخ اليعقوبي :٣٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرئاسات الكبيرة ذات الشأن عند قريش ومن هم في جوارها، و لا يعقل تسليمها لتميم لو لم يكن لها نفوذ سابق بمكة وصلات شديدة بقريش. صلات تتجلى بالتصاهر الموجود بين قُريش وبني تميم، ومن يدري فلعلّ تميماً كانوا بمكة، ثم ارتحلوا عنها إلى مواضع أخرى"[١].

وتذكر الكتب أسماء بعض الحكيمات العربيات، كان لهن دور في الفصل في الخصومات والمنازعات، لكن للأسف لم ترد قصص هذه المحاكمات، و لم تتعدَ الأخبار عنهن إلا نسبهن وما قد جاء من إشارات إلى أسمائهن في الشعر، و ما نُقِل عنهن من أقوال ومن هؤلاء الحكيمات " صُحْر بنت لُقْمان[٢]، وهِنْد بنت الخُسّ[٣]، وجمْعَة بنت حابس[٤]، وابنة عامر بن الظَّرِب"[٥]، ويذكر الألوسي أن اسم ابنة الظَّرِب خَصيلَة[٦] واشتُهرت صُحْر بنت لُقْمَان بالتحكيم في المُنافَرات والمفاخرات، وهي " من نساء العرب المشهورات بالعقل والكمال والفصاحة. وكانت العرب تتحاكم عندها فيما ينوبهم من المشاجرات في الأنساب وغيرها"[٧].

- **الكهان :**

انتشرت الكَهانة في العصر الجاهلي، وتُعد الكَهانة من أوابد العرب التي عرّفها القلقشندي بأنها " أمور كانت العرب عليها في الجاهلية، بعضها يجري مَجْرى الاصطلاحات والعادات، وبعضها يجري مَجْرى الخُرافات، وجاء الإسلام بإبطالها، وهي عدة أمور: منها الكَهانة، وكان موضوعها عندهم الإخبار عن أمور غيبية بواسطة استراق الشياطين السمع من السماء، وإلقاء ما يستمعونه من الغيبيات إليهم"[٨]. ويُطلق على الكاهن اسم الحازي أيضاً، ولبعضهم رئي من الجنّ [٩].

---

(١) جواد علي - المفصل، ٥:٦٥٤.

(٢) تذكر الأخبار اسمها مع الحكيمات، وقد اشتهرت بالعقل والكمال والفصاحة، تحاكم العرب عندها فيما ينوبهم من مشاجرات في النسب وغيرها. انظر: الجاحظ- البيان والتبيين، ١: ٤٠٩؛ والأصفهاني - الأغاني ، ٢٤: ٢٥٠؛ والألوسي- بلوغ الأرب،١: ٣٧٧.

(٣) هي هند بنت الخُسّ الإياديّة، حكيمة جاهلية، ولها أسجاع كثيرة وبعض الشعر، ذكر لها القالي أقوالا كثيرة فيما سألت عنه من صفات الرجال والنساء. انظر: القالي- الأمالي، ٢: ٢١٨و ٢٣٥؛ والألوسي- مصدر سابق، ١: ٣٧٣.

(٤) ورد اسمها في بعض الكتب خَمْعة، وهي حكيمة جاهلية، وفصيحة بليغة، وقيل إنها أخت هند بنت الخُسّ. انظر: الألوسي – مصدر سابق، ١: ٣٧٦.

(٥) الميداني، مجمع الأمثال،١:٦٣، وانظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة " حكم ".

(٦) من الحكيمات الجاهليات، وابنة عامر بن الظَّرِب، وقيل إن أباها كان يأمرها بأن تقرع له العصا إن حاد عن الصواب لكبر سنّه، وقد أرشدته إلى حكم ميراث الخُنثى. انظر: الجاحظ- البيان والتبيين، ٣: ٣٨؛ والألوسي- بلوغ الأرب، ١: ٣٧٧.

(٧) الألوسي- مصدر سابق،١ :٣٧٧ .

(٨) القلقشندي- صبح الأعشى في صناعة الإنشا،١:٤٥٤، وانظر: الألوسي، مصدر سابق، ١: ٢٧٠.

(٩) انظر: ابن منظور- لسان العرب، مادة " حزا " . وانظر: جواد علي – مصدر سابق، ٦: ٧٥٧ – ٧٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وردت أخبار كثيرة عن كُهّان العرب مما يدل على شيوع الكَهانة فيهم؛ لانقطاع النبوة، ومن الغريب أنّ معظمها صدق، ولذا لا نعجب من تلقيب زُهَـيْر بن جَنَاب[١] بالكاهن لصحة رأيــه[٢]. والكَهانة كادت تجري مَجْرى قريباً من الديانات، وذلك لاعتماد أكثر العرب على الكُهان في استطلاع الغيب .إن النص السابق للقلقشندي يحصر الكَهانة في أشهر أنواعها، وهو معرفة الأمور الغيبية، مثل نبوءة الكاهنة زَبْراء بهجوم الأعداء على بني رئام [٣].

وإذا كانت معرفة الغيب أشهر أنواع الكهانة، فإن هناك أنواعاً أخرى وهي " ثلاثة أضرب أحدها أن يكون للإنسان ولي من الجن يخبره بما يسترقه من ا لسمع من السماء، وهذا القسم بَطُل من حين بعث الله نبينا – صلّى الله عليه وسلّم – الثاني أن يخبره بما يطرأ أو يكون في أقطار الأرض وما خفي عنه مما قرب أو بعد... والثالث المنجمون، وهذا الضرب يخلق الله تعالى فيه لبعض الناس قوة ما لكن الكذب فيه أغلب، ومن هذا العَرّافَة، وصاحبها عرّاف، وهوالذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدّعي معرفتها به "[٤].ويرى المعتزلة وبعض المتكلمين أن الضربين الأول والثاني انتهيا بظهور الإسلام، وبقي الضرب الثالث الذي يداخله الكذب كثيراً.

ويجعل الألوسي حالة السجع أرفع مراتب الكُهان معللاً حُكْمهُ بقوله" معنى السجع أخف من سائر المغيبات من المرئيات والمسموعات، وتدل خفة المعنى على قرب ذلك الاتصال، والإدراك فيه والبعد عن العجز بعض الشيء "[٥]. ولاشك في أن السجع ارتبط كثيراً بالكُهان؛ وهو يتيح للكاهن الاقتراب مما خبّأ المتنافران شيئاً فشيئاً، فما يقوله الكاهن عام يتحدد أكثر حين يطلب المتنافران منه ذلك، وقد يصدق السجع على أشياء أخرى محتملة.

لعل معرفة الكُهان بكثير من الأمور والحوادث الغيبية، وصدق النبوءة جعلتهم يحتلون مكانة دينية مهمة في العصر الجاهلي،ومعظمهم كان يخدم بيوت الأصنام والأوثان، ولهذا تبوّأ كثير منهم منصب الحُكام بين أهل القرى خاصة،مما جعل الناس يلجأون إليهم في أمورهم، وعند قبيلة قريش، ولعلّ ذلك يعود إلى مكانتها الدينية،فلمن تتحاكم هي إذا كانت العرب تتحاكم إليها ! ولأنها لا تجد

---

(١)هو زُهَيْر بن جَناب بن هُبَل بن عبدالله بن كنانة بن بكر الكلبي، شاعر وفارس، وهو من المعمّرين، أي أنه رأس ألف رجل في الحرب، قيل عن موته إنه شرب الخمر صرفا حتى مات؛ لأن ابن أخيه عبدالله بن عُلَيْم بن جَناب قد خالفه الرأي. انظر: القالي- الأمالي، ٣: ٤٢٨؛ وعمد بن حبيب- المحبر: ٢٥٠ ، ٤٧١؛ الآمدي – المؤتلف والمختلف: ١٩١.

(٢) الأصفهاني - الأغاني،١٩:٢٦.

(٣) القالي – الأمالي، ١: ١٢٦. ولمزيد من التفصيل انظر: عمد إبراهيم الفيومي – تاريخ الفكر الديني الجاهلي: ٤٨٥.

(٤) النووي - شرح صحيح مسلم، ١٤:٢٢٣.

(٥) الألوسي- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب:١:٢٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحداً في رجاحة عقلها ومكانتها، ولقد احتكمت قبيلة قريش لدى الكاهن الخُزاعي أكثر من غيره؛ بسبب وجود حلف بينها وبين قبيلة خزاعة.

وقوي نفوذ الكُهان بين أهل القرى أكثر من البادية، وهذا التقسيم الجغرافي يستند إلى القوة والنفوذ، ففي البادية كان الحُكم والنفوذ فيها للأشراف ورؤساء القبائل بما يتمتعون به من الشرف والمجد، ومعرفة أنساب العرب، إضافة إلى قوة المنطق والحجة لديهم، وحرصهم على العدل، مع فصاحة اللسان وبلاغتهم، بينما يتمتع الكُهّان بمعرفة الأمور الواقعة والغيبية من خلال اختبار يجريه المتحاكمون؛ للتثبت من صدق الكاهن، إضافة إلى حرص الكهان على استخدام السجع في التحكيم والتنفير، وشاركهم في ذلك بعض الحُكام الحكماء حيث علّق الجاحظ على ذلك قائلاً: " كانوا يتكهنون ويُحْكمون بالأسجاع.... وهذا الباب كثير ألا ترى أن ضَمْرة بن ضَمْرة، وهَرِم ابن قُطْبَة، والأقْرَع بن حابس، و نُفَيْل بن عبد العُزّى كانوا يُحْكمون ويُنَفّرون بالأسجاع، وكذلك ربيعة ابن حِذار"[١]، ومع استخدام بعض الحُكام الحُكماء، إلا أن استخدام السّجع هو الصفة المميزة للكهان؛ لأنهم اعتمدوا على السجع في أكثر كلامهم لا في التنفير فقط.

ومن أسماء أهم الحُكام من الكُهان عُزّى سَلِمَة الكاهن، الذي وصف بأنه أكهن العرب وأسجعهم [٢]، وشِقّ بن أنمار بن نزار [٣]، وسَطِيح بن مازن بن غسان، وخُنافِر بن التَّوْأَم الحِمْيَرِي[٤]، وسَوَاد بن قَارِب الدُّوْسِيّ [٥]، أما الكاهنات فأهمهن طريفة الكاهنة التي تنبّأت بالسيل العرم، وزَبْرَاء الكاهنة [٦]، وسلمى الهَمْدَانِيَّة الحِمْيَرِيَّة [٧]، وفاطمة بنت مُرّ الخَثْعَمِيَّة [٨]، وهي كاهنة كانت بمكة رأت نور النبوة في والد الرسول – صلّى الله عليه وسلّم – فعرضت عليه فأعرض عنها، وتزوج السيدة آمنة بنت وهب[٩]، ونضيف إلى ذلك العز الكاهنة بنَجْران التي تنافر

---

(١) الجاحظ – البيان والتبيين،١: ٢٩٠.

(٢) المصدر نفسه، ١: ٢٩٠.

(٣)هو من قبيلة بَجِيلَة، وهو أحد كهّان الجاهلية المذكورين، بلغ من العمر فيما زُعِم ثلاثمائة سنة، ورويت أخبار عنه. انظر: ابن دريد– الاشتقاق: ٩٧.

(٤) هو كاهن مميز بسُطة في الجسم وسعة في المال، كان عاتيا، قيل بإن له ريّا لا يغيب عنه، اسمه شِعْار، غاب عنه مدّةً بعد انتشار الإسلام، وجاءه ذات ليلة، وقد وفد خُنافر على الرسول – صلى الله عليه وسلم – . انظر: القالي – الأمالي، ١: ١٣٤.

(٥) هو رجل من اليمن، وأحد حكّام العرب، وأشهرهم في الكهانة والشعر، ويورد القالي ما حدث بينه وبين خمسة رجال من بني طيئ ، وفد على النبي – صلى الله عليه وسلم – . انظر: القالي– مصدر سابق، ٢: ٢٨٩؛ والألوسي – بلوغ الأرب، ١: ٣٠٦.

(٦) هي أمة لعجوزٍ من بني رِئام اسمها خُوَيْلَة، وهي من مُوَلّدات العرب، وقد نبّهت بني رِئام لمن أراد بهم شرّا، فصدقت هذه النبوءة. انظر: القالي – مصدر سابق،١: ١٢٦.

(٧) هي بنت سيّدهم، وكانوا عن رأيها يصدرون، وقد ذكرت لها بعض الأخبار. انظر: الألوسي – مصدر سابق، ١: ٢٩٩.

(٨) كاهنة كانت بمكة، قرأت الكتب السماوية، امتازت بالجمال، و لم تعرض نفسها إلا هذه المرة فيما وصلنا من أخبار، ووردت قصتها مع عبدالله بن عبدالمطلب والد الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، وقالت شعرا في هذه الحادثة ورد في قصة المثل " قد كان ذلك مرة فاليوم لا ". محمد بن حبيب– المنمق،ص ٢٦٣، الماوردي– أعلام النبوة،ص١٦٧، الميداني – مجمع الأمثال، ٢: ٤٩٧.

(٩) انظر: الألوسي، مصدر سابق،١:٢٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إليها عُيَيْنَة بن حِصْن بن حُذَيْفَة[١] وزبان بن منظور بن سَيّار الفَزارِيّ[٢]. ولقـــد لجأت قريش في أكثر مُنافَراتها إلى كاهن الشام عُزّى بن سَلِمة العُذري، وإلى الكاهن سَطِيح، وإلى كهان عُسْفان واليمن[٣]. ويلاحظ أن معظم الكهان كانوا في اليمن، ويُعلل ذلك بكثرة " بيوت عبادتها الوثنية، وخاصة من يتعمقون في القدم، ولعلّ في ذلك ما يدل على الصلة القديمة بين وثنية عرب الجنوب وعرب الشّمال"[٤].

المُنافَرَة لدى الكُهان

اختبار الكاهن

اهتم المتنافران باختبار الكُهان، ويكون ذلك بإخفاء شيء في مكـــان أو لدى شخص، وقد يكـــــون هذا الشيء حبة بُرّ، أو بيضة، أو حمامة، أو رأس جرادة، أو ريش نسر، ويدسونها في مكان غير متوقع، أو يضعونها عند أحد عبيدهم. ويعمدون للاختبار رغبة في التأكد من صحة أقوال الكُهان وآرائهم، ومدى معرفتهم بالغيب والواقع، إضافة إلى أن الكاهن بشر يُخطِئ ويصيب - وإن كان مع الكاهن رئي من الجنّ- وإن أصاب الكاهن وثقوا به واطمئنوا فتحاكموا إليه، ففي مُنافَرَة مالك بن عُميلة وعُميرة بن هاجر الخُزَاعِيّ عمد قومهما إلى اختبار الكاهن " فقالوا: لو خبّأنا له خبيئاً نبلوه به"[٥]، والأمر نفسه يتكرر في مُنافَرَة هاشم بن عبد المطلب وحَرْب بن أُمَيَّة حيث" قالوا: لو خبّأنا له خبيئاً نبلوه به قبل التحاكم "[٦].

وقد يعمد المتنافران إلى اختبار الكاهن مرتين الأولى بما خبّأوا له، والثانية والأخيرة بسؤالهم عما اختلفا فيه[٧]،وللاختبار هنا ما يبرره للتأكد من معرفة الكاهن بالماضي والمستقبل؛ نظراً لخطورة المُنافَرَة وما قد يترتب عليها من عواقب سياسية قد تؤدي إلى حروب، واجتماعية تمس شرف القبيلة وعِرضها مثلما حدث في مُنافَرَة هند بنت عُتبة والفَاكِه بن المغيرة، حيث اثبت الكاهن براءة هند مما رُميت به من اتهام.

---

(١) هوعُيَيْنَة بن حِصْن بن حُذيفة بن بدر، من بني فَزارَة من ذُبْيان، أسلم قبل الفتح وكان الرسول – صلى الله عليه وسلم – يسمّيه الأحمق المطاع، وهو من المؤلفة قلوبهم. انظر: ابن دريد – الاشتقاق: ٢٨٤، العسقلاني- الإصابة في تمييز الصحابة،٤:٦٣٨.

(٢) انظر: أبوعبيدة - الديباج: ٩٦ – ٩٧. هوزبان بن منظور بن سَيّار الفَزارِيّ، رهن والده سيّار قومه بألف بعير، وضمنها للملك من ملوك اليمن. انظر: ابن دريد – مصدر سابق: ٢٨٣.

(٣) محمد بن حبيب - المنمق:٩٤و ما بعدها.

(٤) شوقي ضيف-العصر الجاهلي: ٤٢١.

(٥) محمد بن حبيب، المنمق:١١٠.

(٦) المصدر نفسه: ١٠٧، وانظر المصدر نفسه: ١١٣، ١١٧، ١١٩.

(٧) المصدر نفسه:١٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قَسَمُ الكاهن:

يلجأ الكاهن إلى القسم؛ ليؤكد أن ما حكم به هو حقّ لا شك فيه، وليبث الطمأنينة في نفوس المتنافرين. و أكثر ما جاء في القسم الحلف بالله – سبحانه وتعالى- بذكر مخلوقاته من الكواكب ومظاهر الطبيعة، وبالأماكن المقدسة، ومن ذلك قسم كاهن عُسْفان في مُنافَرَة عائذ ابن عبدالله بن مَخْزُوم، والحارث بن أسد بن عبد العُزّى حيث قال: " حلفْتُ بربّ مكة واليمامة، ومن سلك بطن تِهامة[١]، لحجّ أو إقامة لقد خبّأتم لي بيضة نعامة.....حلفت بأَظْب عُفْر، بلَمّاعَة قَفْر، يردن بين سَلَم وسِدْر، إن سناء المجد ثم الفخر لفي عائذ إلى آخر الدّهر"[٢].

يُقسم الكاهن في الخبر السابق بربّ مكة واليمامة، ومن سلك تِهامة،وبالأَظْب العفر، أي أنه أقسم بالرب مضيفاً إليه اسم مكانين في الجزيرة العربية، وبمن يسلك تِهامة، وبالظباء التي يصف لونها ومكان حركتها. وبعض الكُهان يلجأ إلى القسم مرتين الأولى حين يخبرهم عما خبّأوه، والأخيرة عند إطلاق حكمه، فتحكيمه يبدأ وينتهي بالقسم؛ ليزرع الثقة والاطمئنان في نفوس المتنافرين؛ وليكسب كلامه المُسَجَّع شيئاً من القداسة من بدايته إلى نهايته.

وقد يقسم الكاهن مستخدما السجع، ومثال ذلك مُنافَرَة مالك بن عُمَيْلَة وعُمَيْرَة بن هاجر عند الكاهن عُزّى سَلِمَة العُذْرِيّ " فقال أحلف بالنور والقمر، والسنا والدهر، والرياح والفطر[٣]! لقد خبّأتم لي جثة نسر..." [٤]، أما في منـــافرة عبد المطلب وثَقِيف فيقسم الكاهن عُزّى سَلِمَة العُذْرِيّ شعرا حيث يقول:

أَمَا وَرِبّ القُـــلْصِ الرّوَاسِـــم يَحْمِلْنَ أَزْوالاً بِقَيٍّ طاسِـــم

إنّ سَناءَ المَـــجْـــــدِ وَالمَكارِم في شَيْبَةِ الحَمْدِ النَّدى ابْن هاشِم[٥]

---

(١) تِهامة: الأرض المُنحوبة إلى البحر، تشمل مكة. انظر: ياقوت الحموي- معجم البلدان، ٢: ٦٣.

(٢) محمد بن حبيب- مصدر سابق: ١٠٨. أَظْب: جمع الظبي، والعفر: جمع عفراء أي لونها لون التراب. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة "ظبا".
اللمّاعة: الفلاة التي تلمع بالسراب. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " لمع"

(٣) لعلّها: القطر؛ لوجود علاقة بين الرياح والقطر .

(٤) محمد بن حبيب – المنمق: ١١١،١١٠. الحزاور: الراية الصغيرة أو التل، عُذافر: القوي من الإبل، المطفور: الواثب في ارتفاع، ناشر: من بُعاب من الإبل بعنت، فيزول العصب عن موضعه. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " حزر" و" عذفر " و " طفر " و " نشر ".

(٥) محمد بن حبيب – مصدر سابق: ١٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المُقسم به في هاتين المُنافَرَتين هو النور والقمر والدهر والرياح والقطر ورب القلص الرواسم، ولعل الكهان اعتقدوا أن مظاهر الطبيعة تحمل قوى خفية[١]؛ لذلك يقسمون بها، فيؤكد الكاهن للمتنافرين صدق كلامه من خلال القسم.

ولا نعدم وجود من يُقسم بالأصنام، فهذا الأقرع بن حابس الذي اشتُهر بمعرفته الدقيقة للأحساب، ونفّر عبدالله بن جرير البَجَلِيّ على خالد بن أَرْطاة الكَلْبِيّ فقال في تنفيره " واللات والعُزّى لو فاخرت قَيْصر الرُّوم، وكسرى عظيم فارس، والنُّعمان مَلِك العرب لنَفّرتُك عليهم " [٢]. ونلاحظ هنا أن الأقرع بن حابس قد أقسم بصنمين من أشهر أصنام العرب، وبالغ في تنفيره حتى فضّله على قيصر الروم، وعظيم الفرس، والنُّعمان ملك العرب أيّ أنه رآه أفضل شخص في الدُّنيا في عصره.

طريقة تحكيم الكُهان:

عند التحكيم يعمد الحُكام من الحكماء إلى سؤال المتنافرين عن نسبهما ومناقبهما، وقليل ما نجد ذلك عند الحُكام الكُهان حيث يصدرون حُكْمهما دون الاستماع إلى المتنافرين؛ لأنه يعرف كلّ ما يلزم للتحكيم بين المتنافرين من نسبهما وسبب تنافرهما و لا يعلل حُكمه في أغلب المُنافَرات؛ لأنه يعلم ما حدث وما سيحدث.

ونجد في بعض المُنافَرات القليلة تعليلاً لحُكْم الحَكَم المُنفّر، مثل مُنافَرَة بني مَخْزُوم وبني أمية عند الكاهن سَطِيح الذئبي حيث نفّر الوليد بن المغيرة على أَسِيد بن أبي العِيص من خلال التشبيه " ثمّ أَقْبَلَ عَلَيْهِما فقال: أمّا أَنْتَ يا وَلِيد فمثْلك مثْل جَبَلٍ مُؤَزَّر، فيه الماءُ والشَجَر، وفيه للنّاسِ مُعْتَصَر، وَمَنْعَة الحيّ والوَزر، للخَيْرِ سَبّاق وللشَّرّ حذِر. وأما أنْت يا أَسِيد!فَمثْلك مثْل جَبَلٍ وَعِر، فيه للمُقْتَبِسِين جَمْر، لا وِرْد ولا صَدْر، الخَيْر عِنْدَك نَزْر، والشّرّ عِنْدَك أَمْر؛ فَلَج الوليد وَظفر، وخاب أَسِيد وخسر"[٣].

---

(١) انظر: شوقي ضيف- الفن ومذاهبه في النثر العربي،ص٤١.

(٢) أبوعبيدة - شرح نقائض جرير والفرزدق،١:٣١٧.

(٣) محمد بن حبيب - المنمق، ١١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **فئات أخرى من الحكام في المُنافَرات:**

الملوك:

ولجأ بعض المتنافرين إلى الملوك مثل النجاشي، وكسرى عظيم فارس، مثال ذلك تحاكم حَرْب ابن أُمَيَّة وهاشم بن عبد المطلب، بسبب قتل حَرْب بن أُمَيَّة لتاجر يهودي" حتى تنافرا إلى النجاشي ملك الحبشة فلم يدخل بينهما"[١]، ونستطيع أن نقول إن الحُكّام الملوك آثروا تحويل المتنافرين إلى حُكام آخرين؛ دفعاً للحرج الذي قد يقعون فيه وحرصاً على كسب ود القبائل بالابتعاد عما بينها من مُنافَرات ومفاخرات.

وحكم النّعمان بن المنذر في مُنافَرَة حاجب بن زُرارَة وقَيْس بن مَسْعُود حيث رفض الأول تفضيل النعمان بن المنذر لقَيْس بن مَسْعُود، مما جعله يلجأ لـــلمُنافَرَة في أيّهم أكرم زوجة، وأكرم لئيم قوم، وأحسن أدب ناقة، وبعث معهما شخصاً ليخبره بما جرى في قوم كلا المتنافرين[٢].

بعض القبائل والطوائف:

ولقد اشتهرت بعض القبائل بالتحكيم في المُنافَرات مثل بني الكَوّاء، وعنهم قال الجاحظ: "ومن أصحاب الأخبار والنّسب والخُطب والحُكم عند أصحاب النّفورات بنو الكَوّاء وإياهم يعني مسكين بن أنيف الدّارمي، حين ذكر أهل هذه الطبقة:-

...

تَعَالَ إِلَى بنِي الكَوّاءِ يَقْضُوا بعِلْمِهِمُ بِأَنْسَابِ الرِّجَالِ"[٣]

ويدل هذا النص على شهرة بني الكَوّاء في تحكيم المُنافَرات بسبب علمهم بالأنساب التي تمثل روح المُنافَرَة.

الشعراء:

هناك بعض الشّعراء اختيروا للتحكيم في المُنافَرات، في حين ادّعى بعض الشعراء تحكيمهم في المُنافَرات، وهذا الادعاء جاء ردة فعل على حُكم الحُكّام الذي جاء مخالفاً لأهواء الشعراء الذين

---

(١) ابن الأثير - الكامل في التاريخ، ٢: ٥٥٣.

(٢) انظر: ابن رشيق - العمدة ٢: ٩٤٠.

(٣) الجاحظ - البيان والتبيين، ١: ٣٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أَعَلْقَـــمُ قَـــدْ حَكَّمْتَني فَوَجَدْتُني
بِكُمْ عَالِماً عَلى الحُكُومةِ غائِصا[١]

الأعشى يجسد ادعاءه شعراً لنصرة عامر بن الطُّفَيْل، فيُنصّب نفسه حَكَماً، ويفصل بين المتنافرين لصالح عامر بن الطُّفَيْل.

واستغل الأعشى سوق عكاظ لتحويل الادعاء إلى حقيقة بتهيئة ظروف تدعو لتصديق حكومته، ومن ثمّ تنفيره لعامر بن الطُّفَيْل "فلما رأوا هَرِماً لا يُظهر توجهوا إلى عكاظ فلقي أعشى بني قيس عامراً، [فقال] : ما الخطب يا أبا علي؟ فأخبره، وقال: إني قائل أبياتاً أتقوّل عليه، وأزعم أنكما حكّمْتماني ثمّ وأنا واقف في سوق عكاظ أنشدها فينشدها قواعد أصحابك أن يعقروا الإبل ويُحفظ الشّعر، ففعل وغدا الأعشى فقال – ورفع عقيرته، أي صوته بالغناء:

عَلْقَمَ لا لَسْتَ مِنْ عامِرٍ
النّاقِضِ الأَوْتارَ والواتِرِ

سُدتَّ بني الأَحْوَصِ لَمْ تَعْدِهِمْ
وَعَامِـــرُ سادَ بني عامِرِ

..فَسَمِعتْـــهُ مُلَيْكَة بنت الحُطيئة، فوضعت البَوْغَاء على رأسها وهتفت: حرباه؟ (ولا حرباه) هذا والله شعر أبي بصير"[٢].

مما سبق تتضح الخُطة التي وضعها الأعشى، ووافقه عليها عامر، خطّة تشيع ادعاء تحكيم الأعشى في المُنافَرَة، وتنفيره لعامر من خلال قصيدته، وعقر الإبل لتوزيعها على جموع الحاضرين في عكاظ، مما يؤدي إلى شيوع الادعاء فيصبح حقيقة بانتشارها بين الآخرين.

ولا شك في أن وضع مُلَيْكَة التراب على رأسها دليل على مدى خوفها من انتشار الادعاء ليصبح حقيقة. ولا نجد تعليقاً على تنفير ادعاء الأعشى لعامر إلاّ عند البغدادي حيث ذكر "وهذا البيت من قصيدة للأعشى ميمون، قبحه الله تعالى! هجا بها عَلْقَمَة بن عُلاثَة الصّحابي – رضي الله

(١) ديوان الأعشى – تحقيق محمد محمد حسين: ١٨٥.

(٢) أبوعبيدة – الديباج: ٩٢، ٩٣. وانظر: ديوان الأعشى: ١٧٧ – ١٧٩. البوغاء: التراب، انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " بوغ ".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عنه -، ومدح ابن عمه عامراً المذكور - لعنه الله تعالى!- وغلّبه عليه في الفخر"[١] ولعلّ موقف البغدادي جاء بسبب الدافع الديني، فعلقمة من الصحابة بينما عامر بن الطُّفَيْل لم يسلم.

وممن ادّعى التحكيم الحطيئة في مُنافَـرَة عُيَيْنَة بن حِصْن وزَبَّان بن سَيَّار "واعتزل جَرْوَل ابن أَوْس الحطيئة فنفّر عُيَيْنَة فقال:

أَبَى لَكَ آبـاءٌ أَبَى لَـــــــكَ مَجْدُهُمْ
سِوَى المَجْدِ، فَانْظُرْ صاغِراً مَنْ تُنافِرُهْ"[٢]

وادعاء الحطيئة التحكيم ومن ثم تنفيره لعُيَيْنَة هو ردة فعل انتصر بها لمنافره الذي غُلِب فيها.

٣- الحُكّام العُدُول والمرتشون:

ومما يتصل بالحكام ما وصفوا به من عدل أو ظلم للآخرين بقبولهم الرَّشْوَة مما يشكك في مدى صحة حكمهم. والعَدْل إحدى القيم التي حرص الجاهليون عليها وأدركوا دورها وأثرها في المجتمع، ومنهم أحد الرعاة الذي دخل على ربيعة بن حُذار الأَسْدي[٣] بوصفه حكما في مُنافَرَة القَعْقاع بن مَعْبَد بن زُرارة وخالد بن مالك النَّهْشَلِيّ، ليحثه على سرعة الفصل بينهما، وعلى تحري العدل في الحكم "فوالله لئن حكمْتَ بعدلٍ لا تزال حكم مُضر ما بقيت، ولئن حكمتْ بجورٍ ليُحَطنّ أمرك، وليُتجهمن عدْلك"[٤]، من خلال هذا النص يتضح أن العدل سبب الثقة في الحكم، ومن ثم ذيوع شهرته، أما الجَوْر فسبب لفقدان الثقة في الحكم.

ولعلّ شهرة الحكم بالعدل والثقة فيه قد تدفع المتنافرين إل قبول التحاكم عند قريب منافره، مثلما حدث في المُنافَرَة التي وقعت بين محمد بن أُحَيْحَة والزِّبْرِقان بن بدر "فقال عمرو بن أُحيحة لأخيه محمد، وقد خلا به: إني لأخشى عليك السَّقْطَة يا محمد، كيف تخاصم رجلاً في الحسب والسابقة إلى ابن عمه، قال محمد: وإن كان ذلك يا عمرو، والله لا حَكَمَ إلا بالحق، قال عمرو: ويحك إني لأوجل أن يغلب عليه الهوى والحَمِيَّة فيحكم عليك، وهو موقف عظيم، وخطر جسيم، قال محمد: دعني فإنّ نابغة لا يحكم إلاّ بالحقّ"[٥]، مما سبق نلاحظ أنّ الخوف من تغلب الهوى

---

(١) البغدادي - خزانة الأدب، ٣: ٣٩٨.

(٢) أبو عبيدة، مصدر سابق: ٩٨. وانظر: ديوان الحطيئة،ص٤٥.

(٣) ذكر الميداني أن ربيعة بن حراد الأسلمي هو حكم هذه المنافرة، و لم يذكر ذلك أحد غيره.انظر الميداني- مجمع الأمثال، ٢٥٨:٣.

(٤) أبو العلاء صاعد البغدادي- الفصوص، ٥: ٢٩٩- ٣٠٠.

(٥) ابن الجون الأشعري - الرياض الأدبية في شرح الخمرطاشية: ١٣٦. السَّقْطَة: العثرة والزلّة. انظر: ابن منظور - لسان العرب، مادة "سقط"

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والعصبية دفعتا بعمرو بن أُحيحة إلى نصح أخيه بعدم التحاكم عند النابغة، لكنّ شهرة النابغة بالعدل، أدّت إلى أن يثق محمد بن أحيحة بحكمه رغم أن منافره هو الزّبرقان بن بدر ابن عمّ النابغة الذُّبْياني. ولقد غضبت بعض بني تميم من النابغة بسبب تنفيره محمد بن أحيحة على الزّبرقان، مما دفع بالنابغة إلى قول الشّعر مبيّناً أسباب تنفيره لمحمد، وأنه قد حكم بالعدل بين المتنافرين فقال في ذلك:

لما حَكَمْتُ وكَانَ حُكْمي مُقْسِطاً
بالحـــقِّ لما إن أتى الخَصْمَانِ[1]

ولقد تنافرت قبيلة خزاعة و قبيلة قريش عند عبد المطلب بن هاشم؛ ولعلّ ذلك بسبب ثقة قبيلة خزاعة في عبد المطلب لأنه حليفهم، فلن يظلمهم، فخطب فيهم عبد المطلب مما أدّى إلى الصلح بين القبيلتين[2] .

حاول الأعشى أن يحول ادعاءه بالتحكيم في منافرة علقمة وعامر إلى حقيقة، فاستخدم كلمة " حكمتموني " و " قضى " ؛ ليشعر السامع بأنه حكَم هذه المنافرة، وقد جاء هذا الادعاء في قوله:

حَكّمتُمُوني فَقَضى بَيْنَكُـــمْ
أَبْلَـــــجُ مِثْلُ القَمرِ الباهِرِ
لا يَأْخُذُ الرَّشْوَةَ في حُكْمِـــهِ
ولا يُبالي غَبَنَ الخاسِـــــرِ"[3]

فهنا ينفي الأعشى أخذه الرَّشْوَة، وهو لا يحكم إلا بالعدل دون مبالاة بالخاسر، وقال أيضاً:

أَوّلُ الحُكْمَ على وجْهِهِ
لَيْسَ قَضائي بالهوى الجائِرِ
قَدْ قُلتُ قَوْلاً فَقَضَى بَيْنَكُمْ
وَاعْتَـــرَفَ المَنْفورُ للنّافِرِ"[4]

(١) ابن الجون الأشعري - الرياض الأدبية في شرح الخمرطاشية: ١٣٧.
(٢) انظر: الماوردي- أعلام النبوة، ص١٥٩.
(٣) ديوان الأعشى: ١٧٧.
(٤) المصدر نفسه: ١٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وينفي هنا الأعشى أن يكون قضاؤه اتباعاً للهوى؛ ليزيد الثقة بحكمه، بعد أن نفى أخذه الرَّشْوة، لكن رغم هذا فادعاء التحكيم هو كذبٌ وخداع.

ونقف عند الحكام العُدول والمرتشين، أما الحكام العُدول فقد وصفهم أبو عبيدة بحكماء العـــرب العُدول، وهم هَرِم بن قُطْبَة، وهَرِمُ بنُ سِنَان، ومعاوية بن مالك بن جعفر بن كِلاب[١]، أما هَرِم بن قُطْبَة بن سيّار بن عمـــرو وهو العُشَراء بن جابر بن عُقَيْل بن هِلال بنُ مازِن بن فَزَارَة، وإليه تنافر عامر بن الطُّفَيْل وعَلْقَمَة بن عُلاثَة [٢]، فقد وصف بالعدل، وفيه قال لبيد بن ربيعة:

يا هِرِماً وأَنْتَ أَهْلُ عَدْلٍ
أَنْ وَرَدَ الأَحْوَصُ ماءً قَبْلي
لَيَذْهَبَنَّ أَهلُهُ بِأَهْـــلِي
لا تَجْمَعَنَّ شَكْلَهُمْ وَشَكْلي[٣]

وهنا يستثير لبيد بن ربيعة عاطفة هَرِم بن قُطْبَة بوصفه بالعدل الذي اشتُهر به، وبعاقبة تنفير عَلْقَمَة بن عُلاثَة على عامر بن الطُّفَيْل الذي يقف معه لبيد بن ربيعة بحكم العصبية القبلية ويناصره بشعره.

والمرتشون من الحكام الذين ذكرهم أبو عبيدة كلهم فصلوا في المُنافَرات. ومن هؤلاء "ضَمْرَة ابن ضَمْرَة النَّهْشَلِيّ وتحاكم إليه عبّادُ بن أنف الكلب، وسَبْرة بن عمرو الأسديان، فاسترشى ضَمْرَة عبّاداً ونفّره على سبرة، وأعطاه عبّادٌ عشراً من الإبل"[٤]. فالدافع المادي هنا وراء ارتشاء ضَمْرَة بن ضَمْرَة ، ولعـــلّ الرَّشْوة هنا تفوق النُّفُورَة التي خصصت للحَكَم حيث لم يذكر مقدار النُّفُورَة. مما دفع بسَبْرة إلى تذكيره بالأمانة التي لم يصنها، وبالعدل الذي حاد عنه من خلال شعر قال فيه:

يا ضَمْرُ كَيْفَ حَكَمْتَ أُمُّكَ هابِلٌ
والحُكْـــمُ مَسْؤولٌ بِهِ المُتَعَمِّدُ
أَحَفِظْتَ عَهْداً أَمْ رَعَيْتَ أَمَانَةً
أَمْ هَلْ سَمِعْتَ بِمِثْلِها لا يُنْشَدُ[٥]

---

(١) انظر: أبو عبيدة - الديباج، ١٠١.

(٢) محمد بن حبيب- كتاب المحبر، ١٣٥.

(٣) ديوان لبيد بن ربيعة: ٣٤٣ - ٣٤٤.

(٤) أبو عبيدة- مصدر سابق: ٩٩.

(٥) الجاحظ - الحيوان، ١: ٣١٩. هابل: الكثير اللّحم والشّحم. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " هبل " .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبهذا يستنكر عليه أن يُضيّع الحق، ويخون الأمانة، وهو مسئول عن حكمه. وهناك رجز نال فيه سَبْرة من ضَمْرَة بن ضَمْرَة[١].

ومن المرتشين الأقرع بن حابس حيث تنافر إليه جرير بن عبد الله البَجَلِيّ وخالد بن أَرْطَاة الكلبي، " فمدحه جرير ورضخ له رضخةً، فنفّر جريراً على خالد"[٢]، وبهذا يكون الارتشاء نوعين، معنوي: مثل مدح الأقْرع بن حابِس، ومادي كما فعل عَبّاد بن أنف الكلب لما أعطى ضَمْرَة بن ضَمْرَة النَّهْشَلِيّ عشرة من الإبل، وعطاء جرير بن عبد الله للأقرع، والخبر لم يحدد نوع العطاء، ولا مقداره. ويُعدّ الأقرع أول من داهن وحابى في الحكومة كما ذكر أبو عبيدة[٣].

ولا شك في أن ارتشاء الأقرع بن حابس له ما يبرره؛ وهو قرابة جرير بن عبدالله البَجَلِيّ لمضر وربيعة؛ لتنفي قبيلة مضر عنه تهمة الرَّشوة "فزعمت مُضر أن الأقرع بن حابس، وأنه لقرابته بمُضر وربيعة، أفضل وأكثر عدداً بإخوته من قُضَاعَة؛ لأن قُضَاعَة بن مَعَدّ، وهو عمّ هؤلاء"[٤].

أما ثالث المرتشين من حكام الجاهلية فهو مَرْوَان بن زِنْباع العَبْسيّ[٥]، حيث "تحاكم إليه السّفاح التغلبي وعمرو بن لَأي فارس مَخْلَد من بني تيم الله بن ثعلبة. فأهدى إليه عمرو، وأطعمه فنفّرة على السّفاح، وكان السّفاح أفضل منه"[٦]، فالرَّشوة هنا هدية وإطعام مما أحرج السّفاح التغلبي، وجعله يحيد عن الحقّ الذي يتجسد هنا في استحقاق السفاح التغلبي التنفير على عمرو بن لأيٍ من بني تيم الله.

ب- طقوس المُنافَرَة/ التحكيم:-

تتحول المُنافَرَة إلى مناصرة قبلية بخروج أفراد القبيلة وخاصة الوجهاء والأشراف منهم؛ لحضورها والتضامن مع منافر القبيلة، فانتصاره انتصار للقبيلة. ومثال ذلك مُنافَرَة عبد المطلب بن هاشم وجماعة من بني ثقيف، فقد روي أنه "خرج مع عبد المطلب نفر من قومه، وكان معه ولده الحارث، ولا ولد

---

(١) انظر: أبو عبدة - الديباج : ٩٩.

(٢) المصدر نفسه: ١٠٠. رضخ له: أعطاه، انظر: ابن منظور - لسان العرب، مادة " رضخ " .

(٣) انظر: أبو عبيدة - شرح نقائض جرير والفرزدق، ١: ٣٠٩.

(٤) المصدر نفسه، ١ : ٣١٢.

(٥) هو مروان بن زِنْباع من بني غَطَفان، يقال له: مروان القَرَظ، وهو من مشهوري أهل الجاهلية في بعد الغارة، يضرب به المثل في العزّ، فيقال: " أعزّ من مروان القَرَظ ". انظر: ابن دريد - الاشتقاق: ٢٧٨؛ والميداني - مجمع الأمثال، ٢: ٣٩١.

(٦) أبو عبيدة، الديباج: ١٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

له يومئذ غيره، وخرج الثقفي الذي يُخاصم عبد المطلب، واسمه جُندب بن الحارث في نفر من ثقيف، فساروا جميعاً"[١].

وقد تخرج النساء أحياناً إن تعلقت المُنافَرَة بامرأة، مثل هند بنت عتبة، في مُنافَرَة عتبة بن ربيعة والفَاكِه بن المغيرة "فخرج الفاكه في جماعة من بني مَخْزُوم، وخرج عُتبة في جماعة من بني عبد مناف، وخرج معهم هند ونسوة معها" [٢].

وفي سبيل مناصرة القبيلة تُنسى الخلافات، ويتحول تباعد الأقارب والأهل إلى تقارب وتواد، ومن ذلك ما جرى في مُنافَرَة عبد الله بن جرير وقُضَاعَة "فبلغ ذلك أسد بن عبد الله، وكان بينه وبينه- أعني جريراً- تباعد، فأقبل في فوارس من قومه، ناصرا لجرير ومعاونا له ومنجدًا، فزعموا أن أسدا أقبل في أصحابه، فرآه جرير، ورأى أصحابه في السلاح، فارتاع وخافه، فقيل له: هذا أسدٌ جاءك ناصراً لك، فقال جرير: ليت لي بكلّ بلد ابن عم عاقّاً مثل أسد"[٣]، وهذا الخبر يشير أيضاً إلى ما يجري في المُنافَرات من خروج أفراد قبيلة المنافر في السّلاح، راكبين الإبل والمطايا، يتجلى ذلك مثلا في مُنافَرَة عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعامر بن الطُّفَيْل، حيث "خرج علقمة ببني الأحوص، فلم يتخلف منهم أحد، معهم القباب والجُزُر والقدور. ينحرون في كل منزل ويطعمون ... فسار بنو عامر على الخيل مُجَنَّبِي الإبل، وعليهم السلاح [٤]، وهنا نجد حرص بني الأحوص على حضورهم جميعاً دون تخلف أحد منهم، حاملين القباب للإقامة فيها، والجُزر والقدور لإعداد الطعام لهم، فما كان من بني عامر إلاّ مجاراتهم في حمل السّلاح والقباب والجُزر لإطعام القوم؛ كي لا يشعر بنو عامر بأنّهم أدنى من بني الأحوص مكانة، أو أقل قدراً.

وبهذا يتمثل دور القبيلة في المناصرة المعنوية والمادية، المعنوية بتأييده ونصرته بخروجهم معه، وحضور المُنافَرَة، وبتأييد شعراء القبيلة له، من خلال الشّعر الذي يبرز محاسن القبيلة، وفضائل المتنافر خاصة، محاولاً أحياناً التأثير على الحكَم بمدحه، وبإظهار عواقب هزيمة منافره، مثلما حدث في مُنافَرَة علقمة وعامر، حيث ألقى لبيد بن ربيعة قصيدة في مجلس الحكم[٥]، فقد " ثار مع عامر لبيدُ بن ربيعة

---

(١) محمد بن حبيب- المنمق: ٩٩.

(٢) المصدر نفسه: ١١٩.

(٣) الأصفهاني - الأغاني، ٥ : ٢٢.

(٤) المصدر نفسه، ١٦: ٢٨٨ وانظر: ابن الجون الأشعري- الرياض الأدبية في شرح الخمرطاشية: ١٣٦. مُجَنَّبِي: مباعدة بين الرحلين للفرس. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " جنب " .

(٥)ديوان لبيد بن ربيعة: ٣٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأعشى، ومع علقمة الحطيئةُ وفتيان من بني الأحوص، منهم السَّنْدَري بن يزيد بن شُريح[١]، ومروان بن سُراقة بن قتادة بن عمرو بن الأحوص، وهم يرتجزون"[٢]، ولعلّ السبب في شهرة هذه المُنافَرَة يعود إلى كثرة الشعراء الذين شاركوا فيها وأهميتهم. حيث شارك لبيد بن ربيعة فيها لقرابته من عامر بن الطُّفَيْل، أما الأعشى فقد طلب من عامر بن الطُّفَيْل وعَلْقَمَة بن عُلاثَة أن يحمياه من الأنس والجن والموت، فأدرك عامر مغزى أن يحميه من الموت بأداء ديته إلى أهله[٣]، و لم يدرك ذلك عَلْقَمَة ابن عُلاثَة ؛ لذا ناصره شعراء بني الأحوص بالرجز إضافة إلى الحطيئة.

أما مناصرة القبيلة المادية للمنافر فتتمثل في إمداده بالإبل والمطايا والطعام، وكل ما يحتاج إليه في المُنافَرَة. وفي مساعدته في الوفاء بالنُّفُورَة.

ومن المؤسف أننا لا نظفر إلاّ بنصوص قليلة يمكن أن تصور لنا مشهد المحاكمة، فأحياناً تقام في القباب. ويشهدها المتنافران والحَكَم وقبيلتا المتنافرين، أو فرعا القبيلة إن كان المتنافران من القبيلة نفسها، وأحياناً قد تشهدها القبائل الأخرى إن أقيمت في أحد المواسم أو الأسواق، ولعلّ سوق عكاظ أكثر الأسواق التي كانت تقام فيها المُنافَرات وتصدر الأحكام.

أما مشهد المحاكمة وكيفية مثول المتنافرين فيوضحه الخبر التالي "فلما أتي نابغة أوقف محمد ابن أحيحة هِجَانه صفّاً، وأوقف الزّبرقان هِجَانه صفّاً، ثم وقفا بين يدي زياد النابغة، وشهدهما من كان بعكاظ من وجوه العرب"[٤]. إذاً نستطيع القول إن كلا من المتنافرين يقابل صاحبه، بينما ينتظم هِجَانه و مناصروه من قبيلته في صفّ واحد، متقابلين لهِجَان المتنافر الآخر.

وفي المحاكمة يطلب الحَكَم من كلا المتنافرين أن ينتسبا، ويعددا الصفات التي ترجح كفّة كل منهما عند الحُكم، ومثال ذلك ما جرى في مُنافَرَة القَعْقاع بن مَعْبَد بن زُرارة وخالد بن مالك النَّهْشَلِيّ عند ربيعة بن حُذار الأسدي حيث قال لهما: "هاتيا مكارمكما. فقال خالد: أعطيت يوماً من سأل، وأطعمت من أكل، ونصبتُ قُدوري فأطعمت، حتى وضعت الشَّمال ذيولها، وطعنت يوم شُوَاحِط فارساً، فخللت فخذيه بفرسه. فقال ربيعة: هات يا قعقاع ما عندك. فأخرج قوس حاجب

---

(١) الأصفهاني - الأغاني، ١٦: ٢٩٢هو ابن عَيْساء، أحد بني عامر بن صَعْصَعة، وأمه أمة ليزيد بن شريح، وقد راجز لبيدا في مُنافَرَة عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة. انظر: محمد بن حبيب – من نسب من الشعراء إلى أمه ، ١: ٧٥؛ وابن دريد – الاشتقاق: ٥٦١.

(٢) الأصفهاني- مصدر سابق، ١٦: ٢٨٩

(٣) المصدر نفسه،٩: ١٢٠

(٤) ابن الجون الأشعري- الرياض الأدبية في شرح الخرطاشية: ١٣٦. شُواحِط: يوم انتصر فيه بنو محارب بن خَصَفة على بني عامر بن صعصعة ابن كلاب. انظر: أبو عبيدة- كتاب أيام العرب، ٢: ٣٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال: هذه قوس عمي رهنها عند العرب، فاستدفأوا من القُرّ..."[١]. ونلاحظ هنا أن خالد بن مالك النَّهْشَلِيّ ركّز اهتمامه على صفاته الشخصية التي يفتخر بها، بينما ركز القَعْقاع بن مَعْبَد اهتمامه على أمجاد قومه ومآثرهم، ولم يذكر شيئاً يخصّه. وذكرنا سابقاً أن جوهر المُنافَرَة هو التفاخر بالآباء والأجداد، و لأن القَعْقاع بن مَعْبَد فخر بآبائه نفّر على خالد بن مالك النَّهْشَلِيّ الذي فخر بنفسه.

وهناك طريقة فريدة في التحكيم تتجلى في أن يذكر كلا المتنافرين من يفخران به من أجداد وآباء وأقارب، فيوازن الحكم بينهما فرداً فرداً، ومن ذلك ما نجده في مُنافَرَة الزّبرقان بن بدر ومحمد ابن أحيحة، حيث وازن النابغة بينهما قائلا "شتّان بين محمد والزّبرقان، وشتان بين أحيحة وبدر، وشتّان بين الجلاّح وعامر، فأما عامر فصاحب ضأن وإبل وانتجاع ... وخيل وسهل، وأما الجَلاّح فصاحب حِكَم وبيان وكفاح وطعان وخيل ورهان وخمر وقيان، فالجلاح أفضل من عامر..."[٢].

ولا نجد أمثلة كثيرة لهذا الضرب من المنافرة، وطريقة التحكيم فيها، ولكن يبدو أنها كانت مستمرة، ونجد ذلك فيما وصل إلينا من أخبار عن العصر الأموي حيث افتخر رجلان بباب معاوية ابن أبي سفيان، أحدهما من بني شَيْبَان، والآخر من بني عامر بن صعصعة، وعدّ كلّ منهما عشرة من قومه يفخر بهم، وصـــادف وجود حكميْن من قومهما، فحكما بينهما بالموازنة بين رجال قومهم فرداً فرداً[٣].

ج- الأحكام

إن النظر في أحكام الحكام في المُنافَرات يقودنا إلى أنها لم تخرج عن الأحكام الآتية:

- تنفير أحد المتنافرين على الآخر.
- الصلح بينهما.
- المساواة بينهما.
- أو تحويلهما إلى حكم آخر.

ولقد حرص الكهّان على تنفير أحد المتنافرين على الآخر كما أوضحنا ذلك في الصفحات السابقة عند حديثنا عن الكهان، ودورهم في الحكومة بين المتنافرين.

---

(١) أبو العلاء صاعد البغدادي- كتاب الفصوص، ٥: ٢٩٨. ذكر محقق هذا الكتاب أنه وردت في احدى النسخ " عن العرب "، الشّمال: الريح التي تهبّ من ناحية القطب. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " شمل " .

(٢) ابن الجون الأشعري- الرياض الأدبية في شرح الخمرطاشية: ١٣٦.

(٣) انظر: ابن رشيق القيرواني- العمدة، ٢: ٩٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعلّ خطورة الأحكام وما تؤدي إليه من وقوع الشّرّ والفتن بين القبائل، أو في القبيلة نفسها دفعت ببعض الحكام إلى تحويل المتنافرين إلى حكام آخرين، مثلما حدث في مُنافَرَة القَعْقاع بن مَعْبَد وزيد بن عبد الله بن جندل بن نهشل، حيث "تنافرا إلى أكثم بن صيفيّ أيّهما أكرم، وجعلا بينهما مائة من الإبل لمن كان أكرمهما، فقال أكثم بن صيفيّ: سفيهان يُريدان الشّر، وطلب إليهما أن يرجعا عما جاءا له، فأبيا، فبعث معهما رجلاً إلى ربيعة بن جُرَاد"[١]. ولا شك في أن حِكمة أكثم بن صَيْفي، وإدراكه لمخاطر المُنافَرَة جعلته يعدّ المتنافرين سفيهين لا يُدركان ما تؤدي إليه، فأبى أن يحكم حتى لا يكون سبباً في وقوع الشّرّ والفتنة.

وتنافر عبد المطلب بن هاشم وحَرْب بن أُمَيَّة إلى النّجاشيّ ملك الحبشة، لكنه رفض التحكيم[٢] بينهما حرصا على كسب ودّ القبائل جميعها، وحفظا لمكانته بينها بالابتعاد عما يدور فيها من مفاخرات و مُنا فَرات، وخير مثال على تحويل بعض الحُكّام للتنافرين إلى حكام آخرين مُنافَرَة عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعامر بن الطُّفَيْل، وتنافرا إلى سفيان بن حرب فأبى أن يحكم بينهما، لوجود صلة القرابة بين المتنافرين، وما قد تؤدي إليه المُنافَرَة من قطع للأرحام والصلات.

وتميّز أغلب حكام قريش بابتعادهم عن التحكيم في مُنافَرَة علقمة وعامر، حتى أن مروان ابن سُراقة بن قتادة أشار إلى ذلك في شعره، لحثّهم على التحكيم، حيث قال:

يالَ قُرَيْشٍ بَيّنوا الكَلامَـــــــا
إنّا رَضِينا مِنْكُـــــــمُ الأَحْكامَا
فَبيّنوا إنْ كُنْتُمُ حُكّـــــامـــــــا
كان أَبــُونا لَهُـــــمُ إمَــامَـــــا[٣]

١ – تنفير أحد الطرفين:

وقد كثر تنفير أحد المتنافرين على الآخر عند الحكام والكُهّان خاصة. مثل مُنافَرَة بني مَخْزُوم وبني أميّة، عندما اختلفوا في أيّهما أكرم نسباً، وحكم بينهما الكاهن سَطيح، فنفّر الوليد بن المغيرة المَخْزُوميّ على أَسِيد بن أبي العِيص قائلا: بالنُّجُودِ أَحْلف وبالتَّهائِم، ثم بِبِيْتِ الله ذي الدَّعائِم، وكلّ

(١) الميداني- مجمع الأمثال، ٣: ٢٥٨.
(٢) انظر: محمد بن حبيب- المنمق، ٩٥ وانظر: تاريخ الطبري، ١: ٥٠٥.
(٣) الأصفهاني- الأغاني، ١٦: ٢٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منْ حَجّ على شُداقَم، إني بما جئتم به لعالم، إن ابن مَخْزُوم أخو المكارم، فارجع يا أَسِيد بأنف راغـــم"[١]. وهنا يبدأ الكـــاهن سَطِيح كلامه بالقسم ليؤكده، وينفّر ابن مَخْزُوم على أَسِيد بن أبي العِيص.

ولعلّ ما يبرر حرص الكُهّان على تنفير أحد المتنافرين هو اشتهارهم بمعرفة الغيب، أي أنهم على علم مسبق بأحوال المتنافريْن، لذا فإنهم مضطرون لتنفير أحد الطرفين على الآخر، ولو افترضنا جدلا اكتفاء الكاهن بالمساواة والإصلاح فإن هذا سيشكك في معرفتهم وعلمهم، علاوة على حرصهم على الفوز بالنُّفُورَة التي خصصت لهم في حالة تنفيرهم لأحد الطرفين. إضافة إلى أن الإصلاح بين المتنافرين وما قد تؤدي إليه المُنافَرَة من شرّ وغيره لا يُشكّل همّاً وشاغلاً لهم ذلك؛ لأن أمور القبائل لا تعنيهم إضافة إلى بعدهم المكاني عن القبائل المتنافرة، فأغلب الكهان يعتزلون في مكان العبادة في الشام واليمن، على خلاف الحكام الحكماء الذين تشغلهم شؤون القبيلة، ويتطلعون دوما إلى حلّ مشاكلها، وإبعادها عن المشاحنات المولدة للصراعات والحروب.

ولكي نؤكد على تنفير الحكام لأحد الطرفين نسوق أمثلة أخرى منها: مُنافَرَة القَعْقاع بن مَعْبَد بن زُرارة وخالد بن مالك النَّهْشَلِيّ حيث نفّر ربيعة بن حُذار الأسدي القَعْقاع بن مَعْبَد على خالد النَّهْشَلِيّ[٢]، ومُنافَرَة بني فَزارَة وبني هِلال فقد قضى الحكم أنسُ بن مُدرك للفزاريين على بني هِلال[٣].

٢- المساواة بين المتنافريْن:

يراعي بعض الحُكّام صلات القربى بين المتنافرين، ويحرصون على العلاقات بين القبائل، حتى لا يُزرعوا الشر فيها؛ لذا يلجأون إلى المساواة التي تعني أن كلا الطرفين يتمتع بصفات متقاربة، من كرم النسب إلى جانب الأخلاق الحميدة.

وحاول بعض الحكام المساواة بين المتنافرين، لكنّ العصبية القبلية والرغبة في التنفير حالت دون ذلك، ومن ذلك مُنافَرَة القَعْقاع بن مَعْبَد وخالد بن مالك النَّهْشَلِيّ حيث"تحاكما إلى ربيعة بن حُذار ، فجهد أن يتكافآ فأبيا، وكان عدلاً عاقلاً... وقال: إني نفّرت من كان جده زُرارة وعمّه

---

(١) محمد حبيب- المنمق: ١١٤.النُّجود: مفردها نَجْد أي الطريق المرتفع الواضح. التهائم: مفرد التَّهْمَة، أي الأرض القريبة من البحر. الدعائم:مفرد الدّعامة أي عمود البيت أو الخشبة التي يقوم عليها البناء. شُنَاقِم: اسم فحْل من فحول الإبل عند العرب. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " نجد"و" لهم " وشدقم" .

(٢) انظر: أبو العلاء صاعد البغدادي- كتاب الفصوص، ٥: ٢٩٨.

(٣) الميداني- مجمع الأمثال، ١: ١٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حاجباً، وأبوه معبداً"[١]، وهنا حين فشل مسعى الحكم في المساواة بين المتنافرين اضطر إلى تنفير أحدهما على الآخر.

وخير مثال على المساواة بين المتنافرين ما جرى في مُنافَرَة عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعامر بن الطُّفَيْل، حيث هاب الحكام الفصل بينهما، إلى أن احتكما إلى هَرِم بن قُطْبَة الذي عمد إلى بعض الحيل؛ ليجعل المتنافرين يختاران المساواة خوفاً من تنفير أحدهما على الآخر، ومن هذه الحيل الاختفاء عن أنظارهما، مما أدّى بهما إلى المُهاترة والمجادلة، وقد قصد من وراء ذلك أن يصيبهما المَلَل والضيق فينصرفا. وتنقل الروايات أن هرما استدعى كلاً منهما سراً، ومدح منافره، مما جعل كلا منهما يطلب المساواة، "قال عامر: أنشدك الله والرّحم أن لا تُفضل علي علقمة، فوالله لئن فعلت لا أفلح بعدها أبداً. هذه ناصيتي فاجُززها، واحتكم في مالي، فإن كنت لا بد فاعلاً فسوٍّ بيني وبينه... ثم أرسل إلى علقمة سرّاً لا يعلم به عامر. فقال: إني لأحسب فيك خيراً، وأن لك رأياً، وما حبستُك هذه الأيام إلاّ لتنصرف عن صاحبك. أتفاخر رجلاً هو ابن عمك في النسب، وأبوه أبوك؟... فقال له علقمة: أنشدك الله والرّحم ألاّ تُنفّر علي عامراً، اجُزز ناصيتي، واحتكم في مالي، وإن كنت لا بد أن تفعل فسوّ بيني وبينه"[٢].

فكما يـــلاحظ من الخبر السابق أن هَرِم بن قُطْبَة حاول أن يبعث الخوف إلى نفسيهما من عاقبة تنفير أحدهما على الآخر، وأوهم كلا منهما أنه سينفر منافره، معددا صفات الخصم، مما دفع بهما إلى الاستعداد للتضحية بالنفس والمال، شريطة ألا يُنفّر عليه إن كان لا بد من الحكم لأحدهما، أو أن يُساوي بينهما، مما مهّد لقبولهما المساواة بنفس راضية، ومما قاله هَرِم بن قُطْبَة في ذلك:" يا بني جعفر، قد تحاكمتما عندي، وأنتما كركبتي البعير الأدْرَم، تقعان إلى الأرض معاً، ليس فيكما أحد إلاّ وفيه ما ليس في صاحبه، وكلاكما سيد كريم. وعمد بنو هرم وبنو أخيه إلى تلك الجزر، فنحروها، حيث أمرهم هرم عن علقمة عشرا وعن عامر عشراً، وفرّقوا الناس"[٣].

ونلاحظ هنا أن هَرِم بن قُطْبَة استخدم الوصف ليساوي بينهما، حيث شبههما بركبتي البعير اللتين يعتمد عليهما في الوقوف والوقوع، وهذه المساواة لا تعني أنهما متشابهان تماماً في شخصيتهما. فكل منهما له صفات تميزه عن الآخر، لكنهما في آخر الأمر متساويان، فهما أبناء عمومة، وقد

---

(١) أبوعبيدة- الديباج، ٩٥ ،٩٦.

(٢) الأصفهاني- الأغاني، ١٦: ٢٩١ وانظر الرواية الأخرى المصدر نفسه، ١٦: ٢٩٢. الأدرم: ما سقطت أسنانه من الإبل وما تراكب شحمه ولحمه. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " درم " .

(٣) الأصفهاني – مصدر سابق، ١٦: ٢٩٣، ٢٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذكّرهما بذلك في البدء حين ناداهما ببني جعفر، وهما مصدر فخر القبيلة، فلا تُذكر قبيلة بني عامر إلاّ وذُكرا معها.

إن ثقة الناس بتحكيم هَرِم بن قُطْبَة، جاء من حكمته في معالجته الأمور، وحفظه للأسرار، والذي يؤكد ذلك الخبر الذي يرويه الأصفهاني، حيث يقول: " عاش هَرِم حتى أدرك سلطان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، فسأله عمر فقال: يا هرم، أي الرجلين كنت مفضلاً لو فضلت؟، فقال: لو قلت ذاك يا أمير المؤمنين لعـــادت جَذَعَة، ولبلغت شَغَافَ هَجَر[1]. فقال عمر: نعم مُسْتَوْدَع السر، ومسندُ الأمر إليه أنت يا هَرِم، مثل هذا فليسُد العشيرة. وقال: إلى مثلك فَـــلْيَسْتَبْضِع القوم أحكامهـــم"[2]، وهذا دليل على أن المُنافَرَة قد تؤدي إلى حروب وفتن في كثير من الأحيان، علـــى الرغم من تهذيب الإسلام للنفوس، إلاّ أنّ العصبية القبلية تثور أحياناً في النفوس؛ لذا فضّل هَرِم الصمت؛ ولهذا رأى فيه عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – مثالاً للحكم الحكيم، الأمين على الأسرار، الجدير بثقة الناس.

٣- الإصلاح بين المتنافرين:

سعى الحُكّام إلى الإصلاح بين المتنافرين، خوفاً من عواقب تنفير أحدهما على الآخر، وما سيؤدي إليه هذا التنفير من فتن وخلافات، وأحياناً مناوشات وحروب. وهذا ما دفع مَرثد الخير إلى الإصلاح بين سُبَيْع بن الحارث ومَيْثَم بن مُثَوِّب. وقد "كان مَرْثَدُ الخَيْر بن يَنْكَف بن نَوْف بن مَـــعليكَرِب بن مُضْحِي قَيْلاً، وكان حَدِباً على عشيرته، مُحبّاً لصلاحهم، وكان سُبَيْع بن الحارث أخو عَلَس – وعلس هو ذو جَدَن –ومَيْثَم بن مُثَوِّب بن ذي رُعَيْن تنازعا الشّرف حتى تشاحنا، وخيف أن يقع في حيّيهما شرٌّ فيتفانى جِذْمَاهُما، فبعث إليهما مَرْثَد ، فأحضرهما ليُصلح بينهما"[3]، وألقى خطبة للإصلاح بينهما.

يتبين لنا من الخبر السابق أن سبب المُنافَرَة بين مَيْثَم بن مُثَوِّب وسُبَيْع بن الحارث هو تنازعهما في أيّهما أولى بالشّرف والمكانة الأسنى؛ مما أدّى إلى وقوع الخلاف والمشاحنة بينهما، مما خُشي معه وقوع الحروب والشّرّ بين حييهما. ومن شعر مرثد الخير في بيان مخاطر المُنافَرَة وآثارها قوله:

---

(١) هَجَر: موضع في البحرين. انظر ياقوت الحموي – معجم البلدان، ٥: ٣٩٣.

(٢) الأصفهاني- الأغاني، ١٦: ٢٩٣. جَذَعَة: جديدة كما بدأت. شغاف: شغاف قشر شحر الغاف. يستبضع: أيّ إذا سفيه عمّا يسأل عنه من أحكام وبيّنت له: بيّن له ما ينازعه حتى يشتفي. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " جذع " و" شغف" "بضع" .

(٣) القالي- الأمالي، ١: ٩٢. القَيْل: لفظة تطلق على الملوك من حمير، جمعها أقْيال. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " قول " .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَلا تَجْنِيا حَـــرْباً تَجُرّ عَلَيْكُما
عَوَاقِبُها يَوْماً مِنَ الشّـــــرّ أَشْأَما
فَإِنّ جُناة الحَـــرْبِ للحَيْنِ عُرْضَةٌ
تُفَوّقُهُمْ مِنْـــها الذُّعافَ المُقَشّـــما
حَذارِ فَلا تَسْتَنْبِتـــوها فَإِنَّهـــا
تُغادِرُ ذا الأَنْفِ الأَشَمِّ مُكَشّـــــما[1]

وهذا الشعر الذي قاله بعد الخطبة دفع بالمتنافرين إلى قبول النّصح، والامتثال لرأيه باختيار السّلم خوفاً من آثار الحرب، وجاء الصّلح هنا قبل بدء المُنافَرَة.

وقد يعمد بعض الحُكّام إلى تأخير المتنافرين، وعدم الفصل بينهما لدفعهما إلى الصلح، ومن ذلك ما حدث في مُنافَرَة القَعْقاع بن مَعْبَد بن زُرارة وخالد النَّهْشَلِيّ "قال: فخرج إليهم [يعني ربيعة بن حُذار الأسدي]، فقال: قد أردتُ أن ترجعوا أُلافاً كراماً فأبيتم، يا بني أسد اركبوا الخيل، فإذا نفَرتُ فاعزلوا نصيبي"[2]، وهنا حين لم تجد دعوة ربيعة بن حُذار الأسدي للصلح صدى عند المتنافرين أمر بعزل نصيبه من النُّفُورَة، ونفّر القعقاع على خالد النَّهْشَلِيّ.

وقد يستعد المتنافران للمُنافَرَة بتحديد مكانها وزمانها، ولكن سعاة الصلح يحولون دون وقوعها، وذلك مثل المُنافَرَة التي كادت أن تحدث بين حاتم الطائي وسعد بن حارثة بن لَأْم؛ لأن حاتم الطائي أجار الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس، فثار سعد؛ لأنه يرى أن الإجارة من حقه فقط؛ فقد وهبهم النعمان بن المنذر ربع الطريق طُعْمَة[3] لهم، ولأجل هذا فمن حقهم أخذ الإتاوات ممن يمرّ بهم من قوافل التجارة التي تعبر منطقتهم، ولوجود مصاهرة بين النعمان بن المنذر وبينهم، فبنو لأم بهذا يتمتعون بمكانة سياسية واجتماعية. إن حاتم الطائي حين طلب منه سعد بن لأم التخلي عن إجارته للحكم بن أبي العاصي أطار أرنبة أنف سعد بن حارثة ، فاتفقوا على التنافر في سوق الحيرة؛ لذا سعى إيَاس بن قَبِيصَة[4] إلى النّعمان بن المنذر ونصحه "فقال: أنعم صباحاً أبيت اللعن،

---

(١) القالي – الأمالي، ١: ٩٣. تفوّقهم: تسقيهم الفُواق، وهو ما بين الحلبتين. الذّعاف: السمّ القاتل. المقسّم: المخلوط. مُكشّم: مقطوع. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " فاق "و "ذعف" و "قسم " و " كشم" .

(٢) أبو العلاء صاعد البغدادي- كتاب الفصوص، ٥: ٣٠٠.

(٣) الطُعْمَة: أي إتاوة. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " طعم " .

(٤)هو إياس بن قَبيصَة من هَبيّ، وهم بطن من طيئ ، كان عامل كسرى على الحيرة والعرب الذين يلونهم بعد النعمان بن المنذر، وهو الذي هزم الروم لما نزلوا النهروان. انظر: أبوعبيدة – شرح نقائض جرير والفرزدق، ١: ٦٣١ و ٣: ٧٩١؛ وابن دريد – الاشتقاق ٣٨٦؛ هبة الله الحلي – المناقب الزيدية،١: ١٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال النّعمان: وحيّاك إلهك، فقال إياس: أتمدّ أختانك بالمال والخيل، وجعلت بني ثُعلة في قعر الكِنانَة! أظنّ أختانك أن يصنعوا بحاتم كما صنعوا بعامر بن جُوَيْن، و لم يشعروا أن بني حيّة بالبلد، فإن شئت والله ناجزناك حتى يسفح الوادي دماً، فليحضروا مِحادهم غداً بمجمع العرب. فعرف النّعمان الغضب في وجهِهِ وكلامه، فقال له النعمان: يا أحلمنا لا تغضب، فإني سأكفيك. وأرسل النّعمان إلى سعد ابن حارثة وإلى أصحابه أن انظروا ابن عمّكم حاتماً، فأرضوه، فوالله ما أنا بالذي أعطيكم مالي تبذرونه، وما أطيق بني حيّة. فخرج بنو لَأْم إلى حاتم فقالوا له: أعرض عن هذا المحاد ندعْ أَرْشَ أنفِ ابن عمنا، قال: لا، والله لا أفعل حتى تتركوا أفراسكم، ويغلب مِحادكم. فتركوا أرشَ أنف صاحبهم وأفراسهم، وقالوا: قبّحها الله وأبعدها، فإنما هي مقارف، فعمد إليها حاتم، وأطعمها الناس، وسقاهم الخمر"[1].

وهنا نجد أن إيَاس بن قَبِيصَة قد وضح للنعمان بن المنذر خطورة الأمر برمته مُبيناً الأسباب التي أدّت للمُنافَرَة و مُحذِراً من عواقبها، حيث أن وقوف النعمان بن المنذر مع أصهاره، وإمداده لهم بالخيل والمال سيؤدي إلى إشعال الحرب، فحاتم الطائي ليس مثل عامر بن جُوين؛ فلن يسكت ويدع حقه في الإجارة؛ لذا لجأ إلى المُنافَرَة.

أدرك النّعمان بن المنذر خطورة الموقف بعد حديثه مع إيَاس بن قَبِيصَة، فقرر السعي للصلح، نتيجة خوفه على ماله من التبذير فيما لا يفيده، وسيكون سبباً في إشعال الحروب. إضافة إلى أنّ النّعمان لا طاقة له ببني حيّة.

فجاء الصلح بتنازل بني لَأْم عن أَرْش أنف صاحبهم، والنُّفُورَة من الأفراس، فأطعم حاتم الطائي الناس. ويمكن اعتبار ما حدث صُلحاً لأن المُنافَرَة لم تحدث، ويمكن اعتباره أيضاً تنفيراً لحاتم على سعد بن حارثة لانسحابه وتسليمه للنُّفُورَة.

وإذا كانت العصبية تشجع بعض أفراد القبيلة على التنفير، فإن أصوات الحكماء ترتفع لتزع فتيل الحرب، ولإعادة الهدوء والطمأنينة إلى النفوس، والاستقرار النسبي إلى القبائل.

---

(١) الأصفهاني- الأغاني، ١٧: ٣٧٢. المحاد: من مترادفات المنافرة، وقد جاء ذلك في التمهيد. أرش: هو دية الجراحات مقارف: غير أصيل. ثُعل:هو ثُعل بن عمرو من بطون طيئ بنو حيّة بن يَهْدَلَة: من بطون طيئ . أختان: أصْهار. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " أرش "و " قرف" و" ثعل" و"ختن" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

د- الحُكم ووسائل تنفيذه:

يصدر الحكم حكمه بعد الاستماع للمتنافرين وإلى الحجج التي تقنعه بتنفير أحدهما على الآخر، وقد يأتي حكمه نثراً مسجوعاً، وفي أحيان أخرى يكون شعراً، ينفّر فيه أحد المتنافرين، ويكون تنفيره تارة مسوّغا وتارة أخرى غير مسوّغ.

ومن أهم أسباب تنفير الحكم لأحد المتنافرين كرم النسب، وهو جوهر المُنافَرَة، ومثال ذلك ما جرى في مُنافَرَة القَعْقاع بن مَعْبَد وخالد بن مالك النَّهْشَلِيّ عند ربيعة بن حدار الأسدي "فنادى ربيعة: إن السّماح واللّهى والباع، والشّرف الأسنَعَ للقعقاع، إلاّ أنّي قد نفّرت من كان أبوه معبداً، وعمّه حاجبا، وجدّه زُرارة"(١)، فكما يتضح أن ربيعة قد نفّر القعقاع لكرم أصله، وأمجاد أهله، في حين خُذل خالد النَّهْشَلِيّ؛ لأنه افتخر بنفسه وبأفعاله، و لم يفتخر بنسبه وأهله.

ولا يكفي كرم النسب دون الاتصاف بالفضائل والتّحلي بمكارم الأخلاق، وهذا ما اعتمد عليه نُفَيْل بن عبد العُـــزَّى حين حَكَم بين حَرْب بن أُمَيَّة وعبد المطلب بن هاشم، و لم يكن أميّة في نفسه هنَاك، وإنّما رفعه أبوه وبنوه، وكان مضعوفاً وكان صاحب عِهَار، يدل على ذلك قول نُفَيْل ابن عبد العُزَّى جدّ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – حين تنافر إليه حَرْب بن أُمَيَّة وعبد المطلب بن هاشم، فنفّر عبد المطلب، وتعجب من إقدامه [حَرْب بن أُمَيَّة] وقال:

أَبُوكَ مُعاهِرٌ، وَأَبُوهُ عَفٌّ

وَذادَ الفَيلَ عَنْ بَلد حَرَامِ"(٢)

وهنا ارتجل الحكم شعراً ليبين سبب تنفيره.

ولا بد أن يفتخر المنافر بأصله الحقيقي لا بانتسابه إلى غير أهله، ومن ذلك ما جرى في مُنافَرَة عُيَيْنَة بن حِصْن وزَبَّان بن سَيَّار عند الكاهنة العز:

"فقال عُيَيْنَة: أنا ابن الجون.

فقال زبان: بزينة أم عمرو.

فقال عُيَيْنَة: عليه. فلم يرض، وكان يُقال: إن بدر بن عمرو بن الجون الكندي، وأن عُيَيْنَة لما اعتزى إلى الجون، وكان معتلياً لزبان، فلما ترك نسبه في بني فَزارَة وفخر بفخر غيره قالت: افتخرت بفخر ليس لك، وتركت ما في يديك، فكأنما نفّرت زبان، فطلب زبان المائة النُّفُورَة، فقال عُيَيْنَة: أنا أفضل منك نفساً وأباً ولكنها جارت"(٣).

---

(١) أبو العلاء صاعد البغدادي- كتاب الفصوص، ٥: ٣٠١. اللّهى:جمع لُهوة، وهي العطيّة، الأسْنع: المرتفع. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " لمو".

(٢) المقريزي- كتاب النزاع والتخاصم فيما بين أمية وهاشم: ٤١. هناك:أي بالمكان أو المستوى الذي يستطيع به مُنافَرَة عمّه أو ابن عمّه.

العِهَار: الفجور. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " عهر ".

(٣) أبو عبيدة - الديباج: ٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتبين هنا رغبة عُيَيْنَة في انتسابه إلى الجون الكندي ليغلب منافره، لكن الكاهنة العز اعتمدت هنا على حقيقة النسب لا علىما كان يقال من أن " أم بدر كانت عند الجون الكندي فحملت ببدر، وخلف عليها عمرو بن جونة بن لُوذان، فولدت له بدراً على فراشه"(١). إن الكاهنة قد حكمت بما هو معروف عن نسب عُيَيْنة لاعلى مايُقال من انتسابه لابن الجون الكِندي، مما جعل عُيَيْنَة يظنّ أنها جارت عليه.

وإذا كانت الكاهنة العبــز هنا قد جارت على عُيَيْنَة بن حِصْن كما ظن، فإن الأقرع بن حابس في مُنافَرَة جرير البَجَلِيّ وخالد بن أَرْطاة الكَلْبِيّ نفّر جريراً على خالد، وبالغ في تنفيره "فقال الأقرع: واللات والعُزّى، لو فاخرت قيصر ملك الروم، وكسرى عظيم فارس، والنّعمان ملك العرب لنفّرتك عليهم"(٢)، أكد الأقرع حكمه بالقسم باللات والعزى فبالغ في تنفيره، فجعل جريرا أفضل من الملوك في ذلك الوقت، ولعل اهّام الأقرع بن حابس بالرشوة يجعل التنفير والمبالغة فيها ثمنا لهذه الرشوة.

ويلجأ بعض الحكام إلى السجع في أحكامهم وخاصة الكهان منهم، ومثال ذلك مُنافَرَة عبد المطلب بن هاشم وبني ثقيف، " وقالا له: أخبرنا فيما اختصمنا؟ قال: أحلف بالضياء والظُلَم، والبيت ذي الحرم، أن المال ذا الهرْم للقرشي ذي الكرم"(٣). فهنا أقسم الكاهن بالضياء والظُلَم والكعبة بأن المال لعبد المطلب بن هاشم، ونُفّر عبد المطلب بن هــاشم على حَرْب بن أُمَيَّة عند نُفَيْل بن عبد العُزّى حيث قال موجّها كلامه لحَرْب بن أُمَيَّة "يا أبا عمرو، أتنافر رجلاً هو أطول منك قامة، وأوسم وسامة، وأعظم منك هامة، وأقل منك لامة، وأكثر منك ولدا، وأجزل منك صَفْدا، وأطول منك مِذْوَدا وإني لأقول هذا وإن فيك لخصالاً: إنك لبعيدُ الغضب، رفيع الصيت في العرب، جَلْد المريرة، تحبك العشيرة، لكنك نافَرْتَ مُنَفَّراً"(٤)، فكما نلاحظ فإن الخبر يدلنا على أن النسب والحسب ليس سببا للتنفير هنا، ولعل ذلك يعود إلى أن المتنافرين ينتميان إلى أصل واحد، مما جعل الحكم يعتمد على الصفات الجسدية والمعنوية للمتنافرين، كالطول والوسامة والهامة وكثرة الولد والعطاء والذود عن العرض والشرف.

---

(١) عبد الكريم النهشلي- الممتع في صنعة الشّعر:١٥٥

(٢) الأسود الغندجاني- فرحة الأديب: ١٠٩.

(٣) محمد بن حبيب- المنمق: ١٠١.

(٤) المصدر نفسه: ٩٥. لامة: عرضة للوم. الصَّفْد: العطاء. مِذْوَداً: دفاعاً عن عرضه وشرفه.
نافرت مُنفراً: فاخرت من هو الغالب عليك. جَلْدُ المَريرَة: قوي العزيمة انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " لوم " و "ذود" و " جلد ". وانظر: مُنافَرَة هاشم بن عبد مناف وحَرْب بن أُمَيَّة في الكامل في التاريخ، ٢: ٥٥٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي مُنافَرَة عبد المطلب وبني ثقيف حكم الكاهن بينهما بالشعر " فقال عبد المطلب: اقضِ لصاحب الخيرات الكُبَر، ومن كان أبوه سيد مُضَر، وساقي الحجيج إذا كثر، فقال الكاهن (الرجز):

أَمَا وَرِبِّ القُلْص والرَّوَاسِم يَحْمِلْنَ أَرْوالاً بِقَيٍّ طاسِم
إنّ سَناءَ المَجْدِ وَالمَكارِم في شَيْبَةِ الحَمْدِ النَّدى ابْن هاشِم

فقال عبد المطلب: اقض بين قومي وقومه، أيهم أفضل، فقال:

إنَّ مَقالي فَاسْمَعُوا شَهَادَهْ أَنَّ بَنِي النَّضْرِ كِرامٌ سَادَهْ
مِنْ مُضَرِ الحَمْراءِ في القِلادَهْ أَهْلُ سَناءٍ وَمُلُوكٌ قادَهْ
زِيارَةُ البَيْتِ لَهُمْ عِبَادَهْ"[1]

ويلاحظ أن المُنافَرَة انتقلت من شخصية إلى قبلية. وأصبح الحكْم شهادة مصدقة بأن قبيلة مضر لها الشرف والقيادة، والمكانة الدينية. أما قوله: " مُضَر الحمراء " فإنه يشير إلى لقب اشتهرت به مضر؛ لأن مضر وربيعة عندما اقتسمتا الميراث، أخذ مضر الذهب، وأخذت ربيعة الفرس، وقيل إن شعار مضر في الحرب والرايات والعمائم هو اللون الأحمر[2].

وقد يلجأ الحكم إلى قول الشعر في التحكيم، ومثال ذلك مُنافَرَة مالك بن عُميلة وعميرة ابن هاجر الخزاعي التي حكَم فيها الكاهن عُزّى سَلِمَة العُذْرِيّ فقال:

أَحْلِفُ بِالمَرْوَةِ وَالمَشَاعِر
وَمَنْحَرِ البُدْنِ لدى الحَزاوِر
وَكُلّ مَنْ حَجَّ عَلَى عُذافِر
مِنْ بَيْنِ مَطْفورٍ وَبَيْن نَاشِر

يُؤَمّ بَيْتَ اللهِ ذي السَّتائِر
أنّ سَنا المَجْدِ وَالمَفَاخِر

(١) محمد بن حبيب- المنمق: ١٠٢. شَيْبَة الحَمْد هو لقب عبد المطلب بن هاشم، لنور وجهه ولأن في ذؤابته شعرة بيضاء عند مولده، انظر: الثعالبي – ثمار القلوب، ١: ٩٧.

(٢) انظر ابن منظور- لسان العرب، مادة " مضر".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لَفِي الفَتَى عُمَيْرَةَ بنِ هَاجِرِ

فَارْجِعِ أَخا الدَّارِ بِجَدٍّ عَاثِرِ[١]

وفي هذا الرجز لم يبتعد الكاهن عُزّى سَلِمَة العُذْرِيّ عن طريقة الكهّان في التحكيم حيث أقسم بالمروة والمشاعر، ووضّح كيفية الحج عند الجاهليين، ليؤكد قسمه، بأنّ سنا المجد والفخر هو في عميرة بن هاجر.

ولا يمتلك الحَكَم قوة أو سلطة تنفيذية لتنفذ أحكامه، لكنه يأخذ عهداً على المتنافرين بالامتثال لحكمه، وفي ذلك يقول جواد علي عن تنفيذ الأحكام "والقوة التنفيذية الوحيدة التي يستند إليها الحكم في تنفيذ حكمه، هي العهود والمواثيق التي يأخذها من المتخاصمين بوجوب طاعة حكمه مهما كان ... فقوة الحَكَم إذن معنوية، وكلمة شرف تصدر عن المتخاصمين بإطاعة الأمر"[٢]، لكن الأمر في المُنافَرات يختلف قليلاً، فبالإضافة إلى القوة المعنوية التي أشار إليها جواد علي، هناك التزامات ومواثيق مادية، تتمثل في الرهائن الذين يحتجزون إلى أن يتم الالتزام بحكم الحكَم، وفي النُّفُورَة التي توضع على يد شخص محايد، ويتم تقسيمها فور صدور الحُكم.

وقد يتعرض الحكم أحياناً- إن حكم لأحد الطرفين - لبعض التهديدات من الطرف المنفور، بإخراجه من مدينته أو قريته مثلما كاد يحدث لنُفَيْل بن عبد العُزّى[٣]، وكذلك هدد بعض بني تميم النابغة الذبياني؛ لأنه نفّر محمد بن أُحَيْحة على الزِّبْرِقان بن بدر التميمي[٤].

هـ- زمن المُنافَرَة:

عندما تتهيّأ الأسباب للمُنافَرَة من خلاف وتنافس، يتم تحديد الزمان والمكان والحكَم من خلال حوار المتنافرين، وفي ذلك يقول جواد علي " فإذا وافق الطرفان المتخاصمان على اختيار الحاكم أو المحكّم ووافق الحاكم أو المحكمون على النظر في الدّعوى، عيّنوا موضعاً ووقتاً للنظر في القضية ولسماع البيّنات، ثم لإصدار الحُكم بعد الوقوف على حجج الخصماء"[٥].

---

(١) محمد بن حبيب- المنمق: ١١٠- ١١١.

(٢) جواد علي - المفصل، ٥: ٤٩٧.

(٣) انظر محمد بن حبيب- مصدر سابق: ٩٨..

(٤) انظر: ابن الجون الأشعري - الرياض الأدبية في شرح الخمرطاشية: ١٣٧.

(٥) جواد علي- مرجع سابق، ٥: ٤٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمكن أن تعقد المحاكمة في أيّ وقت، ولكن بعض الحكام تميزوا بالقضاء في وقت محدد من اليوم مثل "عامر الضّحْيان بن سعد بن الخزرج بن تَيْم الله بن النَّمَر بن قاسط[١]. وكان يجلس للناس في الضّحى"[٢]، حتى لقّب بالضحيان.

وهناك من قسّم أيامه ليجعل منها يوماً للتحكيم، وهو "غَيْلان بن سلمة بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف ... وكان يجلس في أيام الموسم، فيحكم بين الناس يوماً، وينشد شعره يوماً، وينظر إلى وجهه يوماً" [٣].

ولا نكاد نظفر إلاّ بإشارات قليلة عن زمن المُنافَرات، ونقصد بالزمن الفترة الممتدة من وقت التنافر إلى التحكيم، والأخبار غالبا لم تشر إلى زمن المنافرة، ونستطيع القول بأن المُنافَرات كانت تعقد بعد عام من الخلاف؛ كي يستعد المتنافران بتجهيز النُّفُورَة، والذهاب إلى المُنافَرَة مسلحين – أحيانا- لبيان قوتهم وشجاعتهم، ممتطين الخيول والإبل بصحبة وجهاء القبيلة وأفرادها، ونستثني من ذلك منافرة حاجب بن زُرارَة وقيس بن مسعود حيث تنافرا أمام النعمان بن المنذر، فبعث معهما حكّاما إلى قبيلتهما كي يتأكدوا من المعايير التي اتفق المتنافران عليها[٤]، مما يجعل الزمن بمقدار المسافة التي سيقطعونها في رحلتهم أي ما تستغرقه الرحلة إلى قومهما في ديارهم، ثم العودة إلى النعمان من جديد.

وفي مُنافَرَة عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعامر بن الطُّفَيْل بحث المتنافران طويلاً عمن يحكم بينهما، إلى أن قبل هَرِم بن قُطْبَة التحكيم "وأمرهما بالانصراف، ووعدهما ذلك اليوم من قابل، فانصرفا حتى إذا بلغ الأجل خرجا إليه.... وأتوا هرماً فأقاموا عنده أياماً"[٥]، وهناك خبر آخر يشير إلى تحديد وقت المنافرة تحديدا دقيقا حيث "انتهيا إليه [هَرِم بن قُطْبَة] مساءً، فأمر لكل واحد منهما بقُبّة، وأمر لهما بالإنزال، وما يحتاجان إليـــه"[٦]. ويحاول محمد محمد حسين أن يحدد تاريخ منافرة علقمة وعامر، فيرى أنها وقعت بعد بعثة الرسول- صلّى الله عليه وسلّم- وقبل العام الرابع الهجري[٧].

---

(١) من رجال النَّمَر، وسيدهم في الجاهلية، وصاحب مرابعهم، كانت ربيعة بن نزار تعطيع من الغنيمة رغم عدم مشاركته في الحرب؛ وذلك لمكانته الكبيرةعندهم، كان يقضي للناس وقت الضّحى؛ لذلك لقب بالضّحْيان. انظر: محمد بن حبيب – المحبر: ١٣٥؛ ابن دريد – الاشتقاق: ٣٣٤.

(٢) محمد بن حبيب – مصدر سابق: ١٣٥.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٤) انظر: ابن رشيق – العمدة، ٢: ٩٤٠.

(٥) ابن نباتة- سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون: ١٦٤. قابل: عام قابل أي عام مقبل. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " قبل " .

(٦) الميداني- مجمع الأمثال، ٢: ٤٧٧.

(٧) انظر: ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، تحقيق محمد محمد حسين:١٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي مُنافَرَة جرير بن عبدالله البَجَلِيّ وخالد بن أَرْطاة الكَلْبِيّ تحدد الزمن بتحديد المكان في قول خالد: إن " ميعادُنا من قابل سوق عُكَاظ"[١]، وزمن المُنافَرَة قد يمتد إلى أكثر من عام، مثلما حدث بين القَعْقاع بن مَعْبَد بن زُرارة، وخالد بن مالك النَّهْشَلِيّ، حيث "تواعدا إلى سبعة أرجاب يخرجان في كلّ عام خصيب، فلما صادفا ذلك العام، خرجا يردان الماء ويسقيان اللبن وينحران الإبل، حتى أتيا ربيعة وهو في قبّة من أَدَم، فاحتجب عنهما، حتى اشتدت عليهما النفقة، وعظمت عليهما المؤنة. فمر راعي غنمٍ على بابه فنادى: يا ربيعة، قد أكلت الإبل أوبارها وتساوكت غنمي"[٢]، فزمن المُنافَرَة هنا طويل جداً، امتدّ إلى سبعة أعوام، مما ألحق خسائر ماديّة جسيمة بالمتنافرين، تجلت في كثرة النحر والإنفاق.

و- مكان المُنافَرَة:

١- سوق عكاظ:

هي من أشهر الأسواق التي كانت تقام فيها المُنافَرات والمفاخرات، واسمها مأخوذ مما يجري فيها من العَكْظ، و"عكاظ اسم سوق كان العرب يجتمعون فيها كل سنة شهراً، ويتناشدون ويتفاخرون، ثم يتفرقون فهدمه الإسلام، وكانت فيها وقائع... يقال: أَدِم عُكاظي منسوب إلى عكاظ، وسُمّي به لأن العرب كانت تجتمع كل سنة، فَيَعْكِظ بعضهم بعضاً بالمفاخرة والتناشد، أي يَدْعَك وَيَعْرَك، وفلان يَعْكِظ خصمه بالخصومة يَمْعَكُه"[٣]، حيث اشتُقّ " عكاظ " مما يجري في سوق عكاظ من مفاخرات ومُنافَرات ونشيد للشعر، أما موقعها فهو قريب من الطائف، وقيل إن " عُكاظ نخل في واد بينه وبين الطائف ليلة، وبينه وبين مكة ثلاث ليال، وبه كانت تُقام سوق العرب بموضع منه يقال له الأُنَيْداء"[٤]، وعُكاظ هي سوق من أسواق العرب، تعرض فيها البضائع للبيع، وموسم أيضاً من مواسم العرب الجاهلية، حيث يحضر الشُّعراء وأشرف القبائل وبعض الكهّان وغيرهم. وتعقد هذه السوق سنوياً في شهر ذي القعدة، وتستمر إلى آخر الشهر [٥]. ويمكن أن نشبّه سوق عكاظ

---

(١) الأسود الغندجاني- فرحة الأديب: ١٠٨.

(٢) أبو العلاء صاعد البغدادي- كتاب الفصوص، ٥: ٢٩٩. تساوكت: سارت متمايلة. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " سوك " .

(٣) الخليل بن أحمد- معجم العين، ١: ١٩٥. وانظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة "عكظ".

(٤) الأُنَيْداء مكان بعكاظ. ياقوت الحموي- معجم البلدان، ١: ٩٢.

(٥) انظر: محمد بن حبيب – المحبر: ٢٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسوق حُرّة لم تفرض فيها نسبة من الأرباح لقبيلة بني تميم التي تُقام السوق على أرضها، مثل بقية الأسواق الأخرى[١].

ويمكن القول بأن سوق عكاظ تمثل تجمعًا تجاريًّا وقضائيًّا وأدبيًّا واجتماعيًّا ودينيًّا، فالتّجار يحضرون محملين بمختلف أنواع البضائع، وكان النعمان بن المنذر يبعث لَطِيمَة إليه لتباع، ويشترى بثمنها الأَدَم والحرير وغير ذلك[٢]؛ وكان قيس بن زُهَيْر بن جُذَيْمة العَبْسي[٣]، يستغل وجوده في عكاظ ليأخذ من هوازن ما عليها من الإتاوة[٤]، وقد تتم أحياناً خِطبة في سوق عكاظ[٥]، وافتداء بعض الأسرى[٦]، ويحضر السوق الشعراءوالخطباء والكَهّان والرّهبان، ومنهم زُهْرَة بن سِرْحَان[٧].

ومما يؤكد صحة ما ذهب إليه أغلب العلماء في قيام سوق عكاظ في شهر ذي القعدة، هو حرص العرب لتجنب القتال فيه، ويتجلى هذا الحرص في أنهم إذا قدموا، " عكاظ دفعت [أي العرب] أسلحتها إلى [عبدالله] بن جُدْعان، حتى يفرغوا من أسواقهم وحجّهم، ثم يردّها عليهم إذا ظعنوا، وكان سيداً حكيماً مثرياً من المال"[٨]، ويأتي وضع الأسلحة لمنع أي قتال قد يحدث في الأشهر الحُرُم.

ووجود الحُكّام والكُهّان في سوق عكاظ؛ دفع بالكثيرين وخاصة المتنافرين إلى اختيار عكاظ للتحكيم فيه، يقول القلقشندي في ذلك: "ومن له حكومة ارتفع إلى من له الحكومة [أي القضاء]، وكان الذي يقوم بأمر الحكومة فيها من بني تميم، وكان آخر من قام بها منهم الأقرع بن حابس التميمي"[٩].

ونلاحظ مما سبق أن عكاظ أقيمت فيها محاكم مختلفة، منها المُنافَرات، وهي محاكم مرتبطة بموعد سنوي معروف بين القبائل، وحكَمَت فيه أفخاذ قبيلة بني تميم كلها، وقد صادف في أحيان كثيرة أن تلي القضاء والموسم، وهذا يدل على مكانة بني تميم بين القبائل؛ ولأن سوق عكاظ كانت تقام على أراضيها.

---

(١) انظر: جواد علي- المفصل في تاريخ العرب، ٧: ٣٧٧.

(٢) انظر: الأصفهاني- الأغاني، ٢٢: ٢٦. لَطِيمَة: هي العير التي تحمل الطيب وبَزّ التجارة. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " لطم " .

(٣) هو قيس بن زهير بن جُذَيْمة العبسي، شاعر وخطيب، لقّب بقيس الرأي لحنكته ودهائه، ويضرب به المثل في الدهاء، ويقال: " أدهى من قيس "، وقاد غَطَفان كلّها، ولم تجتمع على أحد من قبله في الجاهلية ولا الإسلام. انظر: ابن دريد – الاشتقاق: ٢٧٨؛ والمرزباني- معجم الشعراء: ١٧٨؛ والميداني – مجمع الأمثال، ٢: ١٨٨.

(٤) الأصفهاني- مصدر سابق، ١١: ٧٨.

(٥) المصدر نفسه، ١٠: ٢٣.

(٦) القلقشندي- صبح الأعشى، ١: ٤٦٨.

(٧) انظر: الأصفهاني- مصدر سابق، ٢٢: ٢٦.

(٨) أبو عبيدة- أيام العرب: ٥١٢.

(٩) انظر: محمدبن حبيب – المحبر: ١٨٢، الفخذ هو ما انقسم من افخاذ البطن، انظر ص ٨٨ من هذه الدراسة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا سلّمنا بأن هذين البيتين من الشعر الصحيح النسبة إلى المثقب العبدي لا المنحول، فإن هذا المثل جاهلي، وبهذا فإنّ الحكّام كانوا يطلبون من المتنافرين وغيرهم من المتنازعين الحضور إلى منازلهم للفصل بينهم.

وكل المتنافرين سعوا بأنفسهم إلى الحكام من حكماء وكهّان، فذهبوا إلى الحكماء في منازلهم، أما الكهّان فعقدوا المحاكمات في أماكن عبادتهم.

وتقام المحاكم عند الحكام الحكماء في منازلهم، ولا نعثر على وصف لها، إلاّ كونها قُبّة من أَدَم عند بعض الحكام، مثل النابغة الذُبْياني الذي تضرب له قبّة حمراء من أَدَم في سوق عُكاظ، ومثل ربيعة بن حُدار الأسدي الذي فصل بين القَعْقاع بن مَعْبَد، وخالد بن مالك ا لنَّهْشَلِيّ [١]، وهَرِم بن قُطْبَة الذي أنزل المتنافرَيْن: عامر بن الطُفَيْل و عَلْقَمَة بن عُلاثَة في قُبّة لكل منهما[٢].

ولعل القبّة تؤكد المكانة الاجتماعية الرفيعة لصاحبها، فهي " تضرب للسادات الأشراف والأغنياء ... فكان لرؤساء القبائل أصحاب العزّ قباب من أَدَم ... وتعتبر هذه القباب من أمارات التعظيم والتفخيم والامتياز والجاه عند الملوك"[٣]، وهذا يدل على ما يمتازون به من تقدير وتعظيم وثراء.

ومن الأخبار التي وصلتنا عن القَسِم بنِ عُقَيْل أنه كان يقول: "إن أول ما رأيت فيه الثّياب المصبّغة، والـقِباب الحُمْر يوم حثتُ جريراً في قَسْر"[٤]، ونملك بعض الوصف لما يمكن تسميته بكرسي القضاء- إن صح التعبير - عند ربيعة بن مُخاشِن فقد ترجم له ابن حبيب فقال"ومن بني تميم ربيعة بن مخاش بن معاوية بنُ شريف بن جِرْوَة بن أَسِيد بن عمرو بن تميم. وكان يجلس على سرير من خشب في قُبة من خشب فسُمّي ذا الأعواد"[٥]، ولعلّ اللّقب هو الذي حفظ لنا هذا الوصف، وربما كان ربيعة بن مُخاشِن هو الوحيد الذي انفرد بقبّة من خشب، في حين أن أكثر الحُكّام أقاموا في قباب من أَدَم.

---

(١) أبو العلاء صاعد البغدادي - كتاب الفصوص، ٥: ٢٩٩.

(٢) الميداني - مجمع الأمثال، ٢: ٤٧٧.

(٣) جواد علي - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٥ : ٦.

(٤) أبو عبيدة - شرح نقائض جرير و الفرزدق، ١: ٣١٠. قَسْر: بطن من قبيلة بَجيلَة. انظر: ابن دريد - الاشتقاق: ٥١٦.

(٥) محمد بن حبيب - المحبر: ١٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الحُكّام الكهّان فنظن أنهم عقدوا محاكمهم في أماكن عبادتهم التي هي مواضع تجمّع الكُهّان، كي يمارسوا كهانتهم، فإنه من الجائز لنا أن نعدّ تلك المعابد محاكم من محاكم الجاهليين آنذاك [١].

وقد تعددت أماكن وجود الكُهّان ممن حكّموا في المُنافَرات التي وصلتنا، فمنهم الكاهنة العزّ في نَجْرَان[٢]، والكاهن سَطِيح الذِئْبي في اليمن[٣]، والكاهن الخُزاعي بعُسْفان[٤]، والكاهن عزّى بن سَلِمَة العُذري في الشام[٥]وفي مُنافَرَة حاجِب بن زُرارَة وقَيْس بن مَسْعُود جرت المُنافَرَة في أماكن قوم كلا المتنافرين[٦].

ز- النُّفُورَة:

مرّ المعنى اللغوي للنُّفُورَة والنُّفارة. والكلمة الأولى منهما أكثر استخداماً في الأخبار والروايات،" والنُّفارَةمَا أَخَذَ النافِر مِنْ المَنْفور، وَهُوَ الغَالِبُ، وَقيلَ:بَلْ هُوَ مَا أَخَذَهُ الحَاكِم"[٧].

ويمكن تقسيم النُّفُورَة إلى مادية ومعنوية، مادية تتمثّل في الإبل، والخيل غالباً، أما المعنوية فهي قليلة، لا نجدها إلاّ في مُنافَرَة هاشم بن عبد مناف، وأمية بن عبد شمس حيث اشترط عليه هاشم أن تكون النُّفُورَة مادية من خمسين ناقة سود الحَدَق، و معنويـــــة بالجلاء عن مكة عشر سنين[٨].

أما النُّفُورَة المادية فأغلبها مائة من الإبل في أكثر المُنـــافَرات ، مثل مُنافَرَة خِدَاش بن زُهَيْر[٩] وهُبَيْرَة بن عامر[١٠]ومُنافَرَة عُيَيْنَة بن حِصْن وزَبَّان بن سَيَّـــار، ومُنافَرَة القَعْقاع بن مَعْبَد وخالد بن مالك النَّهْشَلِيّومُنافَرَة حاجِب بن زُرارَة وقَيْس بن مَسْعُود عند النعمان بن المنذر، ومُنافَرَة بني فَزارَة

---

(١) انظر: جواد علي - المفصل في تاريخ العرب، ٥: ٤٩٧.

(٢) أبو عبيدة - الديباج، ٩٧.

(٣) انظر محمد حبيب- المنمق: ١١٣.

(٤) انظر: المصدر نفسه: ١٠٧، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ٢: ٥٥٤.

(٥) محمد بن حبيب- مصدر سابق: ٩٩.

(٦) انظر: ابن رشيق - العمدة، ٢: ٩٤٠ ومابعدها.

(٧) ابن منظور: لسان العرب، مادة " نفر " .

(٨) انظر محمد بن حبيب — مصدر سابق: ١٠٥؛ تاريخ الطبري، ١: ٥٠٤؛ ابن الأثير- مصدر سابق، ٢ : ٥٥٤ .
الحَدَق: السواد المستدير وسط العين.

(٩) هو من رجال بني ربيعة بن عامر، كان شاعرا وفارسا، وله بلاء في أيام الفّجار بين قريش وقيس، أدرك حُنَيْنًا وشهدها مع المشركين، وهو من حمقى العرب. انظر: ابن سلام — طبقات فحول الشعراء، ١: ١٤٤، وانظر: ابن دريد — الاشتقاق: ٢٩٥.

(١٠) هو هُبَيْرَة بن عامر بن الحُرّ بن قُشَيْر، أغار على النعمان بن المنذر بالقرب من البصرة، واكتسح أمواله وامرأته المتجرّدة ففرّ النعمان إلى الحيرة. انظر: هبة الله الحلي — المناقب الزيدية، ١: ٤٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبني هِلال[١]، التي قضى فيها أنس بن مُدرك على الهِلاليين، فأخذ الفَزارِيّون منهم مائة بعير، وكانوا تراهنوا عليها"[٢].

وقد تقسم النُّفُورَة ثلاثة أقسام للحَكَم، والنّافر، ولإطعام القوم، ويتضح ذلك فيما جرى في مُنافَرَة عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعامر بن الطُّفَيْل التي حكّم فيها هَرِم بن قُطْبَة، حيث خرج المتنافران "ومع كل واحد منهما ثلاثمائة بعير يُعطى الحاكم منها مائة، ويعقِرُ مائة، ويأكل هو وأصحابه في الطريق مائـــة"[٣]، وكذلك كان الحال في مُنافَرَة القَعْقاع بن مَعْبَد وخالد بن مالك النَّهْشَلِيّ، حيث ذكر ذلك أبو العلاء صاعد البغدادي: "فتنافرا على مائتي بعير، للقامر مائة، وللمنفّر مائة، وجعلا نُفُورتَهما إلى ربيعة بن حُذار الأسدي"[٤]، أما القسم الثالث فهو لإطعام المتنافر وقومه، حيث جاء في وصية حاجِب بن زُرارَة للقعقاع بن معبد: "يا بن أخي قد كرهت ما صنعت، ولكن هذه ثلاثمائة بعير فاركبها فأطعم، واعقر واعْبِط للنُّفُورَة مائة، وكانوا كذلك يفعلون في الجاهلية"[٥]. والجملة الأخيرة نشير أن للنُّفُورَة ثلاثة أقسام أولها للنّافر، وثانيها للحَكَم، وثالثها لإطعام القوم أثناء الرّحلة، وقد لا تشير بعض الكتب أحياناً للقسم الثالث، ربما لاعتبار ذلك من البديهيات؛ أو لأن ما خصّص للطعام لا يساوي بالضرورة قيمة النُّفُورَة، بل حسب ما يتوفر لدى المتنافر، حيث تُعين القبيلة المتنافر لتوفير النُّفُورَة التي قد يعجز عنها.

والأمر يختلف بالنسبة إلى النُّفُورَة في مُنافَرَة مالك بن عُميلة وعُميرة بن هاجر الخزاعي عن غيرها من المُنافَرات، وفي ذلك يقول محمد بن حبيب "فتداعيا إلى المُنافَرَة إلى الكاهن، فأيّهما فضّل الكاهن فله مائة من الإبل والفرس، فتواثقا ... وقاد كل واحد منهما عشرين بعيراً للكاهن"[٦]، إن النُّفُورَة هنا مزدوجة من الإبل والخيل، ونصيب الكاهن أقل من نصيب النافر، فنصيبه عشرون بعيراً.

وقد يُعطى الحكم (المنفّر) خمسين من الإبل مثل مُنافَرَة عائذ بن عبد الله بن عمر بن مَخْزُوم والحادث بـــن أسد بن عبد العُزّى، حيث "جعلا بينهما كاهناً يقوم بعُسْفان، وجعلا للمُنفّر خمسين

---

(١) انظر لمزيد من التفصيل عن هذه المنافرات: أبو عبيدة، الديباج: ٩٥؛ الأصفهاني- الأغاني، ٥: ٢٣، ١٦: ٢٨٦؛ الميداني- مجمع الأمثال، ١: ١٩٦، ٢١٢، ٣: ٢٥٨.

(٢) الميداني- مصدر سابق، ١: ١٩٦.

(٣) أبو عبيدة- مصدر سابق: ٨٩.

(٤) أبو العلاء صاعد البغدادي - كتاب الفصوص، ٥: ٢٩٩.

(٥) أبو عبيدة، مصدر سابق، ٩٥. اعبط: النحر. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " عبط ".

(٦) محمد بن حبيب- المنمق: ١٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من الإبل"[١]، ولا يختلف الأمر بالنسبة إلى نُفُورَة الكاهن في مُنافَرَة الوليد بن المغيرة وأَسِيد بن أبي العِيص[٢].

إن الحماس والتهور والثقة بالتنفير على الخصم، قد تدفع بالمتنافرين إلى المبالغة في النُّفُورَة، التي قد تودي بأحدهما إلى فقر مدقع، أو غنى فاحش، وذلك رهن بحُكم المنفّر، ومثال ذلك ما جرى في مُنافَرَة جرير بن عبد الله البَجَلِيّ وخالد بن أَرْطاة الكَلْبِيّ، " فقال جرير: ما نجعل؟ قال: الخطْر في يدك. قال: ألف قينة عذراء في ألف قَيْنَة عذراء، وإن شئت فألف أُوقِيَة صفـــــراء لألف أُوقِيَة صفراء"[٣]، هنا تختلف النُّفُورَة عن غيرها من النّفورات في المبالغة، فألف ناقة هي ثروة طائلة، بل ينتقل جرير بن عبد الله بنوعية النُّفُورَة من الإبل التي تعارفت القبائل على تقديمها في المُنافَرات إلى القَيْنَات العذارى، بل إلى أوقيات الذهب. وهذا يعطينا صورة نوعية النُّفُورَة التي يقدمها بعض الأغنياء في العصر الجاهلي.

وتصل المبالغة في النُّفُورة إلى أقصى حدّ بفقد المنفور لجميع ماله، وذلك ما جرى من مُنافَرَة الوليد بن المغيرة وأَسِيد بن أبي العِيص بن أمية، حيث "قال أَسِيد: إن نفّرتك أخرجتك من مالك، وإن نفّرتني أخرجتني من مالي... وخرجوا وساقوا إبلاً ينحرها المنفّر"[٤]، فالنُّفُورَة هنا المال جميعه، الذي يأخذه النّافر الغالب، أما نحر الإبل فهو تعبير عن فرحة أَسِيد بالتنفير على أبي ربيعة بن المُغيرة المَخْزُومِيّ، حيث إنه بعدما نفّر على أبي ربيعة قام أَسِيد بنحر الجُزُر، "ورجع فأخذ مال أبي ربيعة، وكانت أخت أَسِيد عند أبي جهل، فكلمت أخاها حتّى ردّ على أبي ربيعة ماله"[٥].

مما سبق نستطيع أن نقول إن النُّفُورَة غالباً ما تكون مائة من الإبل للنّافر، ومائة وأقل حسب اتفاق المتنافرين مع الحَكَم النّافر، وأكثر ما نجد ذكراً لنُفُورَة الحكم النافر عند الكهان.

ح- الرِّهـــــــــــــان:

يوضع الرِّهان لضمان الوفاء بالنُّفُورَة والرضوخ لحكم المنفر، هذا إضافة إلى تأكيد الحَكَم المنفّر بقبول حكمه وقد مرّ ذلك سابقاً.

---

(١) محمد بن حبيب – المنمق: ١٠٧.

(٢) المصدر نفسه: ١١٣.

(٣) أبو عبيدة – شرح نقائض جرير والفرزدق، ١: ٣٠١ ؛ الأسود الغندجاني – فُرحة الأديب: ١٠٨.
أُوقِيَة: زنة سبعة مثاقيل، وزنة أربعين درهما. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " وقي " .

(٤) محمد بن حبيب – مصدر سابق: ١١٥.

(٥) المصدر نفسه: ١١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد يلجأ المتنافران إلى وضع النُّفُورَة عند شخص قبل التحكيم بينهما؛ لضمان الوفاء بالنُّفُورَة، ومثال ذلك ماحدث في مُنافَرَة عائذ بن عبد الله بن عمر بن مَخْزُوم، والحارب بن أسد بن عبد العزّى، حيث "جعلا الإبل على يد المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخْزُوم"(١)، وهو شقيق المتنافر عائذ بن عبدالله، ولعلّ هذا يدل على مدى ثقتهم ببعضهم بعضاً.

وفي مُنافَرَة حاتم الطائي وسعد بن لَأْم "وضعوا تسعة أفراس رهناً على يدي رجل من كَلْب، هو امرؤ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عُلَيْم بن جَناب"(٢)، وقد يعمد بعض الحكام ممن اعتذر عن عدم التنفير إلى حبس الإبل لحين الفصل في المُنافَرَة، ويتضح ذلك حينما بعث أكثم بن صيفي معهما رجلاً إلى ربيعة بن جُرَاد، وحبس إبلهما، التي تنافرا عليها(٣).

إن الرّهان قد يكون بإبقاء الأسير ليفتديه أهله، وليستجيبوا للقبيلة التي أسرته، أو برهن الأشخاص لضمان خضوع قبائلهم، وبهذا لا يكون الرِّهان مقتصرا على المنافرات فقط؛ لذا" استخدم رهن الأشخاص في الأمور السياسية في الغالب، إذ كان المقهورون من الملوك والأشراف وسادات القبائل يضعون أبناءهم أو أقرب الناس إليهم رهائن لدى الغالبين، تكـــــون وديعة عندهم، وضماناً بحسن سلوكهم، وبعدم خروجهم على طاعة الغالبين"(٤)، فالرهن يهدف منه إلى إبقاء قبائل الرهائن محافظة على الولاء للغالبين، لا يخرجون عن طاعتهم، ويناصرونهم متى طُلب منهم.

والنّعمان بن المنذر عمد إلى استخدام رهائن العرب في الحروب؛ لضمان ولاء القبائل العربية له، فحياة الرهائن مرتبطة بحسن تصرف رؤساء القبائل، وعدم معارضتهم لمصالح النّعمان بن المنذر الذي اعتاد أن يخرج برهائنه في الحروب، "وكانت له خمس كتائب: الرّهائن، والصنائع، والوضائع، والأشاهب، ودَوْسَر، أما الرهائن فإنهم كانوا خمسمائة رجل رهائن لقبائل العرب يقيمون على باب الملك سنة ثم يجئ بدلهم خمسمائة أخرى، وينصرف أولئك إلى أحيائهم، فكان الملك يغزو بهم، ويوجههم في أموره"(٥).

---

(١) محمد بن حبيب – المنمق: ١٠٧.

(٢) الأصفهاني – الأغاني، ١٧: ٣٧٠.

(٣) انظر: الميداني– مجمع الأمثال، ٣: ٢٥٨.

(٤) جواد علي – المفصل في تاريخ العرب، ٥: ٦٢٢ ، ٦٢٣.

(٥) الميداني – مصدر سابق، ١: ٢٠٧. الصّنائع: هم من خواصّ الملك، لا يبرحون بابه، وهم من بني قيس وبني تيم اللات. الوضائع: هم ألف رجل من الفرس، يضمهم النعمان في الحيرة للنجدة، ويتمّ تبديلهم كل سنة. الأشاهب: هم أخوة النعمان بن المنذر، وبنو عمّه، ومن يتبعهم، لقبوا بالأشاهب لبياض وجوههم. دَوْسَر: هي كتيبة من أحشن الكتائب، وأكثرها نكاية وبطشا، وأكثرهم من قبيلة ربيعة. انظر: الميداني – مجمع الأمثال، ١: ٢٠٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ذُكر أمر الرّهان في أشهر منافرتين، الأولى: بين عَلْقَمَة بن عُلاثَة، وعامر بن الطُّفَيْل، والثانية:بين جرير بن عبد الله البَجَلِيّ وخالد بن أَرْطاة الكَلْبِيّ.

ففي مُنافَرَة عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعامر بن الطُّفَيْل لجؤوا إلى وضع الرّهان؛ لضمان الوفاء بالنُّفُورَة "ووضعوا بها رهناً من أبنائهم، على يدي رجل من بني الوحيد، فسُمّي الضمين إلى السّاعة، وهو الكفيل"(١)، ويشير هذا النّصّ إلى أن الرّهائن من الأشخاص يُوضعون على يد رجل أو أشخاص من قبائل أخرى، إضافة إلى أن من يوضع لديه الرهائن يُسمّى بالضمين والكفيل، ولعل الأخبار لم تذكر الرّهان؛ لأنه من الأمور التي اعتادوا عليها في الوفاء بالنّفورة.

وهناك من جعل الأصنام كفيلة بالوفاء بالنُّفُورَة، و لم يمنعه ذلك من وضع رهائن لضمان حقه، وهذا ما جرى في مُنافَرَة جرير بن عبد الله البَجَلِيّ وخالد بن أَرْطاة الكَلْبِيّ" قال [خالد]: من لي بالوفاء؟ قال [جرير]:كفيلك اللاّت والعُزّى، وإساف، ونائلَة، وشَمْسُ، ويَعُوقُ، وذُو الخَلَصَة ونَسْر. فمن عليك بالوفاء؟ قال: وَدّ، ومَناة، وفَلْس ورُضا. قال جرير: لك بالوفاء سبعون غلاماً مُعمّا مُخْوِلاً، يوضعون على أيدي من سمّينا من قريش"(٢)، ولعل المتنافرين جعلا الأصنام كفيلة لهما؛ لأن هذه المنافرة على قدر كبير من الأهمية، فهي بين قبيلتين كبيرتين: قضاعة وأقسامها، وبين قبيلة أَنْمار وأقسامها التي تضمّ بجيلة وغيرها، ولإجبار المنفور على الوفاء بالنفورة لأنه جعل الآلهة كفيلة له، ومه هذا فقد وضعوا رهائن أيضا من الغلمان على يد الكفيل القُرشيّ هو عُقبة بن ربيعة بن عبد شمس(٣)، بهذا نجد أن الرّهان في المُنافَرات يعتمد على وضع النُّفُورَة في يد شخص، أو بوضع رهائن من الأشخاص لدى إحدى القبائل التي يثق بها المتنافران، ويرضيان بها.

---

(١) الأصفهاني- الأغاني، ١٦: ٢٨٦. بنو الوحيد: هم بطن من بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة. انظر: ابن دريد – الاشتقاق: ٢٩٦.

(٢) الأسود الغندجاني- فُرحة الأديب: ١٠٩. مُعَمّ مُخول: أي كريم الأعمام والأخوال. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " خول "و" عمم" .

(٣) انظر: أبو عبيدة - شرح نقائض جرير والفرزدق، ١: ٣٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني:

أنواع المنافرات ومجالاتها وآثارها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولا: أنواع المنافرات:

المنافرة محاكمة في المفاخرة بالأنساب والأحساب، فيصبح من المهم الحديث عن تقسيم القبيلة، ومعرفة أسماء فروعها، وهذه المعرفة تفيد في تحديد أنواع المنافرات التي أساسها معرفة الأنساب، وسأعرض أقسام القبيلة مع تعريفها باختصار، والإحالة على مصادرها.

أ- طبقات أنساب العرب:

١- الشَّعْب: وهو النسب الأبعد الذي تنتسب إليه القبائل مثل عَدنان، وجمعه شُعُوب، وسُمّي بذلك؛ لأن القبائل تتشعب منه.

٢- القَبيلة: وهو ما انقسم فيه الشعب، وينتمون إلى أب واحد، عدا ثلاث قبائل مثلما يرى ابن حزم وهي: تَنُوخ والعَتَق وغَسَّان، فإنّ كلّ قبيلة منهم ينتمون لعدة بُطُون.

٣- العَمَارة: وهو ما انقسم فيها أنساب القبيلة كقريش، وتجمع العَمَارة على عَمَائر وعمارات.

٤- البَطْن: وهو ما انقسم فيه أنساب العَمَارة كبني عبد مناف، وبني مَخْزُوم، وتجمع على بُطُون وأبطُن.

٥- الفَخِذ: وهو ما انقسم فيه أنساب البطن كبني هاشم وبني أُمَيَّة، وتجمع على أفخاذ.

٦- العَشيرة: وقد زادها بعضهم ومنهم أبو عبيدة مَعْمر بن المُثنى، وعرّفها بأنها رَهط الرّجل الأدنون، ووضعها قبل الفَصِيلَة.

٧- الفَصِيلة: وهو ما انقسم فيه أنساب الفَخِذ كبني العباس وبني أبي طالب، وتجمع على فصائل.

وقد يطلق لفظ الحيّ على كل طبقات أنساب العرب، أو على الخصوص فيُقال حيّ بني فلان. و تُسمى القبيلة باسم الأب كربيعة ومُضر والأَوْس والخَزْرج، أو باسم الأم كخِنْدِف

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبَجِيـــلَة. ونورد مثالاً على هذه الطبقات:كِنانَة قبيلة، وقُريش عَمَارة، وقُصيّ بَطْن، وهاشم فَخِذ، والعباس فَصيلة [١].

ولم يهتم العرب بتقسيم طبقات الأنساب ، فقد ورد كثير من الروايات والأخبارعن بيوت العـــرب، وبيوت بعض القبائل، وما اشتُهرت به من فرسان وشعراء وكرماء وغيرهم. وهو أمر هام حـــتى يعرف المتفاخر والمتنافر بمن يفخر كل منهما؛ لينتصر على مفاخره أو منافره، والمقصود بالبيت أي أشـــرف بطون القبيلة وأفخاذها، ونجد هذا التحديد في ردّ النعمان بن المنذر على كسرى، حين ســـأله عـــن ذلك فقال النعمان بن المنذر: " من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤســـاء ثم اتصل ذلك بكمال الرابع فالبيت من قبيلته فيه، ويُنسب إليه"[٢].

ويـــرى ابـــن خـــلدون أن نهاية الحسب في العقب الواحد أربعة آباء، وغالباً ما ينحدر بعد ذلك،ويستشـــهد على ذلك من القرآن الكريم والسُّنة النبويّة؛ ويُسوِّغ ابن خلدون سبب تحديد أربعة آباء، فالأب قد عانى في بنائه المجد ومحافظته على الخِلال فهو مجتهد، أما الأب الثاني فإنه قد سمع عما عانـــاه أبوه، فهو مُقلد له والثالث يُقلد دون أن يُحس بما عاناه جدّه، والرابع يُقصر غالباً عن مجاراة أجداده وآبائه، ويظنّ أن المجد سهل المنال، لأنه ناله دون معاناة ولاتكلف.[٣]

واهتمام العرب بالأنساب جعلهم يحددون أشهر بيوت العرب، ولقد ذكر أبو عبيدة هذه البيوت فقال " بيوت العرب ثلاثة:فبيت قَيْس في الجاهلية بنو فَزارَة، ومركزه بنو بَدْر، وبيت رَبيعة بن شَيْبَان ومركزه ذو الجَدَّين، وبيت تميم عبد الله بن دارِم، ومركزه بنو زُرارَة "[٤].

وفي وفـــود العرب إلى كسرى يقدّم النعمان بن المنذر بعض بيوت العرب أيضاً، ومثّلهم في الوفد قيس بن عاصم السّعدي، والأشعث الكِندي[٥].

ونقف عند رواية ابن سلاّم الجمحيّ عن مفاخر بعض القبائل حيث ذكر أنه "كان يُقال: إذا كُـــنت من تميم، ففاخر بحَنْظَلة، وكاثر بسَعْد، وحارب بعَمْرو، وإذا كنت من قَيْس، ففاخر بغَطَفان،

---

(١) انظر: ابن رشيق- العمدة، ٢: ٨٧٩، القلقشندي – صبح الأعشى، ١: ٣٥٩، جواد علي – المفصل، ٤: ٣١٣.

(٢) القلقشندي – مصدر سابق، ١: ٤٣٢.

(٣) انظر: ابن خلدون- المقدمة: ٢٤٠.

(٤) ابن رشيق – مصدر سابق، ١: ٨٨٢.

(٥) القلقشندي – مصدر سابق، ١: ٤٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكاثـــر هَـــوَازِن، وحـــارب بسُلَيْم، وإذا كنتمن بَـــكْر ففاخر بشَيْبَان، وكاثر بشَيْبَان، وحارب بشَيْبَان"[١].

وهـــذه الرواية تدل على أن بني شَيْبَان قد حازوا الشجاعة، والكثرة، وغيرها من الصفات الـــتي يفتخر بها العربي،وإذا كانت بنو شَيْبَان قد حازت كل هذا فلا غرابة في ذلك ؛ لأنهم من بني ثَعْلـــبة وفيهم قيل: "ليس من العرب أربعة إخوة أنجَبَ ولا أعدَّ ولا أكثر من بني ثَعْلبة بن عُكابة، وكـــان يـــقـــال له : الأغـرُّ والحِصْن،وبنوه شَيْبَان، وذُهْلٌ، وقَيْسٌ، وتَيْمُ الله"[٢]. وهذه المعرفة مهمـــة بالنسبة للمتنافر؛ ليعرف بمن يفخر في منافرته، وليبرز مفاخر قبيلته كلّها بظوها وأفخاذها من حيث العدد والشجاعة والمفاخر الأخرى.

ب- أنواع المنافرات:

لجـــأ العـــرب في الجاهـــلية للمـــنافرات؛ لأنهـــا إحدى وسائل الفصل بينهم فيما هم فيه مختلفون،ويعـــتمد الحكـــم عـــلى عراقة النسب خاصة إضافة إلى غيرها من الفضائل التي يتمتع بها المتنافران، وبهذا نستطيع أن نقول إن المنافرة ثلاثة أنواع:-

١- منافرة في القبيلة الواحدة.
٢- منافرة تقع بين قبيلتين.
٣- منافرة شخصية قد تتحول إلى قبلية.

١- منافرة في القبيلة الواحدة:

قـــد تقع المنافرة بين شخصين في القبيلة الواحدة أو فروعها، ومثالها منافرة عبد المطلب بن هاشم وحَرْب بن أُمَيَّة في أمر التاجر اليهودي الذي حرّض حَرْب بن أُمَيَّة أصحابه على قتله التاجر مما دعاهما للتنافر، وفي ذلك يقول الحكم المُنفّر نُفَيْل بن عَبْد العُزّى بن رِيَاح:

أَبُوكُما وَاحِدٌ، والفَرْعُ بَيْنَكُمَا
مِنْهُ الخِشَاشُ، وَمِنْهُ النَّاضِرُ اليَنِعُ[٣]

---

(١) ابن رشيق - مصدر سابق، ١: ٨٨١ .
(٢) المصدر نفسه، ٢: ٨٨١.
(٣) محمد بن حبيب - المنمق: ٩٧. الخِشاش: عويد من الخشب يوضع في أنف الناقة لتكون سهلة الانقياد. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مادة "خشش " .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومثال آخر على ذلك منافرة هاشم بن عبد مناف وأُمَيَّة بن عبد شمس وهما فخذان من بَطْن عبد مناف بن قُصيّ بن كِلاب[١] ومن المنافرات التي وقعت في القبيلة الواحدة منافرة عُيَيْنة بن حِصْن بن حُذيفة بن بَدْر بن عدي بن فَزارَة وزَبّان بن سَيّار بن مَنْظور بن سيّار أحد بني مازن بن فَزارَة وهي بَطْن من بني ذُبْيان ومن أفخاذها بنو عَدِيّ وبنو مازن[٢]، ومنافرة عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعامر ابن الطُّفيل التي وقعت في القبيلة الواحدة لكنّها شخصية كما سنرى، ومنافرة القعقاع بن معبد وخالد ابن مالك النهشلي، وكلاهما من قبيلة بني تميم، ونلاحظ مما سبق أن المنافرات في القبيلة الواحدة تقع بين الأفخاذ خاصّة.

وإذا كانت المنافرة تقع بين الأقارب من القبيلة ذاتها، وبين أبناء العمومة، فإنها قد تقع بين الإخوة أيضاً مثال منافرة بني لُؤي بن غالب حيث اتُهم عامر بن لؤي بقتل أخيه عمرو الذي نهشته الأفعى، وهنا تعني المنافرة المحاكمة بشكل عام، ولا تختص بالنسب ؛ لأنهم إخوة، وإن وصفهم الكاهن سَطيح الذِّئْبِيّ بكرم النسب قائلاً "بنو لُؤي أهل سَناء وشرف وسؤدد ورفعة، والأمر كائن فيهم غداً"[٣] حيث نسب الكاهن السّناء والشرف والرفعة والسؤدد إلى بني لؤي، وتنبّأ بصيرورة الأمر إليهم في المستقبل.

٢- منافرة بين قبيلتين:

قد تقع المنافرة بين قبيلتين مثل منافرة بني فَزارَة وبني هِلاَل[٤]، ومثل منافرة مالك بن عُميلة بن السَّبّاق بن عبد الدّار بن قُصيّ وعُمَيْرة بن هاجر الخُزَاعي بسبب خلافهم على مراهنة الخيل[٥]، ومثل منافرة خالد بن وهب ومعبد بن الأَشْتَر بن حَجْوَان الفَقْعَسِيّ[٦]،و منافرة محمد بن الجُلاّح الأَوْسي والزِّبْرِقان بن بَدر بن عامر التميمي[٧] ، ومنافرة قريش وخُزاعة[٨]، ومنافرة عبد الله بن جرير البَجَلي وخالد بن أرطاة الكلبي[٩].

---

(١) انظر: محمد بن حبيب - المنمق: ١٠٣.

(٢) انظر: أبوعبيدة - الديباج: ٩٧.

(٣) انظر: محمد بن حبيب - مصدر سابق: ١١٨.

(٤) انظر: الميداني - مجمع الأمثال، ٢: ١٩٦.

(٥) انظر: محمد بن حبيب - مصدر سابق: ١٠٩.

(٦) انظر: الألوسي - بلوغ الأرب، ١: ٣٢٦.

(٧) انظر: ابن الجون الأشعري - الرياض الأدبية في شرح الخمرطاشية: ١٣٦.

(٨) انظر: الماوردي- أعلام النبوة:١٥٩.

(٩) انظر: الأسود الغندجاني - فرحة الأديب: ١٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- منافرة شخصية لا قبلية:

قـد يحـدد المُـنفّر نوع المنافرة من خلال معرفته بالمتنافرين، ومثال ذلك منافرة الشاعرين الإسـلاميين جَوّاس بن قُطْبة العُذْري وجميل بن عبد الله بن مَعْمر المعروف بجميل بثينة – وإن كانت هـذه منافرة إسلامية لا جاهلية –فإن الحَكم هو من يهود تَيْماء الذي قال لهما: "يا جميل، قل في نَفسـك مـا شئت، فأنت واللّه الشّاعر الجميل الوجه الشّريف، وقل انت يا جوّاس في نفسك، وفي أبيك ما شئت، ولا تذكرنّ أنت يا جميل أباك في فخر، فإنه كان يسوق معنا الغنم بتَيْماء، عليه شَمْلة لا تـوارى استه، ونفّروا عليه جوّاساً"[١]، نرى أن الحكام قد حدّدوا نوع المنافرة بجعلها شخصية لا قبـلية بسبب معرفتهم بأبي جميل بن عبد الله لأنه كان راعياً للغنم بتيماء، لكن لماذا اللجوء إلى يهود تيماء؟ .

وقد يطلب أحد المتنافرين أن تكون المنافرة شخصية لا قبلية إن وافق خصمه، ومثال ذلك ما جرى في منافرة القَعْقاع بن مَـعْـبَـد بن زُرارَة وخالد بن مالك النَّهْشَلِيّ حيث قال القَعْقاع بن مَعْبَد "هلمّ إلي أنافرك، ودع الشيخ [حاجب بن زُرارَة] فقال: أنافرك عن ندينا، فقال القعقاع: لا بل عن الآباء والأبدان "[٢]، إذاً حاول خالد النَّهْشَلِيّ تحويل المنافرة من قبلية إلى شخصية في حين رفض ذلك القَعْقاع بن مَعْبَد، لكن خالد النَّهْشَلِيّ حاول تذكيره بأن البشر ينتمون إلى أب واحد هو آدم، وأم واحدة هي حواء؛ ليبين أن التنافر يجب أن يكون أساسه أفعال الشخص وأخلاقه لا أن يكون أساسه شيئا لا دخل للإنسان فيه، وهو النسب.وقد بيّن رأيه حين حدد نوع المنافرة" قال [القعقاع]: بل أبُنا خيرٌ أباً وأمّاً. .. فغضب خالد وقال: نعم، إلى آدم وحوّاء"[٣].

ولعـلّ طلب خالد النَّهْشَلِيّ نابع من معرفته بأن القعقاع سيُنفّر عليه إن التزم بأساس المنافرة المتعارف عليه بين القبائل، وهو المحاكمة في النسب، والمفاخرة بمآثر الآباء والأجداد إضافة إلى الخصال الحميدة التي لم تشفع لخالد فنُفّر عليه القعقاع رغم محاولات خالد النَّهْشَلِيّ التي باءت بالفشل.

وقـد تتحول المنافرة من منافرة شخصية إلى قبلية، ومثال ذلك منافرة عبد المطلب بن هاشم وثقيـف، حيث اختصموا في مال وقيل ماء يُسمى ذو الهَرْم بالطائف لعبد المطلب، وأنقل هنا فقرات

---

(١) الأصفهاني - الأغاني، ٢٢: ١٥١.

(٢) أبو عبيدة- الديباج:٩٥

(٣) أبوالعلاء صاعد البغدادي - الفصوص، ٥: ٢٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مـــن المـــنافرة فبعد أن حكم الكاهن لعبد المطلب فأدّى ذلك إلى غضب الثقفيين " فقال جُندب بن الحـــارث: اقـــضِ لأرفعنا مكاناً، وأعظمنا جِفَاناً، وأشدنا طِعاناً، فقال عبد المطلب: أقضِ لصاحب الخـــيرات الكُبَر، ومن كان أبـــوه سيد مُضَر، وساقي الحَجيج...فقال عبد المطلب: اقضِ بين قومي وقومه أيّهم أفضل...[١].

من خلال هذه المنافرة التي بدأت بالفصل بينهم في ملكية ماء بالطائف، حاول المهزوم فيها، وهـــو جُـــنْدُب بـــن حارثة أن ينفّر على عبد المطلب، ليثبت أنه أكرم نسباً من عبد المطلب فحوّل المخاصـــمة إلى منافرة شخصية ، ثم انتقل بها عبد المطلب بن هاشم إلى منافرة قبلية لتُنفّر قبيلة مُضَر عـــلى قبيـــلة ثقيـــف. فالنافر المنتصر يطلب تحويلها من شخصيّة إلى قبلية بعد أن ضمن تنفيره على خصـــمه؛ لأن التنفير في المنافرة الشخصية يؤدي إلى ضمان التنفير في المنافرة القبلية؛ فأساس المنافرة واحد، وهو أن يكون النافر أفضل نسباً إضافة إلى الصفات الحميدة الأخرى التي يتحلى بها المتنافران، وبهـــذا فـــإن الكاهن لا يمكن أن يُنفّربني ثقيف على قبيلة مُضر خاصة وأنه نفّر عبد المطلب على من اختصم معه من بني ثقيف.

وهناك منافرة أخرى بين أَسيد بن أبي العِيص وأبي ربيعة بن المُغيرة المَخْزُوميّ التي نفّر الكاهن الخُزَاعي فيها أَسيداً على أبي ربيعة بن المغيرة مما دفع بالمنفور إلى الانتقال بالمنافرة من شخصية إلى قبلية بطلبه التنفير بين بنيقُصيّ وبني مَخْزُوم، حيث حكم الكاهن لبني قصي[٢] .

أمـــا بالنسبة إلى أنواع المتنافرين، فيصادفنا المتنافر الثابت في مهمته، أي أنه يمثل القبيلة في المنافرات، وتعمد بعض القبائل إلى تحديد منافر يمثل قبيلته بين القبائل مثل قبيلة قُريش، ومنافرها هو عمر بن الخطاب حيث" كانت إليه السّفارة في الجاهلية وذلك أنهم كانوا إن وقعت بينهم وبين غيرهم حرب، بعثوه سفيراً. وإن نافرهم حي لمنافرة جعلوه مـــنافراً ورضوا به"[٣].

وجـــاء اختيار عمر بن الخطاب للتنافر والتفاخر بسبب معرفته بالأنساب، وأيام العرب، وتختار بعض القبائل اهتمت باختيار المتنافر قوي الشخصية وهذا ما حدث في منافرة القَعْقاع بن مَعْبَد وخالد بن مالك النَّهْشَلِيّ فقد"ثارت بنو تميم إلى حَاجب فقالوله: اللهَ اللهَ في قومك،أُرْدُدْ القَعْقاع كما رددت شَـــيْبَان.فقال: إنالقَعْقاع ليس كشَيْبَان، إن القَعْقَاع ليس برَطْب فَيُعْصَر، ولا بيابس فيُكسر"[٤] . كما

---

(١) محمد بن حبيب – المنمق: ١٠٢. الكُبر: جمع كُبرى. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " كبر " .

(٢) انظر: محمد بن حبيب – مصدر سابق: ١١٦.

(٣) ابن عبد ربه – العقد الفريد، ٣: ٢٧٨، وانظر: ابن عساكر – تاريخ دمشق، ٢٤: ١١٨.

(٤) أبو العلاء صاعد البغدادي – كتاب الفصوص، ٥: ٢٩٨، ٢٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نرى حاجِب بن زُرارَة الذي عمد إلى اختيار المنافر القوي الذي يملك الجرأة، وسرعة البديهة، وفصاحة اللسان، والمعرفة بأنساب العرب، وأيامها، وأخبارها.

ج- مجـــــالات المنـــافرة:

- **النسب:**

إن أساس المنافرة هو التفاخر والتحاكم بالنسب، إضافة إلى الصفات والأخلاق الأخرى التي سنذكرها هنا مع التعليق عليها، وأساس التفـــاخر بالنسب هو بالآبـــاء والأجداد، ومثال ذلك منافرة عُيَيْنة بن حِصْن بن حُذيفة بن بَدْر وزَبّان بن سَيّار الفَزَاري عند العِزّ كاهنة نَجْرَان، حيث تحاور كل من زَبّان وعُيَيْنة:

"فقال زَبّان: أنا ابن منظور.

فقال عُيَيْنَة: أنا ابن حِصْن.

فقال زَبّان: أنا ابن سَيّار.

فقال عُيَيْنَة: أنا ابن حُذيفة..."(١).

و لا نجد في أخبار المنافرات دائماً حواراً حول انتساب المتنافرين للمنفّر؛ ولعلّ ذلك بسبب معرفته لأنسابهما، و لكننا نجد أن المنفّر أحياناً يطلب من المتنافرين سرد نسبهما ليبين شيئاً مثل منافرة عُيَيْنَة بن حِصْن وزَبّان بن سيّار حيث ينتسب فيه عُيَيْنه إلى ابن الجَوْن الكِنْدي، مما جعل الكاهنة تُنفّر زبّاناً؛ لأن عُيَيْنَة افتخر بغير قومه(٣).

وهـــناك مـــثال آخر وازن النّابغة لذُبْياني فيه بين نسبي الزِّبْرِقان بن بَدر من عامر ومحمد بن أُحيحة بن الجلاّح، واعتمد فيه على النسب في تنفيره لكنّه ركز اهتمامه على صفات وأفعال أخرى كان يفخر بهما المتنافران؛ ربما لأنهما يتقاربان في عراقة النسب، فالزِّبْرِقان بن بدر هو من أشراف بني تمـــيم، ومحمـــد بـــن أُحَيْحَة بن الجلاح سيّد الأَوس، فأراد النابغة أن يوازن بين كلّ من افتخر بهما المتـــنافران بطريقة دقيقة مع توضيح مناقب المُفتخر بهم ومثالبهم، حيث قال النابغة: "شتان بين محمد والزِّبْـــرِقان، وشـــتان بين أُحيحة وبدر، وشتان بين الجلاّح وعامر، فأمّا عامر فصاحب ضأن وإبل وانـــتجاع ... وخيل وسهل، وأمّا الجلاّح فصاحب حكم وبيان وكفاح وطعان وخيل ورهان وحمر وقيّان، فالجلاّح أفضل من عامر... "(٢).

---

(١) أبو عبيدة – الديباج: ٩٧.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٢) ابن الجون الأشعري- الرياض الأدبية في شرح الخرطاشية: ١٣٦. النِّجَاع: طلب الكلأ وســاقط الماء. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " نجع " .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمـــنافر قـــد يذكر بعض من يفخر بهم من أهله مثل القَعْقاع بن مَعْبَد الذي قال لرَبيعَة بن حُـــذار الأَسْدي قائلا: " أنا ابن معبد زُرارَة، وأمي مُعَاذَة بنت ضِرَار، رَأس من أعمامي عشرة، ومن أخوالي عشرة"[١]. هنا فخر القَعْقاع بن مَعْبَد بأبيه وأمه، وبأعمامه وأخواله، أي فخر بعائلته من جهة أبيه وأمه فحظي بعراقة النسب من جهتيهما. ولعلّ ما دفع القعقاع للتفصيل في نسبه هو سؤال المنفّر رَبيعَـــة بـــن جراد الأسلمي لخالد بن مالك النَّهْشَلِيّ حيث " قال ربيعة لخالد بن مالك: ما عندك يا خـــالد؟ قال: أنا ابن مالك، قال: لم تصنع شيئاً، ثم ابن من؟ قال: ابن رِبْعي، قال: لم تصنع شيئاً، ثم ابـــن مـــن؟ قال: ابن سَلْم؟ قال الآن، فمن أمّك؟ قال: فَرْعه، قال: ابنة من؟ قال: ابنة مَنْدوس، قال ربيعـــة للقعقاع: قد نفّرتُك يا ابن الضُّبْنَة"[٢].ولعلّ الخبر السابق هو من الأخبار القليلة التي ذُكِر فيها نسب الأم وجُعِل ضمن معايير التنفير.

وهناك حالة خاصة نادرة للتنفير يعتمد الحكم فيهاعلى مدى درجة القُرب من عبد الله بن جَعْدة[٣]، وهو مقياس حددّه حكم ذي الجَدَّين ويورد الأصفهاني هذه المنافرة مُعلّقاً على شعر النابغة على النحو الآتي:

"وأما قوله:

لَـــوْ تَسْتَطِيـــعُونَ أَنْ تُلْقُوا جُلُـــودَكُمُ

وَتَجْعَلُـــوا جِلْدَ عَبْدِ اللهِ سِرْبَـــالا

فإن السبب في ذلك أن هُبيرة بن عامر بن سَلَمة بن قُشير، لقي خِداش بن زُهير ، فتنافرا على مائة من الإبل، وقال كل منهما لصاحبه: أنا أكرم وأعزمنك، فحكّما في ذاك رجلاً من ذي الجَدَّيْن، فقضـــى بينهما أن أعزّهما وأكرمهما أقربهما من عبد الله بن جَعْدة نسباً .... فلم يزالا يختصمان في القـــرابة لعبدالله دون المكاثرة بـــآبائهما إقراراً له بذلك، حتى فَلَـــج هُبيرة القُشَيْـــري وظفـــر"[٤]، ولعـــلّ المنفّر هنا اختار عبد الله بن جَعْدة بسبب مكانته بين القبائل، فقد كانت تفرض له إتاوته في بعض الأسواق.

ويمكن تقسيم مجالات المنافرة إلى:

---

(١) الميداني – مجمع الأمثال، ٣: ٢٥٨.

(٢) المصدر نفسه، ٣: ٢٥٨. الضُّبْنَة: أهل الرجل وحشمه، وما تحت يده من عيال ومال. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " ضبن " .

(٣) هو عبدالله بن جَعْدَة بن كَعْب بن ربيعة بن علر بن صَعْصَعة، كان سيّدا مطاعا، وكانت له إتاوة بعكاظ، بأتيه بها حي من الأزد، وهو أول من صنع دبّابة من جذوع النخل، وألبسها جلود الإبل، وكان في البحرين. انظر: الأصفهاني- الأغاني، ٥: ٢٣.

(٤) المصدر نفسه، ٥: ٢٣. لم نجد البيت في ديوان النابغة. فلج: فاز. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " فلج " .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- معنوية: مثل الشّجاعة، والكرم.

- ماديـــة:مثل قوس حاجب بن زُرارَة في منافرة القَعْقاع بن مَعْبَد وخالد بن مالك ا لنَّهْشَلِيّ ،و نَعْلي عامر بن مالك في منافرة عامر ا بن الطّفيل وعَلْقَمَة بن عُلاَثَة .

ولـــن نعمد إلى تصنيف الوسائل المعينة في المنافرة كلها، وإنّما سنذكرها، لتحليلها والتعليق عليها؛ نظراً لتداخل النوعين أحياناً، مثل: إطعام الناس، ونحر الذبائح يمكن أن نعدها مادية باعتبار أن الطعام ونحر الذبائح شيء مادي بما يتحقق من ذبح الإبل وتقديم الطعام للناس، ويمكن اعتبارها معنوية لدلالتها على الكرم.

يمكن الحديث عن هذه الوسائل المعينة في المنافرة من خلال ثلاثة نماذج؛ لنبين المجالات المشتركة بين المنافرات، وما تميزت به بعض المنافرات عن غيرها:-

١- منافرات قريش وغيرها من القبائل:

ونقف عند منافرة عبد المطلب بـــن هاشـــم وحَرْب بن أُمَيَّة، وفيها قال نُفَيْل عبد العُزّى ابـــن رياح موجهاً حديثه إلىحَرْب بن أُمَيَّة: "يا أبا عمرو أتنافر رجلاً هو أطول منك قامة، وأوسم مـــنك وســـامة، وأعظم من هامة، وأقل منك لامة، وأكثر منك ولداً، وأجْزل منك صَفْداً، وأطول مـــنك مِذْوداً، وإني لأقول هذا وإن فيك لخصالاً: إنك لبعيد الغضب، رفيع الصِّيت في العرب، جَلْد المَريرة، تحبك العَشيرة، لكنك نافرتَ مُنفَّراً"(١).

هـــذه مـــنافرة بـــين بني هاشم وبني أُمَيَّة وكلاهما ينتهي إلى عبد مناف؛ فهما متساويان في النســـب؛ لـــذا اعـــتمد المنفِّر في تعليل حكمه على مجالات أخرى في المنافرة وهي: طول القامة والوسامة، وعِظَم الجسد، وهذه الصفات منها جسدية، أما النفسية والاجتماعية فهي العطاء والدفاع عن العِرْض.

---

(١) محمد بن حبيب- المنمق: ٩٥. وانظر: تاريخ الطبري، ١: ٥٠٥. لامة: أي أقل لوما. صفد: العطاء. مذود: اللسان، وبه يذاد عن العرض. جلد المريرة: قوي العزيمة. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " لوم " ، " صفد " ، " ذاد " .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهـــناك صفات إيجابية لدى حَرْب بن أُمَيَّة وهي ضبط الأعصاب، والشهرة، وقوة العزيمة، ومحـــبة العشـــيرة وهي صفات نفسية واجتماعية، ورغم الصفات الإيجابية لديه إلاّ أنه تنافر مع عبد المطلب بن هاشم الذي تميز بصفات إيجابية: جسدية ونفسية واجتماعية.

وقد يحدد المتنافران هذه المجالات مثلما حدث في منافرة عبد المطلب بن هاشم وجماعة من بـــني ثقيف وفيها "قال جُنْدُب بن الحارث: اقضِ لأرفعنا مكاناً، وأعظمنا جِفَاناً، وأشد طِعاناً، فقال عبد المطلب: اقضِ لصاحب الخيرات الكُبَـــر، ومن كان أبـــوه سيد مُـــضَر"[١].هنا حدد المتنافران المجالات وهي:رفعة المكانة، وعَظَمَة الجِفَان أيّ الكرم، والشجاعة، بينما حدد عبد المطلب بن هاشم الخيرات الكُبَر، و أكّد عراقة نسبه؛ لأن أباه سيد مُضَر.

وقـــد يفـــتخر أحد المتنافرين بما اختصت به قبيلته كمنافرة بـــني مَخْزُوم مع أَسِيد بن أبي العِيـــص ابـــن أُمَيَّة الذي افتخر بمآثر بني قُصيّ " فعدّد رجال قصي، ثم قال: فينا السِّقاية والحِجَابة والندوة والرِّفادة واللِّواء ، فتداعوا إلى المنافرة"[٢]. ونستطيع أن نقول إن المنافرات رُكّز الاهتمام فيها عـــلى الفضائل الكريمة والأخلاق الحميدة التي حرص عليها الجاهليون، و بما تميزت به بعض القبائل، فقُريش تميزت بمآثر مثل الاهتمام بالبيت الحرام وبالحجيج.

ومن الأسباب التي تجعل الحَكَم يُنفِّر أحد المتنافرين على الآخر هو عراقة النسب وخاصة إن كـــان ينتهي نسبه إلى الملوك، وهو سبب جعل النابغة الذُبياني يُنفِّر محمد بن أحيحة بن الجلاح على الزِّبـــرقان بن بدر التميمي؛ لأن محمد بن أحيحة من الأوس من أولاد ثعلبة بن عمرو بن عامر، وهو من ملوك الغساسنة[٣].

ردّ النابغة الذُبياني على تهديد بعض بني تميم شعراً، وبيَّن فيه أهم سبب لتنفير محمد بن أحيحة عـــلى الزِّبـــرقان بن بدر التميمي، فمحمد ينتهي نسبه إلى ملوك غسَّان، وهم أصحاب قوة ونفوذ وثروة.ومما قاله في هذا المعنى:

شَتَّانَ مَنْسُوبٌ إلى جَوْزِ الفَلا
وَمحمدٌ يَنْمِي إلى النِّيجَانِ[٤]

---

(١) محمد بن حبيب-مصدر سابق: ١٠١، ١٠٢.

(٢) المصدر نفسه: ١١٥. الحجابة: سَدَانَة الكَعْبَة ومن بأيديهم مفاتيحها. الرِّفادة: إطعام الحجّاج. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " حجب "و"رفد" .

(٣) انظر: ابن دريد- الاشتقاق:٤٣٣، ابن رشيق- العمدة، ٢:٩٤٨.

(٤) ابن الجون الأشعري- الرياض الأدبية في شرح الخمرطاشية:١٣٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذكـــر النابغة الذبياني مفردات في قصيدته تبين سبب تنفيره لمحمد، وهي تتعلق بنسبه إلى المـــلوك وهي(غسّان- عمرو بن عامر- قحطان) وذكـــــر مفردات تدل على ثرائهم منها(الدّرّ- المرجان- العِقْيان-الجَراجر- الهِجان)[١].

وفي مـــنافرة قَيْس بن مَسْعُود وحاجِب بن زُرارَة نجد مجالات غريبة فريدة لم تكرر في غيرها مـــن المـــنافرات، وهذه المجالات حددها قَيْس بن مَسْعُود في قوله "أنافرُهُ عن أكرمنا قَعِيدة، وأحسننا أدب ناقـــة، وأكرمنا لئيم قوم، فبعث معهما النّعمان من ينظر في ذلك، فلما انتهوا إلى بادية حاجِب ابـــن زُرارَة، مـــرّوا على رجل من قومه فقـــال له حاجِب: هذا ألأم قومي، وهو فلان بن فلان، والرّجل عند حَوْضه، ومورد إبله، فأقبلوا إليه، فقالوا: يا عبد الله، دعنا فَلْنَسْتَقِ، فإنّا قد هلكنا عطشاً، وأهلكـــنا ظُهُورنا، فتَجَهّم، وأبى عليهم فلما أعياهم، قالوا لحاجِب: اسفِرْ، فَسَفر، فقال حاجِب: أنا حاجِب بن زُرارَة، فَدَعْنا نَشْرب، فقال: أنت؟ فلا مرحبا بك.... فقـــال له قيس: هذا – والله – ألأم قومـــي، فلما وقفوا عليه، قالـــوا له مثل ما قالوا للآخر فأبى عـــــليهم، وَهَمّ أن يَضْرِ بَـــهم، فقال له قَيْس بن مَسْعُود: ويلك! أناقَيْس بن مَسْعُود، فقال له: مرحباً وأهلاً، أوردْ..."[٢].

مما سبق نلاحظ أن قَيْس بن مَسْعُود قد حدد مجالات المنافرة وهي كرم الزوجة، وكرم لئيم القـــوم، وحسن أدب الناقة. وكرم الزوجة يتجلى في ترحيبها بضيوف زوجها، وإعداد الطعام لهم، وكـــرم لئيم القوم يكون بتجاوزه لؤم نفسه، وحاله مع غيره، فينسى ذلك أمام سيد قومه وكريمهم، وحســـن أدب الناقة يكون بشباها حتى لو أنيخت على قريتين من النّمل، ولعل قيس بن مسعود واثق مـــن نفســـه؛ ولهـــذا اختار أصعب المجالات؛ ليثبت أنه مميز مختلف عن غيره، فلم يلجأ إلى المجالات المعهودة.

وقـــد دفع هذا بالنّعمان بن المنذر إلى إعطائه مائة ناقة، وهي نفورة مادية، أما المعنوية فهو اللقب الذي أطلقه عليه حـــيث قال له: "كنت يا قَيْس ذا جَدٍّ فأنت اليوم ذو جَدَّين، فسُمّي بذلك ذا الجَدَّيْن"[٣].

---

(١) انظر : ابن الجون الأشعري- الرياض الأدبية في شرح الخمرطاشية: ١٣٧.. العِقْيان: الذهب الخالص، الجَراجر: العِظام من الإبل، الهِجان: البيض الكرام من الإبل. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " عقى "و"جرر" و " هجن ".

(٢) ابن رشيق -العمدة ٢: ٩٤٠، ٩٤١. الظُهور: الإبل التي يُحمل عليها ويركب. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " ظهر " .

(٣) ابن رشيق – مصدر سابق، ٢: ٩٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- منافرة عامر بن الطُّفَيْل وعَلْقَمَة بن عُلاَثَة :

جاء حوار عامر بن الطُّفَيْل وعَلْقَمَة بن عُلاَثَة في كتاب الأغاني في ثلاث صفحات، وهي منافرة شخصية؛ لأن عامراً رفض التنافر بالآباء والأجداد؛ لأنهم أبناء عمومة، وإن افتخر مناصروهم بنسب كل منهما،وسننقل بعضاً من هذا الحوار، ونعرض هذه المجالات مع تحليلها.

"فقال عامر: والله لأنا أكرم منك حَسَباً، وأثبت منك نسباً، وأطول منك قَصَباً.

فقال له عَلْقَمَة: لأنا خير منك ليلاً ونهاراً.

فقال عامر: لأنا أحب إلى نسائك أن أصبح فيهن منك. فقال عَلْقَمَة: على ماذا تنافرني يا عامر؟

فقـــال عامـــر: أنافرك على أني أنحر منك للّقاح، وخير منك في الصباح، وأطعم منك في السّنة الشّيَاح.

فقال عَلْقَمَة: أنت رجل تقاتل والناس يزعمون أني جبان، ولأن تلقى العدوّ وأنا أمامك، أعزّ لك من أن تلقاهم وأنا خلفك. وأنت جواد والناس يزعمون أني بخيل، ولست كذلك، ولكن أنافرك أني خير منك أثرا، وأحد منك بصراً ، و أعزّ منك نفراً، و أسرح منك ذِكْراً.

فقال عامر: ليس لبني الأحوص فضل على بني مالك في العدد، وبصري ناقص، وبصرك صحيح ولكني أنافرك على أني أنشر منك أُمة، وأطول منك قِمّة، وأحسن منك لِمّة، وأجعد منك جُمّة، وأبعد منك هِمّة.

قـــال عَلْقَمَة: أنت رجل جَسِيم وأنا رجل قَضِيف، وأنت جميل، وأنا قبيح، ولكني أنافرك بآبائي وأعمامي.

فقال عامر: آباؤك أعمامي، و لم أكن لأنافرك بهم، ولكني أنافرك أني خير منك عَقِباً وأطعم منك جَدْباً.

قال عَلْقَمَة: قد علمت أنه لك عَقِباً في العشيرة، وقد أطعمت طيباً إذ سارت، ولكني أنافـــرك أني خير منك، وأولى بالخيرات منك، وقد أكثرنا المراجعة منذ اليوم...

قـــال أبو المنذر، قال أبو مسكين، قال عامر في مراجعته: والله لأنا أركب منك في الحُماة، وأقتل منك للكُمَاة، وخير منك للمولى والمولاة.

فقال له عَلْقَمَة: والله إني أعز منك. إني لبَرّ وإنك لفاجر، وإني لوفي وإنك لغادر، ففيم تفاخرني يا عامر؟ فقال عامر:والله إني لأَنْزل منك للقَفْرة، وأنحر منك للبَكْرة، وأطعم منك للهَبْرة، وأطعن منك للثُّغرة.

فقال عَلْقَمَة: والله إنك لكَليل البصر، نَكِد النظر، وثّاب على جاراتك بالسَّحَر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال بنو خالد بن جعفر، وكانوا يداً مع بني الأحوص على بني مالك بن جعفر: لن تُطيق عامراً، ولكن قل له: أنافرك بخيرنا، وأقربنا إلى الخيرات، وخذ عليه الكِبَر. فقال له عَلْقَمَة هذا القول"[١].

وهـــناك خبر آخر — رواية مفردة- وهي " أن هَرِماً قال لعامر حين دعاه: يا عامر، كيف تفاضل عَلْقَمَة؟ فقال عامر: و لم يا هَرِم؟ قال: لأنه أنْجل منك عَيْنا في النساء، وأكثر منك نفيراً عند ثـــورة الدعاء. قال عامر: هل غير هذا؟ قال: نعم، هو أكثر منك نائلاً في الثّراء، وأعظم منك حقيقة عـــند الدعـــاء. ثم قـــال لعَلْقَمَة: كيف تفاضل عامراً؟ قال: ولِمَ يا هَرِم؟ قال: هو أنفذ منك لساناً، وأمضـــى منـــــك سِنَاناً، قال عَلْقَمَة: فهل غير هذا؟ قال: نعم هو اقتل منك للكُمَاة، وأفك منك للعُناة [٢].

نقف هنا عند نوع المنافرة من خلال حوار المتنافرَيْن، فعَلْقَمَة يطلب المنافرة بالآباء والأعمام، لكـــن عامراً يعترض؛ لأن آباء عَلْقَمَة هم أعمامه، لذا ينافره بما يمتاز به من صفات جسدية ونفسية وغـــير ذلك. ومهما يكن فإن هذه المنافرة هي منافرة في القبيلة ذاتها بين فرعين منها: بني عامر وبني الأحْوص، وهي منافرة شخصية.

ويمكـــن تقسيم المجالات في منافرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل إلى الاهتمام بالنسب، والصـــفات النفسية، الأخلاقية، والاجتماعية، الجسدية. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن كلا المتنافرين اثبت الصفات الحسنة لنفسه، ونفاها عن الآخر من خلال استخدام التضاد.

الاهتمام بالنسب:

كرم الحسب، ثبات النسب، وقد رفض عامر المنافرة بالآباء والأعمام.

الصفات النفسيـــــــة:

يحاول المتنافر أن ينسب لنفسه الصفات الإيجابية وينسب لمنافره الصفات السلبية.

---

(١) الأصفهاني- الأغاني، ١٦: ٢٨٤ وما بعدها، هناك بعض الاختلافات في رواية الخبر عند القلقشندي - صبح الأعشى ١: ٤٣٨ و ٤٣٩.
لقاح: جمع لاقحة أي ما في بطنها ولد. الشّياح: القحط والجدب. أسرح: أبعد. أنْشَز أُنَة: أرفع قوما. لِمَّة: شعر الرأس المحاور لشحمة الأذن، وهو دون الجمّة. الجُمّة: مجتمع الرأس،و ما تراءى من شعر الرأس على المنكبين. الكُماة: الشّجعان. القَفْرة: الخلاء من الأرض. البَكْرة: الفتي من الإبل. الهَبْرَة: القطعة المنجمعة من اللحم. الثُغْرة: الثُلْمة والمنفذ. القَضِيف: الجسم الضعيف البَنية. العَقَب: الولد، وولد الولد. القَصَب: عظام الأصابع من اليدين والرجلين. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " لقح " و " شيح " و سرح " و " نشز " و " لمم " و" جمم" و " كمي" و " فقر" و "بكر" و" هبر" و " ثغر" و " قضف " و " عقب " و " قصب ".

(٢) الأصفهاني - الأغاني، ١٦: ٢٩٢. نُفيراً: أيّ من يخرجون للإعانة والمساعدة. العُناة: الأسرى. السِّنان: الرّمح، جمعه أسنّة. انظر: ابن منظور-لسان العرب، مادة" نفر" و "قرر" و "ملك" و " عنا " و " سنن".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الصّفات الإيجابية:

العزة، البرّ، الوفاء. بعد الهِمّة، الشجاعة، الكرم والعبارات الدالّة على ذلك: "أنحـــر الـــلّقاح، أطعم في السّنة الشّياح، أطعم جَدْباً، أنحر للبَكْرة، أطعم للهَبْرة، أطعن للثُّغرة، أنفذ منك لساناً " .

- الصفات السلبية:

الفُجُور، الغدر، البخل.

الصفات الجســـــدية:

- الصفات الإيجابية:

طـــول القصـــب، حـــدة البصر، حسن اللمّة، طول القمّة، أجعد جُمّة، رجل جسيم، جميل. البصر: حاد، صحيح، أنجل عَيْنا في النساء.

- الصفات السلبية:

رجل قَضيف، قبيح.

البصر: كَليل، نَكِد، ناقص.

الصفات الاجتماعية:

- الصفات الإيجابية:

أعـــزّ نفـــراً، أسرح ذِكْراً (الشهرة)، خير للمولى والمولاة، خير عَقْب في العشيرة، أعظم حقيقة عند الدعاء، أفك للعنُاة.

- الصفات السلبية:

سبّ العم [لكن عامر بن الطّفيل رفض].

أدوات مـــــادية: نعلا عامر بن مالك؛ ليفخر عامر بن الطفيل بقومه الشجعان، وبمشاركتهم في كثير من المعارك حيث طلب عامر بن مالك من ابن أخيه عامر بن الطّفيل أن يسبّه فقال الأخير "لا أَسبُّك وأنت عمي، فقال: فكيف إذن أُعينُك، ولكن دونك نعلي، فإني قد رَبَعْتُ فيها أربعين مِرْباعاً، فاستعن بها في نفارك"[1].

---

(١) الأصفهاني - الأغاني، ١٦: ٢٨٦. المِرْباع: ربع الغنيمة، وهو نصيب رئيس القبيلة. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " ربع " .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصفات النفسية:

العطـــاء، والكـــرم، وهـــناك عبارات دالة على ذلك وهي: "أطعمت من أكل،نصبت قُدُوري حتى وضعت الشَّمَال ذيولها، شبعوا من التّمر.
الشجاعة مثل "طعنة الفارس يوم شُواحِط.

الصفات الاجتماعية:

مـــثل توفـــير الأمن والمساعدة على فكّ الأسير، ومن العبارات الدالّة على ذلك: "لم ير ناره خائف قط إلاّ أمِن، ولم يمسك بطُنُب فُسْطاطه أسير إلاّ فُـــكّ. ويمدّ قوم القعقاع أياديهم البيضاء للقبيلة، فحاجب بن زُرارَة رهن قوسه ليطعـــم العرب حين أصابهم القحط برهن قوسه عند كسرى عظيم فارس، وعمّه سُوَيْد فكّ الأسرى ممن استنجدوا به.

أدوات مـــاديّـــــة:

وتتمثل في نعلي جدّ القعقاع التي خاض بها حروباً كثيرة.

وهنا يتضح أن القَعْقاع بن مَعْبَد ركّز اهتمامه في المنافرة على أمجاد قومه، ودورهم في قبيلتهم وعـــند العرب، أما خالد النَّهْشَلِيّ فاعتمد على أخلاقه ومآثره. لا شك في أن اختلاف المعايير بينهم، واختلافهم في مجالات المنافرة جعلت الحَكَم المُنفّر يُنفّر القَعْقاع بن مَعْبَد؛ لأن ما تعارفت عليه العرب أن يفتخر المتنافران بأمجاد قومهما لا بنفسيهما.

ولعلّ هذه المنافرة تذكرنا بما جرى بين جَرير بن عبد الله البَجَلِيّ وخالد بن أَرْطاة بن خُشَيْن شَبَتِ الكَلْبي، ولا بأس هنا أن نورد ما ذكراه للأَقْرَع بن حَابِس.
فقال: نحن نترل البَراح، ونَطْعن بالرِّماح، ونحن فِتيان الصّباح.
فقال الأَقْرَع: ما عندك يا جرير؟
قال: نحن أهل الذهب الأصفر، والأحمر المُعَصْفر، نُخيفُ ولا نخاف، ونُطْعِمُ ولا نُستطْعَم، ونحن حيٌّ لَقَاحٌ، نُطعم ما هبت الرّياح، نطعم الشّهر، ونضمن الدّهر، ونحن الملوك لِقَسْر"[1].

عمـــد خالد بن أَرْطاة إلى الفخر بشجاعته، وهو ما قام به خالد بن مالك النَّهْشَلِيّ، في حين افـــتخر جريـــر بن عبد الله بالثروة من امتلاك الذهب وغيره، والكرم من إطعام الآخرين، وامتلاك

(١) الأسود الغدجاني – فُرحة الأديب: ١٠٩. حيّ لَقَاح: أي لا يدينون للملوك، ولم يعصهم سباء. الأحمر المُعَصْفَر: الخمر. الشّهر: ربّما المقصود بالشهر هو شـــهـــــر المُلَيْساء، وهو شهر بين الصَّفَرِيّة والشتاء، وهو الوقت الذي تنقطع فيه الميرة. ابن منظور – لسان العرب، مادة "ملس". قسر: بطن من بطون بجيلة، انظر: ابن دريد – الاشتقاق: ٥١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القـــوة التي تخيف الآخرين. إضافة إلى أنهم ملوك لقَسْر. وبهذا قدّم جرير بن عبد الله أكثر من ســـبب لتنفيره على خالد بن أَرْطاة، فهو يفتخر بنفسه وقومه، ويبين هذا ما يعتمد عليه الأثرياء في منافرات من امتلاك الثروات والنفوذ لتنفيرهم إضافة إلى كرم النّسب.

مما سبق نجد أن أغلب المجالات التي ذُكرت في المنافرات يُركّز الاهتمام فيها على كرم النّسب والأخـــلاق والخصـــال الكريمة، في حين ركز المتنافران في منافرة عَلْقَمَة بن عُلاَثَة وعامر بن الطُّفيل اهـــتمامهما على الصفات الجسدية والنفسية؛ لأنهما متكافئان في النسب فهما أبناء عمومة، وركّزت بعـــض القبائل اهتمامها في مجالات المنافرة على ما حظيت به من مكانة مثل قبيلة قريش التي أسند إليهـــا الـــرِّفادة والسقاية والحِجَابة والندوة، بينما ركزت قبيلة بَجيلَة اهتمامها على امتلاكها الثروة والقوة المعنوية التي تخيف الناس منهم، ومكانتهم الاجتماعية والسياسية، فهم ملوك قَسْر.

إذاً ممـــا سبق نجد أن كرم النسب هو روح المنافرة وعمودها، إضافة إلى الخصال الكريمة مثل الشـــجاعة وعلى صفات الفارس مثل شدّة الطعن وكيفية القتل والكرم، وتحتل هذه الصفات المرتبة الأولى إن تعادل المتنافران في النسب مثل منافرة عَلْقَمَة وعامر، فهما أبناء عمومة، ومنافرة عبد المطلب ابن هاشم وحرب بن أمية، أما الصفات الجسدية التي ذُكرت في بعض المنافرات فإنه رُكّز الاهتمام فيها على الشَّعر والبَصَر، أما الناحية الاجتماعية فرُكز الاهتمام فيها على دور قبيلة المنافر ما تميّزت به عن غيرها، ودورهم بين العرب، أما من الناحية المادية فتمثلت في قوس حاجب بن زُرارة وفي نعليه في مـــنافرة القعقاع بن معبد بن زُرارة وخالد بن مالك النّهْشلي، وفي نعلي عامر بن مالك في منافرة علقمة وعامر.

د- صفات المنافر:

إن المتـــنافر حين يَمْثُل بين يدي الحَكَم يضع شرف قبيلته واسمها رَهْناً بحُكْم للُنفّر، لذا فإن الإقـــدام عـــلى المنافرة مخاطرة كبيرة، ولعلّ هذا ما دفع حاجب بن زُرارَة إلى ردّ ابن أخيه شَيْبَان، وتشجيع أخيه القَعْقاع؛ لأنه أقوى حُجة، وأفصح لساناً من أخيه.

وهـــناك صـــفات كثيرة لا بد أن يتحلّى بها المنافر أهمها كرم النسب وعراقته؛ لأنه أساس المـــنافرة، والتنفير يعتمد على ذلك في المرتبة الأولى، لذا يحاول بعض المتنافرين عدم زج أنفسهم في المنافرات لمخاطرها، وهذا ما فعله قَيْس بن زُهير حين رحل عن قبيلة قريش خوفاً من وقوع المنافرة؛ لأنـــه ليس نظيراً لهم، ولا بد أن يتحلى المتنافر بقوة الحُجة والبرهان، وفصاحة اللسان؛ لأنه في مجلس التحكـــيم وقـــبله - أحياناً - يجري حوار بين المتنافرين، يحاول فيه كل منهما أن يثبت أنه الأفضل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأجدر بتنفير الحـــكم له على خصمه، بذكر الأسباب التي تؤهله للفوز بالتنفير على منافـــــــره، أو تؤثر على الحَكَم فترجح كفّته على كفّه خصمه.

ويـــرى محمد عثمان علي أنه من الضروري لمن ينافر أن يكون فصيحا وبليغا، يجيد الجدل، قادراً على تصريف الكلام، وإجرائه على وجوهه المختلفة: حتى يحقق النصر له ولقبيلته[١].

هـــ- موقف المتنافرين بعد التنفير:

في التنفير يعمد المُنفّر إلى تنفير أحد المتنافرين ، أو المساواة بينهما أو تحويلهما إلى حَكَم آخر، وتـــنفير أحدهما يعني أن يعلو شأن القبيلة على القبيلة التي تنافرها أمام باقي القبائل خاصة وأن بعض المنافرات كانت تعقد في الأسواق والمواسم.

والفرحة تعمّ قبيلة النّافر، ويُعدّ من مفاخر القبيلة انتصارها على القبيلة الأخرى في المنافرات، ويـــأخذ النّافر من المنفور ما اتفق عليه من النفورة التي توضع على يد رجل آخر؛ لضمان الوفاء بها، لكن النّافر قد يصرّ على أخذ النفورة مباشرة دون انتظار لوصول المَنفُور لقبيلته، وهذا ما حدث بين سُويد بن صامت[١] وأحد بني سُليم حيث تنافرا عند كاهنة من كهّان العرب، فنفّرت سويداً الذي أصرّ على منافره أن يعطيه النفورة مباشرة، وهي مائة ناقة "فلما فرّقت بينهما الطريق، قال: مالي، يا أخا بني سُليم؛ قال: أبعث إليك به، قال: فمن لي بذلك إذا فُتّني به؟ قال: أنا؛ قال: كلا، والذي نفس سُوَيْد بيده، لا تفارقني حتى أوتّى بمالي فاتّخذا، فضرب به الأرض، ثم أوثقه رباطاً ثم انطلق به إلى دار بني عمرو بن عوف فلم يزل عنده حتى بعثت إليه سُليم بالذي له"[٣]، هنا رفض سويد بن صامت أن يُبعث إليه بالنفورة غير مقتنع بوفاء منافره بالنفورة، وفضّل أن يحتجزه رهينة عند بني عمرو بن عوف حتى تضطر بنو سُليم إلى تسليمه النفورة.

إذن المنفور يشعر بالغضب والقهر، وخذلان قبيلته أو قومه إن كان من القبيلة ذاتها؛ لأنهم قـــد رشحوه للمنافرة، أو قد يكون هو سبباً في إقحام قبيلته فيما لا تحمد عقباه، ولعلّ هذا ما دفع عامـــر بـــن الطفيـــل للتضحية في مقابل عدمتنفير عَلْقَمَة عليه قائلاً لهَرِم بن قُطْبة: "ناشدتك الله

---

(١) محمد عثمان علي - أدب ما قبل الإسلام: ٢١٩.

(٢)هو سُوَيْد بن صامت بن حوط بن حبيب الأنصاري، شاعر من المدينة لقب بالكامل، أسلم قبل الهجرة، وقتله الخزرج عند عودته إلى المدينة، انظر: سيرة ابن هشام – ١: ١٤٨.

(٣) ابن هشام- السيرة النبوية، ٢: ٥٢٥- ٥٢٦. اتخذا: أخذ كل واحد منهما صاحبه في قتال. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مادة " أخذ".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والـــرّحم ألا تفضـــل علي عَلْقَمَة، فوالله إن فعلت لا أفلح بعدها! هذه ناصيتي جُزّها، واحتكم في مالي"[١]. إن عامرا هنا مستعد لأن يخسر حياته وماله في سبيل أن ينتصر ويفوز على علقمة؛ حتى لا يخذل بني مالك أمام بني الأحوص. ولا يحتاج هَـــرِم بن قُطْبة لأن يُضـــحي عامر بـــن الطفيل أو عَـــلْقَمَة بن عُلاثَة بأيّ شيء حتى يدرك عواقب الحكم بينهما؛ لذا ساوى بينهما، حتى لا يزرع الشّر والفتنة في القبيلة.

وقـــد يـــتمنى المَنْفُور الموت، وهذا ما أحس به مالك بن عُميلة بعد أن نُفّر عليه عُميرةُ بن هاجر، فقال أبياتاً يصف فيها حاله:

شَآنِيَ لَمَّا أَنْ جَرَيْتُ ابْنَ هَاجِرٍ
فَأَشْمَتُّ أَعْدَائِي وَأُخْرِجْتُ مِنْ مَالِي
فَيَا لَيْتَنِي مِنْ قَبْلُ حَلّي وَرِحْلَتِي
إِلَى الكَاهِنِ الطّاغُوتِ قَطّعْتُ أَوْصَالِي"[٢]

هكـــذا نـــرى أن المنفور قد تندّم وتمّنى الموت بسبب خذلانه وخذلان قبيلته؛ لأنه شمّت به أعداءه، وخسر مائة من الإبل، ووصف الكاهن بالطاغوت[٣]، وهو من ألقابه، وبأنه لا يبالي ما أتى، فيأكل أموال النّاس ويقهرهم، ولا يثنيه عن ذلك تحرّج أو غيره.

وتتباين مواقف المنفورين " الخاسرين " في المنافرات، ولكن الحزن و الغضب هو شعور كل مـــن خسر المنافرة، ولكن هذا الغضب قد يتحول إلى تهديد مثلما فعل بنو تميم مع النّابغة الذبياني في مـــنافرة الزّبْرِقان بن بدر التميمي ومحمد بن أُحَيْحَة حيث نفّر النّابغة محمّدًا على الزّبْرِقان[٤] في نسب مـــنافره ممـــا يعني التشكيك بأساس المنافرة وهو النسب، كما حدث في منافرة عُيَيْنَة بن حِصْن بن حُذيفـــة وزَبّان ابن سَيّار الفَزَاري "فقال عُيَيْنَة: أنا أفضل منك نفساً وأباً، ولكنّها جارت ... فقال عُيَيْنَة:

إِنّا لَنَعْلَمُ مَا أَبُوكَ بِجَابِرٍ
فَالْحَقْ بِأَهْلِكَ مِنْ بَنِي دُودَانِ

(١) ابن نباتة - سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون: ١٦٤

(٢) محمد بن حبيب - المنمق: ١١١.

(٣) انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " طغى ".

(٤) انظر: ابن الجون الأشعري – الرياض الأدبية في شرح الخمرطاشية: ١٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حَـــا لَتْ بِكُمْ أَمَةٌ لِنَضْلَةَ وَابْنِهُ

فَسَقَتْ بِـــزِيـــنَتِهَا أَبَـــا زَبَّانِ"[١]

هـــنا يطعن عُيَيْنَة في نسب زبّان بن سيار الفَزَاري، وبهذا يشكك في أساس المنافرة وروحها وهـــو النســـب، بعد أن شكك في حُكم الكاهنة؛ لأنه أفضل نَفْساً وأباً، وأن العِزّ كاهنة نَجْرَان قد جارت، وظلمته بتنفير زبّان عليه.

وقد يدفع الغضب الخاسر المنفور إلى تحويل المخاصمة إلى منافرة شخصية ثم قبلية مثل منافرة عبد المطلب بن هاشم وبني ثقيف، وقد ذكرناها سابقاً.

وقـــد يـــنال المنفور من المُنفِّر فـــلا يصفه بالجَور والظُّلم كما في منافرة عُيَيْنة بن حِصْن وزَبَّان ابن سَيّار، بل قد يحاول أن يضرّ بقبيلة الحَكَم المنفّر، وهذا ما حدث في منافرة عبد المطّلب بن هاشم وحَرْب بن أُمَيَّة " فغضب حَرْب من ذلك، وأغلظ لنُفَيْل، وقال: من انتكاس الدهر أن جعلناك حَكَمـــاً "[٢]، وحاول حرب بن أمية إخراج بني عَدي، لكن بنو سهم منعوهم بسبب حلفهم مع بني عَـــدي، فكفّ حرب عنهم.ولولا سعي هذه القبائل لأخرج حَرْب بن أُمَيَّة بني عدي بن كَعْب من مكة؛ عقاباً لحَكَمها نُفَيْل بن العُزّى بن رياح بن عدي بن كعب.

تعدّ خسارة المنافرة من مثالب القبيلة، وهي خسارة معنوية، وتخسر خسارة ماديّة تتمثل في النفورة، ولكنها قد تعود إلى المنفور بصورة سلميّة مثلما حدث في منافرة أبي ربيعة بن المغيرة وأَسِيد بن أبي العِيص بن أُمَيَّة التي نفّر فيها الكاهن الخُزَاعي، واضطر أبو ربيعة إلى إعطاء أَسِيد النفورة وهي ماله كلّه، "فنحر أَسِيد الجُزُر، ورجع فأخذ مال أبي ربيعة، وكانت أخت أَسِيد عند أبي جهل فكلّمت أخاها حتى ردّ على أبي ربيعة ماله"[٣].

---

(١) أبو عبيدة - الديباج: ٩٧.

(٢) المصدر نفسه: ٩٥- ٩٨.

(٣) محمد بن حبيب- المنمق: ١١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونحر أَسيد بن أبي العيص هنا هو تعبير عن فرحته بتنفيره على أبي ربيعة الذي صار فقيراً مما جعل أخت أَسيد النافر تشفق على أبي ربيعة بن المغيرة؛ فتقنع أخاها بردّ المال إليه.

وإذا كان أبو ربيعة بن المغيرة قد رُدّت إليه أمواله دون طلب وبصورة سلمية، فإن خالد بن مالك النَّهْشَلِيّ قد عمد إلى أخذ النفورة غَصْباً حين نَفَّر رَبِيعَـــة بن حُدار الأَسْدِي القَعْقاع بن مَعْبَد عليه، وعن هذه الحادثة قال أبو عبيدة: "فانطلق خالد بن مالك فأغار على إبل نفورة ربيعة فذهب بها... إلى إبله ، وكانا وضعا إبلهما في رَحْل امرأة ليرضيا بما حُكِم عليهما، فأخذها من عندها"[١].

وربمـــا تكون هنا أشياء أخرى حدثت في المنافرات التي لم تصلنا، وما يدفعنا لهذا القول هو المنافرة التي حدثت بين جوّاس الشاعر وجميل بن مَعْمَر – وإن كانت هذه منافرة حدثت في العصر الإســـلامي إن صحّ الخبر– وقد نفّر فيها يهود تَيْماء جوّاساً على جميل فأراد بعض قومه الانتقام من جـــوّاس، فماذا فعلوا؟ " فغضب لجميل نفرٌ من قومه يُقال لهم بنو سفيان، فجاءوا إلى جوّاس ليلاً، وهـــو في بيته، فضربوه وعرّوا امرأته أم الجُسير في تلك الليلة"[٢] نجد هنا أن اعتداءً على حرمة بيت جـــوّاس الشّاعر قد تمّ، وهذا حدث في العصر الإسلامي، ولانجد إشارة لموقف الدولة الإسلامية ولا لـــردة فعـــل القضاء اتجاه ما حدث، وإذا كان قد حدث هذا بعد الإسلام فماذا يمكن أن يكون قد حدث في المنافرات الجاهلية التي لم تصلنا؟!.

وفي ختام حديثنا هنا عن المتنافرين لا بد أن نذكر أن المرأة قد شاركت في المنافرات مُنافِرة، ومناصِرة، وحَكَماً مُنفّراً. وقد مرّ ذلك في الفصل السابق، أما مشاركتها منافرة فنذكر في هذا المقام هِـــنْد بنت عُتْبة بن ربيعة حيث اقحمها زوجها في عفّتها، وقَدِمت مع أبيها عُتبة بن ربيعة " فخرج الفاكـــه في جماعة من بني مَخـــزُوم، وخـــرج عُتْبة في جماعة من بني عبد مناف وخرج معهم هِنْد ونســـوة معها"[٣]، وقد ذكرنا فيما مضى أن هذه منافرة بالمعنى اللّغوي أي محاكمة بشكل عام، أما المعـــنى الاصـــطلاحي وهو المحاكمة في النسب، فلم تتوفر عناصر المنافرة مثل النفورة، ومحاولة كلا المتـــنافرين اثـــبات أنـــه الأفضل بل إن الأمر هنا لم يتجاوز الحُكْم ببراءة هِنْد بنت عُتْبة التي أثبتها الكاهن.

---

(١) أبو عبيدة – مصدر سابق: ٩٥.

(٢) الأصفهاني – الأغاني، ٢٢: ١٥٢.

(٣) محمد بن حبيب – المنمق: ١١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهـــناك منافـــرة أخرى خرجت فيها العَجْفاء بنت عَلْقَمَة السّعدي مع رفيقاتها إلى كاهنة حيـــث "**تنافرْن** إلى كاهنة معهن في الحيّ، فقلن لها: اسمعي ما قُلنا، واحكمي بيننا واعْدلي، ثم أَعَدن عليها قولهن"[١]، ولا بد أن نقف هنا ونتساءل هل هي منافرة بالمعنى اللّغوي أم الاصطلاحي؟ لعلّ ما يجعلـــنا نقول أنها منافرة هي لفظتا "تنافرن" و "احكمي"، واختلافهما حول أيّ أبٍّ هو أفضل، فكل واحدة تزعم أن أباها أفضل، واللجوء إلى الكاهنة للحُكْم بينهن، لكن الكاهنة ساوت بينهن، لتبين أن كـــلّ فـــتاة تفخر بأبيها، وتبين رأيها في أفضل النساء، وأفضل الرجال معددة الصفات المثالية لكلّ منهما، خاتمة ذلك بمثل اشتُهر عنها هو قولها (كلّ واحدة منكن بأبيها معجبة) أو بعبارة أخـــــرى " كـــلّ فتاة بأبيها معجبة "، كلّ فتاة في هذه المنافرة لم تذكر كرم النسب عند وصف أبيها ، وهو أساس المنافرة وروحها، فلم تفتخر أية فتاة منهن بعراقة نسب أبيها، بل ركّزن اهتمامهن على مكارم الأخلاق التي جاءت مساندة لكرم النسب؛ ربما لأنهن متقاربات في كرم النسب فهنّ من حيّ واحد، وهذا يذكرنا بمنافرة عامر بن الطُّفيل وعَلْقَمَة بن عُلاَثَة ، أما العناصر الأخرى للمنافرة وهي الكاهنة والمتنافرات واختلافهن حول أيّ واحدة منهن أفضل أباً، و النفورة هي معنوية تتجلى في المدح والثناء بتفضيل إحداهن على الأُخرى.

وقـــد قامت المرأة بدور المحرضة لأحد المتنافرين مثلما حدث بين عَلْقَمَة بن عُلاَثَة وعامر الطّفيل حيث وجّهت أم عامر ابنها للمنافرة " فقالت: يا عامر، نافره أيّكما أولى بالخيرات"[٢].

وتقـــف المـــرأة أحياناً إلى جانب أحد المتنافرين مناصرة له، وهذا ما فعلته ابنة الحطيئة حين سمعت شعر الأعشى الذي ادّعى فيه أنه حكم بين عَلْقَمَة بن عُلاَثَة وعامر بن الطُّفيل له فنفّر الأخير في شعره "فسمعته مُلَيْكَة بنت الحطيئة فوضعت البَوْغاء على رأسها، وهتفت: حَرْباه [واحَرْباه]؟ هذا والله شعر أبي بصير، فلما توعد علقمة الأعشى زاد فيها [القصيدة]..."[٣].

---

(١) الميداني - مجمع الأمثال، ٢: ١٠.

(٢) الأصفهاني – الأغاني، ١٦: ٢٨٥.

(٣) أبو عبيدة - الديباج: ٩٣- ٩٤. البَوْغاء: التراب. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " بوغ " .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا- آثار المنافرات:

يخشى الحكماء من عواقب المنافرة وما تؤدي إليه من حروب، لذا يبادرون للإصلاح بين المتخاصمين حتى لا يستفحل الخصام أو اللجاج بينهما فيدفعهما إلى التنافر، وهذا ما فعله مَرْثَد الخَيْر بن يَكْكَف بن نوف بن مَعْديكَرِب حيث أصلح بين سُبَيْع بن الحَارِث ومَيْثَم بن مُثَوِّب حين تنازعا الشرف والزعامة، فقال لهما: "... وأنيبوا إلى السَّبيل الأَرْشد، والمَنْهج الأقصد. فإن الحَرْب تُقْبِل بِزِبْرِج الغرور، وتُدْبِرُ بالويل والثُّبور، ثم قال الملك:...

وَلاَ تَجْنِيا حَرْباً تَجُرُّ عَلَيْكُمَا
عَوَاقِبُهَا يَوْماً مِنَ الشَّرِّ أَشْأَمَا
فَإِنَّ جُنَاةَ الحَرْبِ لِلْحَيْنِ عُرْضَةٌ
تُفَوِّقُهُمْ مِنْهَا الذُّعَافَ المُقَشَّمَا
حَذَارِ فَلاَ تَسْتَنْبِثُوهَا فَإِنَّهَا
تُغَادِرُ ذَا الأَنْفِ الأَشَمِّ مُكَشَّمَا"(١)

مما سبق نجد أن مَرْثَد الخَيْر يدعو إلى الصُّلح؛ لأنها السبيل الأمثل؛ ولأن وحدة القبيلة وتماسكها لا بد أن يعلو على أيّ صراع على الشّرف والرئاسة، وهذا الصراع والتنافر قد يؤدي إلى وقوع الحَرْب بين فرعي القبيلة مما يجعلها مطمعاً للقبائل الأخرى، لذا على المتنافرين هنا التخلي عن مطامع النفس ورغباتها من أجل وحدة القبيلة، وحذّرهم من آثار الحَرْب التي لا تجر إلا إلى الشّرّ والويل والثبور، والمنتصر في الحرب خاسر أيضاً، بسبب مقتل الكثيرين.

وإذا كان مَرْثَد الخَيْر قد لجأ إلى النصح بالإصلاح لما في الحرب من أهوال تطال الجميع، فإن إياس بن قَبيصة عمد إلى التهديد بمخاطر الحرب ليضغط على النّعمان بن المنذر قائلاً له "أظنّ أختانك أن يصنعوا بحاتم كما صنعوا بعامر بن جُوَين، و لم يشعروا أن بني حيّة بالبلد، فإن شئت والله ناجزناك حتى يَسْفَح الوادي دماً، فليحضروا مِجادهم غداً بمجمع العرب. فعرف النّعمان الغضب من وجهه وكلامه، فقال له النّعمان: يا أحلمنا لا تغضب فإني سأكفيك، وأرسل النعمان إلى سعد بن حارثة وأصحابه: انظروا ابن عمكم حاتماً، فأرضوه، فوالله ما أنا بالذي أعطيكم ما لاً تبذّرونه، وما أطيق بني حيّة" (٢)، هنا يحذّر إياس بن قَبيصة النّعمان من مغبة مجاراة أصهاره من بني لَأْم الذين

---

(١) القالي - الأمالي، ١: ٩٣. بِزِبْرِج: الوشي. تُفَوِّقُ: ما بين الحَلَبتين. الذّعاف: السّم القاتل . المقشّم: المخلوط. تستبثوها: لا تثيروا نبيتها، وهو ما يخرج من البئر إذا حُفرت. مكشّم: مقطوع. انظر شرح هذه المعاني: القالي – معجم سابق، ١: ٩٣.

(٢) الأصفهاني - الأغاني ١٧٢: ٣٧٢. أختانك: أصهارك. انظر: ابن منظور-لسان العرب، مادة" ختن".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فضـــحوا عامـــر بن جُوين لكن الأمر اختلف هنا فحاتم الطائي لن يسكت مثل عامر بن جُوين؛ لذا نافر حاتم الطائي سعد بن لَأْم، وواعده في سوق الحيرة، وهي منافرة غير مأمونة العواقب، فالغرور قد يدفع ببني لَأْم أصهار النّعمان إلى استغلال قُربهم من النّعمان لدفعه إلى محاربة حاتم الطائي وقومه، وهو ما أدركه إياس بن قبيصة فحذّرالنعمان بن المنذر من مغبة الحرب.

وســـعى الـــنّعمان بن المنذر إلى الصلح حتى يجنّب نفسه وأصهاره مخاطر الحرب، ودعا إلى إرضـــاء حاتم الطائي معللاً ذلك بعدم قدرته على مواجهة بني حيّة، وربما لديه طاقة لمواجهتهم لكن السّـــبب غير كافٍ بالنسبة له، وهو ليس في حاجة إلى عداء القبائل، إضافة إلى عدم رغبته في تبذير أمواله في حروب لا يجني منها في رأيه غير الخسارة.

ممـــا سبق نلاحظ أن بعض المتنافرين يرضى بالصلح، لكن بعضاً منهم يمضي في منافرته إلى التحكـــيم كما حدث في كثير من المنافرات ومنها مـــنافرة عَلْقَمَة بن عُلاَثَة وعامر بن الطُّفيل، لذا يحاول المُنفّر الحكيم أن يُجنب المتنافرين مخاطر المنافرة وما تجرّ إليه من حروب.

أ- داحـــــــس والغبـــــــراء:

هـــي حرب وقعت بين قبيلتي عبس وذبيان، واستمرت بينهما سجالاً، ثم تصالحوا، وتشتمل هـــذه الحرب على عدّة أيام منها : يوم المريقب، ويوم اليعمرية، ويوم الفروق، وذات الجراجر، ويوم المعيقة، وقد انتهت بالصُّلح بينهما [١].

إن ســـبب الحرب الأساسي هواختلافهم حول ملكية الفرسين اللتين سميت باسمهما الحرب، وتـــتفق الروايات على أن فرس حَوْط بن أبي جابر بن أَوْس بن رياح المسمى بِجَلْوى قد مرّت بفرس قِرْواش بن عوف بن ثعلبة المسمى بذي العقال فنزا على جَلْوَى، فوضعت داحساً التي وضعت الغبراء فيما بعد مما أدّى إلى الاختلاف بينهما.

ولقـــد أغار قَيْس بن زُهَير بن جَذِيمة العَبْسيّ على بني يربوع فأصاب ابنتي قرواش ومائة من الإبـــل مســـتغلاً فرصة خلو الحيّ من الرجال،لكنه ترك الفتاتين والإبل في مقابل أن يأخذ داحساً مما أغضب قومه فأرضاهم، ثم تنافر قِرْواش بن عوف بن ثعلبة مع قَيْس بن زُهَير وقضي في هذا الأمر بأن تُـــردَ الفـــتاتان والإبـــل إلى قيـــس بن زهير، ويرد عليه فرسه[٢]. هذه المنافرة منعت وقوع الشّرّ، وهوالحرب، ولكنها أبقت النفوس مستعدة لها؛ لأن قِرْواش بن عوف بن ثعلبة قد رضي بعد شرّ.

---

(١) أبو عبيدة- أيام العرب:١٧٧.

(٢) المصدر نفسه:١٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن سباق الخيل والرِّهان الذي وضعهما مالك بن عُمَيلة وعُمَيْرة الخُزاعي أفضى بهما إلى التنافر، أما رهان قِرْواش بن عوف بن ثعلبة و قيس بن زُهير، وما فعلته بنو فَزَارة من تأخير داحس رغم أنه قد سبق أن أهاج الشحناء، وهيَّأ النفوس لتقبل الحرب التي دامت سنين طويلة، وربما لو تنافر قيس بن زهير وقِرْواش لما حدثت هذه الحرب، فالمنافرة في أحيان كثيرة كانت تمنع الشر[١].

ونقف عند هذا الخبر حيث قيل: " إن قيساً [بن زهير العبسي] أقام بمكة، فكان أهلها يفاخرونه، وكان فخوراً، فقال لهم: نَحُّوا كعبتكم عنا وحرمكم، وهاتوا ما شئتم، فقال له عبد الله ابن جُدْعان[٢]: إذا لم نفاخرك بالبيت المعمور، وبالحرم الآمن، فبمَ نُفاخرك؟
فقال قيس:

تُفَاخِرُنِي مَعَاشِرُ مِنْ قُرَيْشٍ
بِكَعْبَتِهِمْ وَبِالبَلَدِ الحَـــرَامِ

فَأَكْرِمْ بالذِّي فَخرُوا وَلَكِن
مَغَازِي الخَيْلِ دَامِيَةُ الكَـــلامِ

وَمَا عَيْشُ ابْنُ جُدْعَانٍ بِعَيْشٍ
مَعَ القُرَشِيِّ حَرْبٍ أَوْ هِشَـــامِ

فمـلّ قيـس مفاخرتهم، وعزم على الرحلة عنهم، وسرّ ذلك قريشاً؛ لأنهم كانوا كرهوا مفاخرته، فقال لأخوته: ارحلوا بنا من عندهم أولاً، وإلا تفاقم الشـرّ بيننا وبينـهم ،و الحقوا ببني بـدر، فـإنهم أكفاؤنا في الحسب، وبنو عمّنا في النسب، وأشراف قومنا في الكرم، ومن لا يستطيع الربيع أن يتناولنا معهم."[٣].

مما سبق نجد أن التفاخر بين قيس بن زهير ونفر من قريش قد تمّ، حيث فاخروه بالبيت الحرام والبلد الآمن مما أغضب قيس بن زهير الذي طلب منهم تنحية هذه المفخرة، لذا ردّ عليهم شعراً بأن ما يفخرون به يقدّره ويكرّمه لكنه يفسح لهم مجالاً آخر للتنافر، وهو الشجاعة والإقدام، فهو يفضل

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر: عادل حاسم البيان- الشعر في حرب داحس والغبراء:٧٥.

(٢) هو سيد من سادات قريش في الجاهلية، ومن أجوادهم، حرم على نفسه الخمر، كان يصل الرحم ويطعم المساكين وأول من صنع الفالوذج في مكة وأطعم الناس ، وكان سبباً في دخول قريش في حِلْف الفضول. انظر: محمد بن حبيب- المحبر: ٩٧، ١٠٣، الأصفهاني- الأغاني،٨:٣٢٧.

(٣) أبو عبيدة - كتاب الأيام، ٢: ١٨١، ١٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حيـــاة الحرب والمغازي، ولبس خشن الثياب والدروع على الحياة المرفهة التي يعمّها الرّخاء والراحة، وهي الحياة التي ينعم بها حَرْب بن أُمَيَّة وهشام.

واخـــتلاف مقاييس المفاخرة واضح بينهما، فقريش تفتخر بمآثرها على القبائل بينما يدعو قيـــس ابن زهير للتفاخر على أساس الشجاعة والإقدام أيّ أنه يريدها منافرة شخصية لا قبلية، لكن رفضهم يدفعه إلى الرحيل عنهم، لكن السؤال هنا: لماذا لم يُقْدِم قيس بن زهيرعلى منافرة قريش رغم أن أسبابها متحققة بالتفاخر الذي دار بينهم ؟.

في حديث قيس لقومه تتضح لنا هذه الأسباب، فهذه المفاخرة بينهم ستؤدي بهما إلى المنافرة ومـــن ثَمَّ إلى الشّرّ، وهو هنا الحرب التي كان أحد أسبابها عجز قيس بن زهير عن مجاراة قريش في مفاخرهم. ولم يلجـــأ قيس بن زهير الذي ملّ مفاخرة قريش إلى المنافرة؛ لأنه يعلم أن أساس المنافرة هـــو كرم النسب، إضافة إلى ما تتمتع به القبيلة من مفاخر ومآثر؛ لذاسيُنفّر الحَكَم قُريشاً على بني ثَعْلـــبة، ويمثـــلهم هنا قيس بن زهير الذي أدرك ذلك بحكمته وببعد نظره، فآثر الرحيل إلى بني بَدْر؛ لأنهم أكفاؤهم في الحسب، وبنو عمهم في النسب، وليبتعد أيضاً عن الربيع بن زياد العبسي المتخاصم معه.

ونقف عند بعض أيام العرب المشهورة التي أثارتها المنافرة والتي بدأت بالتفاخر واللجاج بين المتـــنافرين وامـــتدت إلى حـــرب بين القبائل، وأشهرها داحس والغبراء التي مرت سابقا، وحروب الفِجَـــار، وســـنقف عند كل حرب مع تحليل ما جرى، وكيف تحولت المنافرة إلى حرب بدلاً من الذهاب إلى الحُكام من الحكماء والكهان.

ب- حرب الفِجَار:

هـــي حـــرب وقعت بين كنانة وهوازن، وهو اليوم الأول من حرب الفِجار، وعن سبب تسميتها بحرب الفِجَار قال أبو عبيدة: "فهذه الأيام تسمّى فِجَاراً؛ لأنها كانت في الأشهر الحُرم، وهي الشهور التي يحرمونها، ففجروا فيها، فلذلك سُمّيت فِجَاراً، وهذه يقال لها أيام الفِجَار"[1]، والأشهر الحُرُم أربعة أشهر، وهي ذو القِعْدة و ذو الحُجة، ومُحَرّم، ورَجَب.

ونقـــف عند حرب الفِجَار الأولى "قال أبو عبيدة: أيام الفِجَار عدّة، وهذه أولها، وهو بين كِـــنانَة وهَوازِن، وكان الذي هاجه، أن بَدْر بن مَعْشَر أحد بني غِفَار بن مُليل بن ضَمْرَة بن بكر بن عـــبد مَنَاة بن كِنانَة، جُعِل له مجلس بسوق عُكاظ وكان حَدَثاً مَنِيعاً في نفسه، فقام في المجلس، وقام على رأسه قائم، وأنشأ يقول:

---

(١) أبوعبيدة – أيام العرب، ٢: ٥٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نحنُ بَنو مُدْرِكة بن خِنْدِفْ

مَنْ يطعنوا في عَيْنِهِ لم يُطرف

ومدّ رِجْله، وقال:

– أنا أعزّ العرب، فمن زعم أنه أعزّ مني، فليضربْ هذه بالسّيف، فهو أعزّ مني. فوثب رجل من بني نصر بن معاوية، [يدعى]الأُحَيْمِر بن مازن، أحد بني دُهْمَان بن نصر بن معاوية، فأندرها من الرُّكبة، ثم قال:

– خذها إليك أيّها المُخَنْدِف.

وهو ماسك سيفه، وقام أيضاً رجل من هوازن فقال:

نحنُ بنُو دهمان ذو التَّغَطْرِفِ

بَحْرٌ لبَحْرٍ زاخرٍ لم يترِفِ

نحنُ ضَرَبنا رُكْبَةَ المُخَنْدِفِ

إذْ مَدَّهَا فِي أَشْهُرِ المُعَرَّفِ

قال أبو عبيدة:

– إنما خرصها خرصةً يسيرة، فتحاور الحيان عند ذلك، حتى كاد أن يكون بينهما الدّماء، ثم تراجعوا، ورأوا أن الخطب يسير"[1].

وما جرى هنا هو بداية منافرة، لكن لماذا لم يلجأ هنا الطرفان إلى المنافرة؟ فالمنافرة ستفصل بينهما فيمن له الشّرف والمجد، والتعبير" فتحاور الحيان" لا يبين لنا ما جرى بين الحيين، لكن نستطيع أن نقول إنه حوار تعصب فيه الطرفان كلّ إلى قبيلته، ولعل إدراك الحيّيْن ما قد يؤدي إليه التحاور من تنافر وتنازع، ومن ثَمّ إلى إراقة الدّماء جعلهم يتراجعون؛ ولأن الأمر يسير خاصّة وأنهم في الأشهر الحرم التي تعارف العرب فيها على حرمة الحرب.

وهنا لا بد أن نذكر أن أحد المتنافرين مجهول فلم يحدد بدر شخصاً بعينه بل هو يرى نفسه أعز من في المجلس، فالمتنافر بَدْر بن مَعْشَر لم يحدد شخصاً أو قوماً، بل شمل كلامه كل من حضر المجلس في سوق عُكاظ.

---

(١) أبو عبيدة – كتاب أيام العرب، ٢: ٥٠٤. أندرها: قطعها . ذو التغطرف: التكبر والاختيال في المشي، مُسدف: مُظلم.

خَرْص: السِّنان، وعويد بخرز في عَقد السقاء. انظر: ابن منظور–لسان العرب، مادة" ندر" و "غطرف" و "سدف"و" خرص"

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثا- صورة المجتمع الجاهلي من خلال المنافرات:

أ- الحياة الدينية:

يتضح من خلال المنافرات أن الجاهليين قد آمنوا بوجود الله سبحانه وتعالى – و لا نجد تعليلاً لعبادتهم للأصنام إلا ما جاء في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿إنّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الكتابَ بالحقِّ فاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّين ۞ أَلاَ للّه الدِّينُ الخَالِصُ والذينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ ما نَعْبُدُهُمْ إِلاّ لِيُقَرِّبونَا إِلى اللهِ زُلْفى إِنَّ اللهَ يَحْكُـــمُ بَيْنَهُم فِيمَا هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[١]، ونجد ذلك في قول كاهن عُسْفان "حلفتُ بربّ السماء، ومرسل العَمَاء فينبعن بالماء... حلفتُ بربّ مكة واليمامة، ومن سلك بطن تهامه لحج أو إقامة"[٢].

لعلّ أبرز جوانب الحياة الدينية في المنافرات تتضح من خلال القسم الذي يقسمه الحكم وخاصة الكهان منهم، وتتجلى صورة القسم في صيغ مختلفة أبرزها:

١- **القســـم بالله** –سبحانه وتعالى- مع إضافة أسماء عناصر الطبيعة والمخلوقات، ومن أمثـــلة ذلك "أما وربّ الواطدات الشُّمّ، والجَرْوَل السُّود بهن الصُّم... أما ورب السّماء والأرض والماء، وما لاح لنا من حراء"[٣]أما ورب العاديات الضَّبْح، ما يعدل الحُرّ بِعَبْد نَحْنَح"[٤]. كما أقسم الكاهن عُزّى سَلِمَة العُذْرِي بالله في أبيات سابقة[٥].

٢- **القسم بالبيت الحرام:**

وممـــن أقسم به الكاهن سَطِيح الذِّئْبِيّ فقال: "بالنُّجُود أحلف والتَّهائم، ثم بيت الله ذي الدَّعائم وكل من حج على شُداقِم"[٦]،ويتبين من خلال المنافرات مكانة البيت الحـــرام، وشـــعائر الحج. فمن أهميته ومكانته لجأ الكهان إلى القسم به، ومنهم الكاهن

---

(١) سورة الزمر: ٢ و ٣.

(٢) محمد بن حبيب – المنمق: ١٠٧. العَمَاء: السّحاب الكثيف الممطر. انظر: ابن منظور–لسان العرب، مادة" عمي".

(٣) محمد بن حبيب – مصدر سابق: ١١٦. الوطدات: الجبال. الجَرْوَل: الأرض ذات الحجارة الصُّم: الحجارة الصلبة. انظر: ابن منظور–لسان العرب، مادة" وطد" و "جرو" و "صمم".

(٤) محمد بن حبيب – مصدر سابق: ١١٦. العاديات: الخيل المغيرة الضبح: صوت عدو الخيل. انظر: ابن منظور–لسان العرب، مادة" عدو" و "قور" و "ضبح".

(٥) محمد بن حبيب – مصدر سابق: ١٠٢ القلص: الطويلة القوائم من الإبل. أزوال: مفردها زَوْل الشجاع الظريف. طاسم: المظلم أو الأغبر. انظر: ابن منظور–لسان العرب، مادة" قلص" و "زول" و "طسم".

(٦) محمد بن حبيب- مصدر سابق: ١١٤. شداقم: الواسع الشدقين من الإبل. انظر: ابن منظور–لسان العرب، مادة" شدقم".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عُــزّى سَلِمَة العُذْرِيّ "أحلف بالضِّياء والظُّلَم، والبيت ذي الحرم"[١]، والحج إلى البيت الحرام من العبادات لديهم، لذا جعلها الكاهن من أسباب تنفيره لعبد المطلب بن هاشم في منافرته مع بني ثقيف "زيارة البيت لهم عبــادة"[٢].

ولا نجــد هذه الإشارات السريعة لمكانة البيت الحرام فقط، فقد ورد في شعر الكاهن عُزّى سَــلِمَة العُــذْرِيّ الذي تميز بكثرة الحَلْف والإشارة إلى البيت الحرام واصفاً بعض شعائر الحجّ لدى العرب في الجاهلية:

"أَحْلفُ بِالمَرْوَةِ وَالْمَشَاعِرِ
وَمَنْحَــــرِ البُدْنِ لَدَى الحَزَاوِرِ

وَكُلِّ مَنْ حَجَّ عَلَى عُذَافِرِ
مَا بَيْنَ مَطْفُورٍ وبين نَــــاشِــــرِ

يَؤُمُّ بَيْتَ اللهِ ذِي السِّتَائِرِ
أَنَّ سَناءَ المَجْدِ والمَفَــــاخِــرِ

لَــفــي الفتَى عُمَيْرَةِ بنِ هَاجَرِ
فَارْجِعْ أَخَا الدَّارِ بِجَدٍّ عَاثِرِ"[٣]

هــذا من الشعر الذي وصلنا فيما يتعلق بالحجّ في الجاهلية، ويرى جواد علي أنه لولا إقرار الإسلام لبعض شعائر الحج في الجاهلية -التي لم تتعارض مع مبادئه- لما عرفنا شيئاً عن الحج في العصر الجاهلي [٤]. ونلحظ أن الجاهليين عظّموا المروة ، وقدّموا البُدْن؛ لأنها نوع من الأضحية. مع طوافهم بالبيت والطواف هو أهم طرق التعبد إلى الآلهة والتقرب إليها، ولقد وردت إشارات إلى هذه الشعائر الدينية في الشعر الجاهلي[٥].

---

(١) محمد بن حبيب – المنمق : ١٠١.

(٢) المصدر نفــه: ١٠٢.

(٣) المصدر نفــه: ١١٠- ١١١.

(٤) انظر: جواد علي – المفصل في تاريخ العرب، ٦: ٣٥٢.

(٥) المصدر نفــه، ٦: ٣٥٥. و لمزيد من التفصيل انظر: محمد إبراهيم الفيومي – تاريخ الفكر الديني الجاهلي، ٤٦٢ – ٤٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- القسم بالأصنام :

ولقد وردت أسماء الأصنام في المنافرات؛ لتكون كفيلاً للمتنافرين للوفاء بالنفورة، ونجد ذلـــك في منافرة خالد بن أَرْطاة الكَلْبِيّ وجَرير بن عبد الله البَجَلِيّ "قال خالد: من لي بالوفـــاء؟ قـــال: كفيلي اللاّت والعُزّى، وإسافٌ، ونائلة، وشمسٌ، ويَعوقٌ، وذوالخَلَصة، ونَسْرٌ فمن عليك بالوفاء؟ قال:وَدٌّ، ومَنَاةٌ، وفِلْسٌ، ورُضىً"[١].

ويـــرد في قســـم الكُهّان الحلف بالضِّياء والظُّلَمة وغير ذلك، ومن أمثلة ذلك قول الكاهن عُزّى سَلِمَة العُذْرِيّ: " أحلف بالضياء والظُّلَم"[٢] و "أحلف بالنور والقمر، والسّناء والدهر، والرياح والفَطْر"[٣]. وقد يتبادر للوهلة الأولى أن قسم الكاهن يحمل أثرا مجوسيا، ولكنّ لا نتوقع من الكاهن ذلـــك؛ لأن الكهّان يقومون برعاية بيوت الأصنام[٤]، كما أن المجوسية كانت معروفة، فقد آمن بها بعض بني تميم، ومنهم حاجب بن زُرارَة [٥]، ويمكن تسويغ قسم الكاهن بالنور والظلمة بطريقته في القسم التي تعتمد على التضاد مثل " النور والظلمة – الغائر والمنجد "، وقد يعتمد الكاهن في قسمه على وجود علاقة في ما يقسم به في العبارة قوله مثل " النور والقمر – الرياح والقطر " كأنه يريد أن يقسم بكل ما في الكون من أمور متناقضة ومتشابهة.

ولعلّ ما يلفت النظر في منافرة عُتبة بن ربيعة والفَاكِه بن المغيرة الذي اتهم فيها زوجته وهي هِـــنْد بنت عُتْبة بن ربيعة هو ذكر "يوم القيامة" في حديثها مع أبيها حين سألها عن سبب تغير حالها قبل وصولهم إلى الكاهن فقالت: " ولكني أعلم أنكم تأتون بشراً يُخطئ ويصيب، ولا آمنه أن يسمني مَيْسماً يكون عليّ سُبّة إلى يوم القيامة، فقال لها: إني سوف اختبره من قبل أن ننظر في أمرك"[٦] فهل آمـــن الجاهـــليون بيوم الحساب؟ وهل سُمّي باسم "يوم القيامة"؟ عن هذا يقول صادق مكي: "أما فكـــرة الحســـاب الذي يكون في يوم محدد يجمع الله تعالى فيه الناس، فيكون حساباً عاماً شاملاً... ووردت عند زُهَيْر بن أبي سُلْمى وحده بين شعرائنا في قوله:

فَلاَ تَكْتُمُنَّ اللهَ مَا فِي نُفُوسِكُمْ

لِيخْفَى وَمَهْمَا يَكْتُمِ اللهُ يَعْلَمِ

---

(١) أبو عبيدة – شرح نقائض جرير الفرزدق، ١: ٣٠١؛ وانظر الأسود الغندجاني- فرحة الأديب: ١٠٩.

(٢) محمد بن حبيب – المنمق: ١٠١.

(٣) المصدر نفسه: ١١٠. لعلّ الكلمة هي القطر.

(٤) انظر: شوقي ضيف – العصر الجاهلي: ٤٢١.

(٥) لمعرفة أثر المجوسية في العرب انظر: صادق مكي – ملامح الفكر الديني في الشعر الجاهلي: ٧٣، وانظر : محمد إبراهيم الفيومي – تاريخ الفكر الديني الجاهلي: ٣٢٠.

(٦) محمد بن حبيب – مصدر سابق: ١١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"واللات والعُزّى، لو فاخرت قيصر ملك الروم، وكِسرى عظيم فارس، والنُّعمان ملك العرب، لنفرّتُك عليهم"(١).

وبالرغم من ذهاب وفود العرب إلى الملوك فإنهم يرفضون الخضوع لهم أَنَفَة وعزّة، ونجد ذلك في قول جرير بن عبد الله البَجَلِيّ في منافرته مع خالد بن أَرْطاة الكَلْبِيّ عند الأَقْرَع بن حَابِس معدداً مفاخر قبيلته :"ونحن حي لَقَاح"(٢)، أي أنهم لا يدينون للملوك، ولم يصبهم في الجاهلية سِباء.

كان العرب قبائل متفرقة و لا يعني هذا أنهم لم يعرفوا علاقات أو روابط سياسية، بل نجد لديهم أحلافاً وجواراً وغير ذلك من طرق التعاون بين القبائل العربيّة. ومن أشكال العلاقات والروابط السياسية بين القبائل إقامة الأحلاف، ومفردها حِلف، وأصله في اللغة من حَلْف اليمين، "وأصلها العقْد بالعزم والنية... تأكيداً لعقده... والحِلْف بالكسر، العهد يكون بين القوم... أصل الحِلْف المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد ، فماكان منه في الجاهلية على الفتن والقتال بين القبائل والغارات فذلك الذي ورد النهي عنه في الإسلام ... وما كان منه في الجاهلية على نصرة المظلوم وصلة الأرحام كحِلْف المُطَيَّبين وهم ستّ قبائل:عبدُ الدَّار، وجُمَح، ومَخْزُوم، وبنو عَدِيّ، وكَعْبٌ، وسَهْمٌ ، وما جرى مجراه ... لم يزدْه الإسلام إلا شدّة، يريد من المعاقدة على الخير ونُصرة الحقّ... "(٣).

وقد فصّل جواد علي الحديث في هذا الموضوع، حيث يرى أن الأحلاف تقوم بين عشائر القبيلة الواحدة وبُطُونها، أو بين القبائل المختلفة. وهي تقوم على المصالح لصدّ غزو القبائل الأخرى، أو لتتحالف القبائل الصغيرة مع القبائل الكبيرة القوية. وتدوم هذه الأحلاف بدوام المصالح الواحدة، وقد يتم التحالف على النار أو الطِّيب أو الدّم أو القَسَم عند الأصنام، وتُدونُ هذه الأحلاف وتُحفظُ(٤).

ومن حقوق المتحالفين أن ينصر كل منهم الآخر، وخاصة القوي فعليه أن يمنع الأذى عن المتحالفين معه، وقد يؤدي هذا التحالف إلى جر القبائل المتحالفة معهم إلى المنافرة وهذا ما حدث في منافرة بني مَخْزُوم وبني أُمَيَّة من بني كِنانَة حيث تفاخر حلفاؤهم بعزِهم وقوهم مما أدى ببني مَخْزُوم وبني أُمَيَّة إلى التنافر، وننقل هنا بعضاً من حوارهما " فقال رجل من بني كِنانَة كان حليفاً لبني

(١) الأسود الغندجاني- فرحة الأديب: ١٠٩.

(٢) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

(٣) ابن منظور - لسان العرب، مادة "حلف" .

(٤) انظر: جواد علي- المفصل في تاريخ العرب، ٤: ٣٧٠ وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مَخْـــزُوم:بـــنو مَخْزُوم أعزّ وأمنع وقال رجل من بين زُبَيد، وكان حليفاً لبني أُمَيَّة: بنو أُمَيَّة أعـــزّ وأمنع"[١]، مما أدى ببني أُمَيَّة وبني مَخْزُوم إلى التنافر.

وقد يدفع التحالف الأذى عن بعض القبائل بانتصار القبيلة القوية للقبيلة الضعيفة، وهذا ما حدث في منافرة حَرْب بن أُمَيَّة وعبد المطلب بن هاشم التي حكم فيها نُفَيْل بن عَبْد العُزّى بن رِيَاح ابن عدي بن كعب، ونفّر فيها عبد المطلب بن هاشم على حَرْب بن أُمَيَّة، فما كان من الأخير إلا أن عـــزم على إخراج بني عدي انتقاماً من حكمها، وفي ذلك يقول محمد بن حبيب : "فأراد حَرْب ابن أُمَيَّة إخراج بني عَدِيّ بن كَعْب من مكة فاجتمعت لذلك بنو عبد شمس بن عبد مناف وبنو نوفل ابن عـــبد مناف، وغضب لعبدالمطلب بنو هاشم وبنو المطلب وبنو زُهْرَة، وغضب بنو سَهْم لبني عَدِيّ لأنهم من الأحلاف فمنعوهم، فلما رأى ذلك حَرْب بن أُمَيَّة كفّ عنهم"[٢].

إن بني سَهْم منعت إخراج بني عدي؛ لأنهم من الأحلاف فلا بد من مناصرتهم، لأن حَرْب ابن أُمَيَّة وعبد المطلب بن هاشمقد ارتضيا بالحكم المنفّر نُفَيْل بن عَبْد العُزّى ومن ثم لا بد أن يرضيا بما يحكم به.

أما الجِوار فقد فصّل جواد علي الحديث فيه، حيث يرى أن له صلةً كبيرةً بالنسب والعصبية، فقـــد اندمجت بعض القبائل الصغيرة بالكبيرة عن طريق الجِوار، ويُعلن الجوار في الأسواق والمواسم، ولابد فيه من الحفاظ على حقوق المستجير من المستجار به وهي الحماية والمحافظة على النفس والمال والأهـــل، ومـــن حقوق الجوار المطالبة بدمّ المستجير والبحث عن قاتله، وهذا أدّى بعبد المطلب ابن هاشم إلى منافرة حَرْب بن أُمَيَّة مطالباً بدمّ جاره اليهودي، "قال أبو المنذر:كان رجلٌ من اليهود من أهـــل نَجْرَان يقال له أُذينة في جوار عبد المطلب بن هاشم ... فجعل عبد المطلب لا يعرف له قاتلاً، حتى كان مـــــن بعد فعلم من أين أتى، فأتى حَرْب بن أُمَيَّة فأنبّه لصنيعه، وطلب بدم جاره"[٣].

---

(١) محمد بن حبيب - المنمق: ١١٢.

(٢) المصدر نفسه: ٩٨

(٣) المصدر نفسه: ٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ج- الحياة الاجتماعية:

يتضـــح من المنافرات أن عمود القبيلة وروحها هو النسب، والعصبية القبلية التي تجتمع في نسب واحد،ومـــا يتبعها من حلف أو جوار تفرض حقوقاً على المتحالفين. ولا بد هنا أن نذكر بعض ما يتعلق بالأنساب، فهناك أنساب صريحة معروفة، وهناك دُخلاء وبعض المُستلحَقين.

والدَّخيـــل هـــو من انتسب إلى قوم وليس أصله منهم، والدّخيل أيضاً الضيف لدخوله على المضـــيف، [١]. ووصف الرجل بالدّخيل هو تقليل من مكانته وقيمته خاصة في المنافرات، ومن ذلك منافرة أَسيد بن أبي العِيص والوليد بن المغيرة، حيث قال ابن أبي العِيص للوليد بن المغيرة "أنا خير منك منصباً وأثبت منك في قريش نسباً، وأنت رجل من كِنانَة من بني شِجْع دخيل في قريش، نزيع في بني مَخْزُوم[٢].

أمـــا بالنســـبة للاســـتلحاق فيبين جواد علي علاقته بالنسب قائلاً: "هو أن يستلحق إنسان شخصـــاً فيلحقه بنسبه ويجعله في حمايته ورعايته، أي في عصبيته. وقد يكون الرجل صريحاً معروف النسب، وقد يكون أسيراً أو مولى أو عبداً فيسميه مولاه، وينسبه إليه"[٣] وقد يكون الاستلحاق من أبـــناء الإماء. وممن استلحق أميةُ بن حرب خلال وجوده في الشام بعدما نُفّر عبد المطلب بن هاشم عـــليه، فدفـــع حـــرب خمسين ناقة لعبد المطلب، ونُفي خارج مكة عشر سنين، وهو ما اتفق عليه المتـــنافران، فمـــا كـــان من أمية إلا أن " استلحق أبا عمرو ابنه، وهو ذَكْوَان، وهو رجل من أهل صَـــفُّورِية[٤]، فخـــلف أبو عمرو على امرأة أبيه بعده فأولدها أبَان، وهو أبو مَعْيَط، ويقال استلحق ذَكْوَان أيضاً أَبَان"[٥].

إلى جانب اهتمام العربي بنسبه نرى أن هناك قيماً وأخلاقاً حرص العربي على التحلي بها في الجاهـــلية أهمها الكرم والشجاعة وغيرها من الخصال الحميدة ،أمّا القيم الجمالية التي اهتم بها فتتعلق بالشَّـــعر والبَصَر خاصة، ويتضح ذلك في منافرة عَلْقَمَة بن عُلاَثَة وعامر بن الطُّفيل، وقد تحدثنا عن ذلك في بداية هذا الفصل في مجالات المنافرة.

وفي المنافرات قد يتناسى بعض أفراد القبيلة ما بينهم من مشكلات وخلافات، ويأتي مناصراً لقريبه؛ لأن مناصرته هي مناصرة للقبيلة أمام الآخرين، وهذا ما قد حدث في منافرة جرير بن عبد الله

---

(١) انظر: ابن منظور- لسان العرب، مادة "دخل" .

(٢) محمد بن حبيب - المنمق: ١١٢. نزيع: غريب وبعيد. انظر: ابن منظور – مصدر سابق، مادة " نزع " .

(٣) جواد علي - المفصل، ٤: ٣٥٧.

(٤) صَفُّورية: بلدة من نواحي الأردن بالقرب من بحيرة طبرية. انظر: ياقوت الحموي - معجم البلدان،٣: ٤١٤.

(٥) محمد بن حبيب- مصدر سابق: ١٠٦ – ١٠٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البَجَلِيّ وقُضَاعَة. "وكان جرير بن عبد الله نافر قُضَاعَة، فبلغ ذلك أسد بن عبد الله، وكان بينه وبينه -أعني جريراً- تباعد، فأقبل في فوارس من قومه ناصراً لجرير ومعاوناً له ومنجداً، فزعموا أن أسداً لما أقبل في أصحابه، فرآه جرير ورأى أصحابه في السلاح ارتاع، وخافه، فقيل له: هذا أسد جاءك ناصراً لك. فقال جرير: ليت لي بكلّ بلدٍ ابن عمٍ عاقّاً مثل أسد"[١]. ونجد المناصرة القبلية المادية والمعنوية واضحة في منافرة حاتم الطائي وابن عمّه سَعْد بن لَأْم[٢].

ورغم أهمية العلاقات الاجتماعية التي تربط أفراد القبيلة بعضهم ببعض، فإن القبيلة قد تضطر في المنافرات إلى وضع بعض أبنائها أو بعض أفرادها رَهْناً؛ لضمان أداء النّفورة والوفاء بها، وذلك ما حدث في منافرة عَلْقَمَة بن عُلاَثَة وعامر بن الطُّفيل الذي قال: "مئة من الإبل إلى مئة من الإبل يعطاها الحكم أيّنا نُفِّر على صاحبه أخرجها، ففعلوا ذلك، ووضعوا بها رَهْناً من أبنائهم على يدي رجل من بني الوحيد، فسُمي الضَّمين إلى السَّاعة، وهو الكفيل"[٣].

وقد تؤدي المنافرات في القبيلة الواحدة إلى التأثير على العلاقات بين أفراد القبيلة وخاصة الأقارب، وهذا ما كاد أن يحدث في منافرة عَلْقَمَة بن عُلاَثَة وعامر بن الطفيل، حيث طلب عامر بن الطُّفيل من عمّه أن يُعينه "فقال [عامر بن مالك] يابن أخي سُبَّني، فقال :لا أسبّك وأنت عمّي، قال: فسبّ الأحوص،فقال: لاأسبّ والله الأحوص،وهو عمّي"[٤]، إن عامراً لم يقبل أن يسب أعمامه، فللقربى حقّ أهمّه التقدير والاحترام.

ونقف عند موقف عُتبة بن ربيعة حين اتّهمت ابنته هند في شرفها، لنقف عند طريقة تصرف بعض الجاهليين مع من يتهم في أعراضهم، حيث قال عُتبة لابنته "انبئيني نبأك، فإن كان الرجل صادقاً دسستُ عليه من يقتله فانقطعت القالة عنك، وإن يكن كاذباً حاكمته إلى بعض كُهان اليمن"[٥].

من هنا يتضح أن عُتبة بن ربيعة يتحاكم لدى الكّهان إن كان الحقّ إلى جانبه، ويلجأ إلى القتل إن لم يكن الحقّ إلى جانبه؛ حتى لا يُحكم على ابنته فيُعيّر بذلك. وقد تلجأ بعض النساء في الجاهلية إلى الكواهن؛ ليجدن لهن حلاّ مما يعانين منه، كأن تكون شابة أُرغمت على الزواج من شيخ، و يقول الأعشى عن حالة مثل هذه الشّابة:

---

(١) الأصفهاني- الأغاني، ٢٢: ٥.

(٢) المصدر نفسه، ١٧: ٣٠٧ .

(٣) المصدر نفسه، ١٦: ٢٨٦.

(٤) أبو عبيدة- الديباج: ٨٩.

(٥) محمد بن حبيب- المنمق: ١١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تَقَمَّـــــــر هَا شَيْخٌ عِشَاءً فَأَصْبَـحَـــتْ قُضَاعِيَّـــةً تَأْتِي الكَـــــوَاهِنَ نَاشِصَا[١]

ويجدر الذكر هنا إلى أن هناك إشارات في المنافرات لبعض جوانب الحياة الطبيعية من نبات وحيوان، ولن نتوقف عندها لشيوعها وترددها في الشعر الجاهلي[٢].

رابعا– الأخبار الشبيه بالمنافرات:

وصـــلتنا مجموعـــة من الأخبار التي ذُكرت في كتب الأدب، وهي شبيهة بالمنافرة من عدّة جوانب، ونقف عند الخبر في البدء، ثم نحلله لنبين وجوه التشابه بينه وبين المنافرة.

- **الخبر الأول:**

" وقـــال الـــنّعمان بـــن المنذر ذات يوم، وعنده وجوه العرب ووفود القبائل، ودعا ببُرديّ مُحَرِّق. فقال: ليلْبس هذين البردين أكرم العرب، وأشرفهم حسباً وأعزّهم قبيلة. فأحجم الناس؛ فقال الأُحَيْمِر بن خَلَف بن بَهْدَلَة بن عَوْف بن كَعْب بن سعد بن زيد مناة، فقال: أنا لهما، فأْتَزَر بأحدهما وارتدى الآخر؛ فقال له المنذر: ما حجتك فيما ادّعيت؟ قال: الشّرف من نِزَار كلّها في مُضَر، ثم في تميم في سعد، ثم في كعب، ثم في بَهْدَلَة. قال: هذا أنت في أصلك؛ فكيف أنت في عشيرتك؟ قال: أنا أبـــو عشرة، وعمّ عشرة، وأخو عشرة، وخال عشرة! قال: فهذا أنت في عشيرتك، فكيف أنت في نفســـك؟ فقال: شاهدُ العين شاهدي. ثم قام فوضع قدمه في الأرض. وقال: من أزالها فله من الإبل مائة، فلم يقم إليه أحد، ولا تعاطى ذلك"[٣].

هـــنا نلاحـــظ أن النّعمان بن المنذر استغل فرصة وجود وجهاء العرب ليفضّل أحدهم على الآخر، وليعرف أيّهم أكرم نسبا؛ وأشرف حسباً، وأعزّ قبيلة. وهو بهذا يحدد مجالات المنافرة، ويقدم النفورة المادية المتمثلة في برديّ محرّق، والمعنوية باستحقاقه لأن يكون أكرم العرب؛ لأن النفورة هديّة مـــن ملك العرب ألا وهو النعمان بن المنذر. ومن خلال الحوار ينصّب النعمان نفسه حَكَماً مطالباً الأُحَيْمِر بن خلف بن بَهْدَلَة بالأدلة والبراهين التي تؤكد أحقيته من خلال حواره معه، فنقل بمجالات

---

(١) ديوان الأعشى: ١٨٥.

(٢) انظر: المصدر نفسه: ١٠٣و ١٠٧.

(٣) ابن عبد ربّه – العقد الفريد، ٣: ٢٩٦.

بُرديّ مُحَرِّق: مُحَرِّق الأكبر هو امرؤ القيس اللّخْمي أو عمرو بن هند، ويلقب بالمحرق أيضا يعني أن البردين لأحد أحداده. انظر: ابن رشيق – العمدة، ٢: ٩٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنافرة إلى مكانته في العشيرة. وأثبت له مكانته وثقته بنفسه، فوضع قدمه متحدياً أن تزال في مقابل أن يـــنال من يفعل ذلك مائة من الإبل، وهنا يحفّز الآخرين بأعطية مادية تمثل ثروة في ذلك الوقت، ليحركوا قدمه عن موضعها، فلم يقم إليه أحد منهم إقراراً بمكانته، وعجزهم عن تحديده.

ونقـــف هنا عند ما افتخر به الأُحَيْمِر ، فافتخاره بنسبه وشرف قبيلته هو روح المنافرة؛ لذا افتخر بكثرة عشيرته، ولكننا نلاحظ هنا أنه لم يحدد أشرافهم، ولم يذكر صفاتهم، واكتفى بعددهم. ووافـــق النّعمان بن المنذر الأُحَيْمِر بن بَهْدَلَة، حيث ختم هذا الموقف بوضع قدمه متحدياً أن يحركها أحد من العرب، فلم يحرّكْها أحد إقراراً بأحقيته في أنه أكرم العرب، وأشرفهم حسباً، وأعزّهم قبيلة.

وإذا كان الأُحَيْمِر قد اختار أن يضع قدمه متحدياً تحريكها؛ ليؤكد أن جميع من حضر مجلس الـــنّعمان في ذلـــك الوقت يقرّ له بالفضل والمكانة، وكرم النسب، فإن الناس في الجاهلية أقرّوا لهم وكرموهم، ويورد ابن عبد ربّه دليلاً عمليّاً واقعيّاً، مما يحدث في الحج في الجاهلية، حيث يقـــول: " وفيهـــم كـــانت الإفاضة في الجاهلية في عطارد بن عوف بن كعب بن سعد، ثم في آل كَرِب بن صفوان ابن عطارد. وكان إذا اجتمع الناس أيام الحجّ بمنى لم يبرح أحد يجوز حتى يجوز آل صفوان، ومن ورث ذلك عنهم، ثم يمرّ الناس أرسالاً، وفي ذلك يقول أَوْس بن تميم بن مَغْراء السَّعْدِي:

ما تَطْلُعِ الشَّمْسُ إلاّ عِنْـــد أَوَّلِنا ولا تَغِيبُ إلاّ عِنْد أخْـــــرَانـــا"[1]

- **الخبر الثاني:**

"قـــدم عـــلى النّعمان بن المنذر وفود ربيعة ومُضر بن نزار، وكان فيمن قدم عليه من وفود ربيعـــة، بِسْطام بن قَيْس[2] والحَوْفَزان بن شَرِيك البَكْرِيّان، وفيمن قدم من وفد مُضر من قَيْس عَيْـــلان عامر بن مالك، وعامرُبن الطُّفَيْل، ومن تميم قَيْس بن عاصم، والأَقْرَع بن حَابِس، فلما انتهوا إلى النعمان أكرمهم، وحباهم، وكان يتّخذ للوفود عند انصرافهم مجلساً: يَطْعَمون فيه معه ويشربون، وكان إذا وُضع الشّراب سُقي النّعمان، فمن بُدئ به على إثره، فهو أفضل الوفد. فلمّا

---

(١) ابن عبد ربّه - مصدر سابق، ٣: ٢٩٦

الإفاضة: هي الإجازة بالناس من عرفة عن نفرهم من منى. أرسال: أيّ جماعة جماعة. لا يبرحون: أي ما يبرحون. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة "فيض"و"رسل"و"روم".

(٢) هو أبو الصهباء بِسْطام بن قيس بن خالد بن عبدالله بن عمر بن الحارث بن ذهل بن شَيْبان، كان أشهر الفرسان وسيدهم، ويضرب به المثل في الفروسية، فيقال: " أفرس من بسطام "، قتله عاصم بن خليفة من بني ثعلبة يوم السقيفة. انظر: الجاحظ – البيان والتبيين، ١: ٢١؛ وابن عبـــدربه- العقـــد الفريد، ٣: ٣٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شرب النّعمان، قامت القَيْنَة تنظر إلى النّعمان من الذي يأمرها أن تسقيه وتُفضّله من الوفد، فنظر في وجهها ساعة، ثم أطرق، ثم رفع رأسه، وأنشأ يقول:

سَقّي وُفـــــودَك مِمّا كُنْتِ ساقِيَتي
وابْديْ بِكأْسِ ابْنِ ذي الجَدّيْنِ بِسْطامِ
أَغَرُّ يْمِيـــــــــهِ مِنْ شَيْبَانَ ذو أَنَفٍ
حامي الذّمارِ، وَعَـــنْ أَعْراضِها رامي
قد كان قَيْس بن مَسْعُـــــود ووالِدُه
تَبْدا الملـــــــوكُ بِهِمْ أَيَّامَ أَيّـــــامِ
فارْضَوا بِما فَعَلَ النُّعْمانُ في مُضَـــرٍ
وفي ربيعةَ مِنْ تَعْظيمِ أقْـــــــــوامِ
هُمُ الجَماجِمُ والأَذْنـــابُ غَيْـــــرُهُمُ
فارْضوا بذلك أو بُـــــــوؤوا بِإِرْغـــامِ

فقال عامر بن الطّفيل:

كانَ التَّبابِعُ في دَهْـــــــرٍ لَهُمْ سَلَفُ
وَابْنُ المُـــرارِ وَأَمْـــــلاكٌ عَلى الشّـــامِ
حَتّى انْتَهَى لِلُلْكُ مِنْ لَخْـــمٍ إلى مَلِكٍ
بَادي السِّنَانِ لِمَنْ لَمْ يَـــــــرْمِهِ رَامِ
أَنْـــــــــحَى علينا بَأَظْفَارٍ فَطَوَّقَنَا
طَـــــوْقَ الحَمَامِ بِإِنْعـــــــاسٍ وَإِرْغَامِ
إِنْ يُمْكِنِ اللهُ مِنْ دَهْرٍ تُســـــــاءُ بِهِ
نَتْرُكْـــكَ وَحْدَكَ تَدْعُو رَهْطَ بِسْـــــــطامِ
فانْظُرْ إذا الصَّيْـــدُ لَمْ يَحْمُوكَ مِنْ مُضَرٍ
هلْ فِي رَبِيعـــةَ إِنْ لَـــــــمْ تَدْعُنا حامِ؟؟

فأجابه بِسطام بن قيس، فقال:

لَعَمْري، لَئِنْ ضَـــجَّـــــتْ تَمِيمٌ وَعَامِرٌ
لَقَدْ كُنْتُ يَوْماً فِي حُلُوقِهِـــــــــمُ شَجَى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أَرُونِي كَمَسْعُودٍ وَقَيْسٍ وَخَـــــالِدٍ
وَعَمْرٍو وَعَبْدِ اللهِ ذِي البَاعِ والنَّدى
وَكَانُوا عَلَى أَفْنَاءِ بَكْرِ بْنِ وائِـــــلٍ
رَبِيعاً، إِذا مَا سَالَ سَائِلُهُمْ جَـــدَا

فَسِرْتُ عَلَى آثَارِهِمْ غَيْرَ تَـــــارِكٍ
وَصِيَّتَهُمْ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى المَدَى"[١]

تعـــددت وســـائل تكريم النّعمان بن المنذر لضيوفه من أشراف العرب ووجهائهم، فأحياناً يهـــدي بـــردين، وأحياناً أخرى يقيم قبة حمراء تقديراً لهم، وإكراماً مثلما فعل مع أحد ندمائه حين اســـتظرفه ونادمـــه[٢]، وهنا نجد أن التقدير والتكريم تمثل في اختيار من يُسْقَى بعد النّعمان، مما أوقع القيـــنة في حيْرة لا تعـــرف بمن تبدأ، حتى أجابها النّعمان شعراً مفضّلاً بِسْطام بن قَيْس. ويمكن أن نقـــول إن المـــنافرة أو شبه المنافرة هنا مقلوبة، تبدأ من المُنَفِّر الحكم، حيث فضّل بِسْطام بن قَيْس، والـــنفورة هنا تكريم بسطام بن قيس بشربه بعد النّعمان بن المنذر ملك العرب؛ مما أدّى إلى اعتراض عامر بن الطّفيل، لذا حذّر النّعمان بشكل مبطن بأنهم لن ينصروه ولن يساعدوه. ويجئ هذا الاعتراض شـــعراً للردّ على شعر النّعمان الذي دعا القينة إلى أن تسقي بسطام بعده، مسوّغا ذلك بكرم نسب بســـطام ابـــن قيس وقومه إضافة إلى حمايته للأعراض ودفاعه عن القبيله، وقد ورث عن آبائه المجد والســـؤدد، وهو يشبههم بالجماجم؛ كناية عن سمو قدرهم ومكانتهم بين القبائل، بينما يشبّه القبائل الأخرى بالأذناب.

ومكانة النعمان بن المنذر ملك العرب تجعله يفرض رأيه على ضيوفه، تاركاً لهم الرضا به عن طيب خاطر أو بإرغام، وهنا انبرى بسطام بن قيس للرّدّ على عامر بن الطفيل بأنه مصدر ضيق وقلق بين بني تميم وعامر بسبب قوة بأسه، معددا مآثر آبائه، فهم كرماء النسب، وأياديهم بيضاء تمتدّ بالخير والعطاء، لذا سار على آثارهم وطريقهم، مما أوصله إلى الغاية التي يتمنّاها كل كريم، ألا وهي تقدير النّعمان بن المنذر له، وتفضيله على غيره ممن حضر المجلس.

---

(١) ابن رشيق - العمدة، ٢: ٩٣٤، ١٩٣٦؛ ديوان عامر بن الطفيل: ٥٥.

(٢) الأصفهاني- الأغاني، ٩: ٥٦. الذّمار: الحرم والأهل وما يجب حمايته .

شَحَى: ما يعترض في حلق الانسان من عظم أو عود.انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " ذمر" و" شحا".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لعـــل الـــنّعمان بن المنذر أثار كلاّ من بسطام بن قيس وعامر بن الطّفيل؛ كي يدفعهما إلى التنافس على التقدير الذي سيمنحه لأفضل من حضر مجلسه، والحوار الذي دار شعراً بينهما لا بدّ أن يجـــري أولاً قـــبل أن يفضّل النّعمان أحدهما على الآخر، لكن الترتيب هنا يختلف عن شكل المنافرة المتعارف عليها، حيث تبدأ بحوار المتنافرين، وتنتهي بحكم المُنَفِّر، أما في هذا الخبر فينقضّ هذا الترتيب فيـــبدأ بالحُكْم ومن ثم حوار المتنافرين، إلاّ أن هذا لن يغير رأي النّعمان الذي فرضه عليهم عن طيب خاطر منهم أو غصباً.

وهنا لا بد أن نذكّر أنه قد عرف أن مجالس النّعمان لابد أن تتضمن نوعا من التكريم لأحد الوجهـــاء والأشـــراف، فما حدث متوقّع لدى المجلس، وليس شيئاً جديداً فاجأهم به. والنّعمان هنا ســـبب لإثـــارة شبه المنافرة هذه، وهو حكَم مُنفّر في الوقت ذاته. وقد قام كلا المتنافرين بالتفاخر، وحـــاول كل منهما أن يؤكد أنه أفضل من منافره، وإن جاء ذلك بعد حكم النّعمان. وهذا يذكّرنا بـــبعض المـــنافرات لدى الكُهّان حيث يعمدون إلى التنفير دون سماع المتنافريْن لعلمهم بالغيب كما يدّعون، بينما النّعمان بن المنذر يعتمد على معرفته بأنساب العرب وبيوتها وأخبارها وأيامها مما يدفعه للتفضـــيل ليعطـــي نفورته المعنوية بتكريم أحد الوجهاء وتقديره المتمثل في هذا الخبر بالشرب بعده، ومكان هذه المنافرة مجلس النّعمان، وزمانها زمن حكم النعمان بن المنذر للحيرة.

مما سبق نلاحظ أن أساس المنافرة قد تحقق، وهو الحكم لأفضل المتنافرين نسبا، وفي هذا الخبر ســـبق التحكـــيم التنافر، وكان سببا لاختلاف الطرفين، مما يعني أن التحكيم هنا سبب التنافر وليس نتيجته، كما وجدنا في المنافرات؛ ولهذا يمكن القول بأن هذا الخبر أقرب إلى المفاخرة منه إلى المنافرة، ولهذا نعدّه شبيها بالمنافرات.

- **الخبـــــر الثالث: وفود العرب على كسرى:**

ونقف عند وفود العرب على كسرى، فقد وفد إليه بعض أشراف العرب، منهم حُذَيفة بن بَـــدْر الفَزَاري، والأَشْعَث الكِنْدي، وبِسْطام الشَيْبَاني، وحاجِب بن زُرارَة التميمي، وقَيْس بن عاصم السَّعْدي.

ولعلّ أول سبب يجعلنا نقول إن هذا الخبر شبيه بالمنافرة هو مُثُول هذه الوفود مع النعمان بين يـــدي كســـرى، "ومن ذلك ما حكاه ابن الكَلْبِيّ قال: قال كسرى للنّعمان بن المنذر يوماً: هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة؟

قال: نعم.

قال: فبأي شيء؟

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال: من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء، ثم اتصل ذلك بكمال الرابع، فالبيت من قبيلته فيه.
قال: فاطلب ذلك.
فطلبه، فلم يُصبه إلا في آل حُذَيفة بن بَدْر بيت قَيْس بن غَيْلان، وآل حاجِب بن زُرارَة بيت تميم، وآلذي الجَدَّيْن بيت شَيْبَان، وآل الأشعث بن قَيْس بيت كِنْدَة. قال: فجمع هؤلاء الرّهط ومن تبعهم من عشائرهم، فأقعد لهم الحُكام العدول، فأقبل من كل قوم منهم شاعرهم، وقال لهم: ليتكلم كل رجل منكم بمآثر قومه، وفعالهم، وليقل شاعرهم فيصدق"[١].

يسأل كسرى عظيم فارس في هذا الخبر النعمان بن المنذر عن أفضل قبائل العرب وأشرفها، فيحدد النّعمان ذلك بوجود ثلاثة آباء متوالية رؤساء للقبيلة على أن يكتمل ذلك برئيس رابع للقبيلة يرث هذا الشّرف والمجد. وهذا ما يُعرف ببيوت العرب، وعنها يقول أبو عبيدة: "بيوت العرب ثلاثة: فبيت قَيْس في الجاهلية بنو فَزارَة، ومركزه بنو بَدْر، وبيت ربيعة بنو شَيْبَان، ومركزه ذو الجَدَّيْن، وبيت تميم بنو عبد الله بن دَارِم، ومركزه بنو زُرَارَة"[٢].

ولكننا نجد في هذا الخبر أن النعمان بن المنذر يضع الأشعث الكندي، وقيس بن عاصم السّعدي في وفود العرب على كسرى؛ لأنهم من بيوت العرب، لكن لا بد أن نقول إن رواية أبي عبيدة هي أكثر شهرة وتردّداً.

وبلغ اهتمام العرب بالنسب أن تتبعوا هذه البيوت، وما يحدث فيها، من ذلك انتقال "بيت قيس من آل عمرو بن الظَّرِب العَدْواني ثمّ في غَنِيٍّ في آل عمرِو بن يربوع ثم تحوّل إلى بني بَدْرٍ، وجاء الإسلام وهو فيهم" [٣]، إضافة إلى كثرة الأخبار التي رويت، والتي تبيّن أكثر القبائل عدداً وفرساناً، وأعلام كل قبيلة من حكامها وشعرائها وفرسانها.

إذاً استجاب النّعمان بن المنذر لطلب كسرى عظيم فارس، فجمع له هؤلاء الرؤساء، ولعلّ أهم ما يلفت النظر في هذا الخبر أمران: أولهما هو وجود الحكام العدول لاختيار أفضل بيوت العرب، وآخرهما طلب كسرى من هؤلاء الرؤساء والشعراء أن يقتصروا في حديثهم على مآثر أقوامهم مع التزامهم الصدق.

---

(١) الأصفهاني- الأغاني، ١٩: ١٨٤، وانظر: القلقشندي- صبح الأعشى، ١: ٤٣٢.
(٢) ابن رشيق- العمدة، ٢: ٨٨٢.
(٣) المصدر نفسه، ٢: ٨٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في هـــذا الخـــبر نلاحظ كثرة استخدام بعض المفردات لدى كل رئيس قبيلة مثل "الحسب، العزّ، المجد، الشّرف، والفخر"، إضافة إلى استخدام أفعل التفضيل مثل "أدركهم للثأر، أضربهم للملك الجبار، وأقومهم للحكم، أعزّ الناس، أكثر الناس عددا" وغير ذلك.

وهذا يدل على أن مجلس الوفود قد أعدّ للتنافر بين هؤلاء الوجهاء، وقد دعا لذلك شاعر من قوم الأشعث الكِنْدي قائلاً:

إذا قِسْتَ أَبْياتَ الـــــرِّجَالِ بِبَيْتِنا ... وَجَدْتَ لهُ فَضْلاً عَلى مَنْ يُفاخِرُ
فَمَنْ قالَ كَلاّ أَوْ أَتانا بِخُطّـــــــــة ... يُنافِرُنا يومًا فنحن نُخَـــاطِـــرُ
تعالوا فعـــــــــدّوا يَعْلَمِ الناسُ أَيُّنا ... لـــهُ الفضلُ فيما أَوْرَثَتْهُ الأَكابِرُ[1]

هـــنا ترد لفظة "ينافرنا"، وترد لفظة نخاطر، والمنافرة هي "مخاطرة" كما ذكرنا في التمهيد، وأساس المنافرة هو المحاكمة في النسب؛ لذا جرى هذا التفاخر بين أشراف قبائل العرب، قال الشاعر مؤكدا هذا المعنى "كي يعلم الناس أيّنا له الفضل فيما أورثته الأكابر" إضافة إلى الخلال الحميدة ومنها الشجاعة، والكرم، والعطاء. وهناك مآثر خاصة ببعض القبائل مثل: وراثة ملك كندة، وهو ما فخر به الأشعث الكندي، وقيس بن عاصم السّعدي الذي يفتخر مفضلاً قبيلته، حيث يقول:

فَمَنْ ذَا لِيَوْمِ الفَخْرِ يَـــعْدِلُ عَاصِماً
وَقَيْساً إِذَا مُـــدَّ الأَكُفُّ إِلَى العُلا
فَهَيْهَاتَ قَـــدْ أَعْيا الجَمِيـــعَ فِعَالُهمْ
وَفَاتُوا بِـــيَـــوْمِ الفَخْرِ مَسْعاةَ مَنْ سَعَى[2]

هنا يرفع الشاعر مكانة قبيلته ويستبعد أن يساويهم أحد في الشّرف والفعال، ويفضلهم على غيرهم. و نجد أوجهاً للشبه بين المنافرات وهذا الخبر فكلّ رئيس من هذه الوفود يحاول أن يقدم أدلة وبـــراهين عـــلى استحقاقه لأن يكون أفضل العرب، مبيناً مآثر قبيلته وفضائلها، مبرزا كرم النسب، ونلاحـــظ هنا أن الشعراء يشاركون أيضاً رئيس قبيلتهم، إضافة إلى حضور وجهاء القبيلة، وهذا ما يحدث في كثير من المنافرات، لكن ما هو دور الحكام العدول الذين ذكروا في بداية الخبر؟.

---

(١) الأصفهاني- الأغاني، ١٩: ١٨٧.

(٢) المصدر نفسه، ١٩: ١٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا نجـــد للحكام العدول ذكراً واضحا لدورهم في هذا الخبر، ولكن هذا الخبر ينتهي بأحد الأحكام التي قضى بها الحُكام في المنافرات وهو المساواة، وفي ذلك يقول كسرى عظيم فارس" ليس مـــنهم إلاّ ســـيّد يصلـــح لموضعه، فأثنى حباءهم"[١]، وتكريم كسرى لرؤساء القبائل هو نوع من التقدير لهم ولدورهم.

ممـــا سبق نلاحظ أن هذه الأخبار تتشابه فيما بينها في حدوثها في مجلس النعمان، عدا الخبر الأخـــير الـــذي اصطحب فيه النعمان وفود العرب إلى كسرى، ولكن لماذا لا نسمي هذه الأخبار منافرات؟

إنـــنا في الأخبار السابقة لا نجد أية مشتقات لمادة نفر عدا الخبر الثالث الذي حثّ فيه شاعر الأشـــعث الكندي رؤساء القبائل الأخرى على منافرته إن نازعوه في أيهم أكرم نسبا، وأعز نفرا، مما يـــدل على أن الخبر ليس منافرة، والقدماء ذكروا هذه الأخبار دون الإشارة إلى أنها منافرات، علاوة عـــلى أن هـــذه الأخبار لا تتشابه مع المنافرات في هيكلها العام الذي توقفنا عنده في التمهيد، وإن تشابهت هذه الأخبار مع المنافرات فيما يأتي:

١. أسباب هذه الأخبار تكاد تنحصر في تنافس رؤساء القبائل واشرافها على نيل تقدير النعمان بن المنذر، خاصة وأنه يمنح هبته أو أعطيته لأفضلهم نسبا وأعزعم نفرا، وهو سبب رئيسي من أسباب المنافرات.
٢. تتشابه هذه الأخبار مع المنافرات في أنها تقوم على التفاخر بمجد الآباء والأجداد ومآثر القبيلة.
٣. النعمان يقوم بدور الحكم في هذه المنافرات، فيحكم لأفضل رؤساء القبائل، ثم يترك لهم مجالا للحوار فيما بينهم، وللتنافس على أيهم أفضل، أما المنافرات فإنها تقوم على التنافس بين شخصين محددين، فالأخبار هنا تتميز بالانفتاح، أما المنافرة فإنها تخص شخصيتين، ولا تتيح المشاركة لثالث.
٤. إن الـــنفورة في هذه الأخبار تقدم من قبل النعمان بن المنذر، وهو الحكم في الوقت نفسه، أما في المنافرات، فالنفورة تقدم من المتنافرين، وتعطى النفورة لكلّ من النافر الغالب والحكم.

(١) الأصفهاني- الأغاني، ١٩: ١٨٧. حباء: عطاء. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة "حبا".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥. ثم أن عناصر المنافرة متوافرة في هذه الأخبار، لكنّ ترتيبها يختلف عمّا هي عليه في المنافرات، حيث يبدأ النعمان بالتنفير ثم يجري الحوار بين المتنافرين ليثبت كل منهم عـــلى أنه الأفضل، ولعل ما يسوّغ ذلك هو معرفة النعمان ببيوت العرب وأنسابها وأيامهـــا، عـــلى عكس المنافرات التي تبدأ بالحوار والتفاخر بين المتنافرين، ومن ثم تنتهي بالتنفير أي بحكم المنفّر.

٦. ثم أننا نلاحظ في الأخبار السابقة أن النعمان بن المنذر يفرض رأيه على المتفاخرين مســـتغلا سلطته دون اهتمام بردة فعلهم، ومنهم عامر ابن الطفيل كما مر في الخبر الثاني الذي رد على النعمان شعرا بأنه لن يناصره هو وقومه، لأنه فضّل عليهم قيس ابـــن بســـطام، أما في المنافرات ففرض الرّأي ينبع أساسا من اختيار الحكم من قبل المتنافرين، وبالتالي فإنهما يلتزمان بحُكمه مهما كان، وسلطته تنبع من مكانته الدينية إن كان كاهنا، أو من مكانته الاجتماعية إن كان حكيما، إضافة إلى وضع النفورة بـــأيدي أشـــخاص محـــايدين في بعض المنافرات، أو بوضع رهائن لضمان الوفاء بالنفورة.

- **الخبـــــر الرابع:**

ينفرد البيهقي بهذا الخبر فلا نجده عند غيره حيث ذكر أنه" تنافر رجلان من بني أسد إلى هَرِم بن سِنان المُريّ في الشّرّ، وعنده الحطيئة فقال أحدهما: إني بقيت زماناً وأنا أرى أني شرّ الناس وألأمهم حتى أتاني هذا، فزعم أنه شرّ مني، فقال هَرِم: أخبراني عنكما، فقال أحدهما: لم يمرّ بي أحد إلا اغتبته،ولا ائتمني إلا خنته، ولا سألني إلا منعته. وقال الآخر: أما أنا فأبطر الناس في الرخاء، وأجبنهم في اللقاء، وأقلهم حياء، وأمنعهم خباء. فقال هَرِم : وأبيكما لقد ترددتما في الشرّ، ولكن أخبركما بمن هو شرّ منكما ! قالا: ما ولدت ذاك النساء! قال: بلى، هذا الحطيئة هجا أباه وأمّه ونفسه، ومن أعطاه، ومن أحسن إليه"[1].

الخبر السابق يتفق مع ما يجري في المنافرات في أمور هي:

١. الاختلاف بين المتنافرين.
٢. اللجوء إلى الحَكَم، وهو في الخبر هَرِم بن سِنان الذي اشتهر بعدله وحكمته.

(١) البيهقي- المحاسن والمساوئ: ٢٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣. ذكر لفظة " تنافر".

ولكن الخبر السابق يختلف في أمور جوهرية منها:

١. أساس التنافر في هذا الخبر يختلف عن أخبار المنافرات؛ لأنه يعتمد على التنافس بين المتـــنافرين في الشـــرّ،ومن يبلغ أقصى غاية فيه فهو النافر المنتصر لكن في أخبار المنافرات الأساس هو التفاخر بالآباء والأجداد ومآثرهم، وإذا سلمنا بأنها منافرة فهي من نوع نادر.

٢. الحَكَـــم لم يفصـــل بين المتنافرين بأحد الأحكام المعروفة في المنافرات بل ترك أمر منافرتهما للحديث عن الحطيئة.

٣. المتـــنافران غير معروفين، واكتفي البيهقي بكلمة" رجلان"، فلا نستطيع بهذا تتبع أخبارهما لإكمال بقية الخبر، ومعرفة ما جرى بعد حديث الحَكَم عن الحطيئة.

٤. الخبر مهتم بالحديث عن الحطيئة، وما قاله في هجاء أبيه وأمه ونفسه.

٥. الخبر ورد في كتاب البيهقي، ولم نعثر عليه عند غيره.

لعلّ هذا الخبر قريب من المنافرة بالمعنى اللّغوي وهو المحاكمة، وليس بالمعنى الاصطلاحي وهو المحاكمة في الحسب والنسب، وربما يكون أقرب إلى النوادر والطرائف.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث:

أثر المنافرات في الأدب الجاهلي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ساهم الشعراء والخطباء والكهّان في المنافرات، فالشعراء والخطباء ساندوا المتنافرين بالكلمة المؤثرة لتبيين مواقفهم تجاه هذه المنافرات، وردود فعلهم على التنفير، في حين قام الكهّان بدور الحكّام في بعض المنافرات، خاصة لدى قبيلة قريش كما سبق أن ذكرنا، بينما قام الخطباء بدور الحكّام الحكماء الحريصين على الإصلاح بين المتنافرين.

ويمكن أن نتطرق إلى أثر المنافرات في الشعر أولا ثم النثر من خلال دراسة المضمون واللغة والتصوير والإيقاع. ولقد رأينا أن نتناول الشعر أولا ثم النثر منعا لتكرار الشواهد، على أن نذكر في نهاية الفصل الخصائص الفنية العامة في أدب المنافرات.

أولا: الشعر

أ – المُقَطَّعات

يقصد بالمُقَطَّعات لغة هو " ما تحلّل إليه [الشعر]، وتركّب عنه من أجزائه التي يسمّيها عروضيو العرب الأسباب والأوتاد...، للقطعات الثياب القصار، والأبيات القصار، وكلّ قصير مُقَطَّع ومُتَقَطِّع "[١]. فالمقصود بالمُقَطَّعات حسب المدونة اللغوية السابقة هو الشعر الذي قلّت أبياته. وميّز ابن رشيق بين المُقَطَّعات والقصائد أو القطع والطّوال حسب تعبيره، ونقل أقوالا ترى أن الأبيات إذا بلغت سبعا سمّيت قصيدة، وأن هناك من يرى أنها لابد أن تتجاوز عشرة أبيات ولو ببيت[٢]، وهذا الرأي الأخير سأعتمد عليه في هذه الدراسة؛ لأن المُقَطَّعات جميعها تقريبا لها الخصائص ذاتها، فدرسناها معا لأسباب فنية.

وعمدنا إلى تقسيم الشعر في المنافرات إلى المُقَطَّعات والقصائد؛ لكثرة ما قيل في المنافرات من مُقَطَّعات، ولما بينها من أوجه تشابه تتمثل في قلة الأبيات، فمعظمها ما بين أربعة أبيات أو خمسة، وأغلبها جاء على بحر الرجز، ولعل ذلك يعود إلى أنها تقال في مكان المنافرات، مما جعل الارتجال يغلب على أبياتها، وأكثر قائلي المُقَطَّعات هم من غير المشهورين من الشعراء، نستثني منهم لبيد بن ربيعة والحطيئة، وقد تنسب المُقَطَّعات إلى أشخاص غير معروفين تماما، فيقال مثلاً رجل من بني

---

(١) انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " قطع " .

(٢) انظر: ابن رشيق – العمدة، ١: ٣٤٦ وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مَخْزُوم. أما القصائد فعمدنا إلى تحليلها معا؛ لما تمتاز به هذه القصائد من خصائص مشتركة منها ثنائية المدح والهجاء، مع وجود بعض الاختلافات فيما بينها، ويتضح ذلك في موقف الشعراء بصورة جلية.

١. المضمون:

إن الناظر في المُقَطّعات يجد أنها تتشكل من عدّة أفكار بارزة، وهي:

- **حثّ المُنَفّر الحَكَم على التنفير:**

ومما جاء في حثّ المنفّر على التنفير رجز قاله رجل من بني مَخْزُوم داعياً فيه الكاهن سَطِيح الذِّئْبِيّ إلى التعجيل بالحكم (الرجز):

إليكَ حِينًا يا سَطِيحُ نَعْمِـــــد
يَقُـــودُكَ جَمْعاً إِلَيْكَ الفَـــدْفَد
لَسْنا إلى غَيْـــرِكَ حقا نَقْصِـــد
ما إنْ لنا عَنْكَ هُديتَ عُنْـــدَد
فَعَجِّل الحُـــــكْمَ ولا تَـــرَدَّد[1]

تكشف لنا هذه الأبيات أن كثيرا من العرب قد لجؤوا إلى الكهّان، فهم يقصدونهم ليحكموا بينهم، كما تبين الأبيات السابقة تحمّل بني مَخْزُوم الصّعاب من أجل الوصول إلى الكاهن سَطِيح للتحكيم عنده دون غيره من الكهّان، مطالبينه بالتعجيل في الحكم وعدم التردد.

ويقابل الدعوة في تعجيل الحكم التباطو من قبل الحكّام، بل الخوف أحيانا منه، خاصة في المنافرات التي تكون بين بطون القبيلة الواحدة؛ لأن الحكّام والحكماء منهم خاصة يهابون ذلك؛ لخوفهم من زرع الشر في القبيلة الواحدة، وخير مـــثال على ذلك ما جرى في منافرة عَلْقَمَة بن عُلاثَة و عَامِر بن الطُّفَيْل، فقد حوّل حكّام قريش المتنافرَيْن إلى غيرهم من الحكام، رغم أن العرب كانت تتحاكم إلى حكام قريش لكنّهم خافوا على صلات القربى بين علقمة بن علاثة وعَامِر بن الطُّفَيْل، مما دفع بمروان بن سُرَاقَة بن قتادة بن عمرو بن الأَحْوَص إلى قول (الرجز):

---

(١) محمد بن حبيب – المنمق: ١١٣. الفَدْفَد: الفلاة الخالية والأرض الغليظة ذات الحصى.عُنْدَد: الحيلة والمحيص. انظر:ابن منظور– لسان العرب، مادة"فدد"، و"عند".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يالَ قُرَيْشٍ بَيِّنوا الكَلامَـــــــا
إنّا رَضِينا مِنْكُـــــمُ الأَحْكامَا
فَبيِّنوا إنْ كُنْتُمُ حُكّـــــامـــا
كان أَبُونا لَهُـــمُ إمَـامَـــــا
وَعَبْـــدُ عَمْـــرو مَنَعَ الفِئامَا
في يَوْمِ فَـــخْـــرٍ مُعْلَمٍ إعْلامَا
وَدَعْلَـــجٌ أَقْدَمَهُ إقْـــدَامَا
لَوْلا الـــذي أَحْشَمَهُـــمْ إحْشَامَا
لاتَّخَذْتُهُـــمْ مَذْحِـــجٌ نعاما[1]

• القسم والتَّنفير بالشِّعر:

لجأ أكثر الكهّان إلى القسم بمظاهر الطبيعة والتَّنفير من خلال الشعر، ومثال ذلك منافرة عبد المُطّلب بن هاشم وقومه بالشعر قائلا (الرجز):

أَمَا وَرِبِّ القُلْصِ الرَّوَاسِـــم ... يَحْمِلْنَ أَزْوالاً بِقَيٍّ طاسِـــــم
إنّ سَناءَ المَجْـــدِ وَالمَكارِم ... في شَيْبَةِ الحَمْدِ النَّدى ابْن هاشِم

فقال عبد المطلب: اقضِ بين قومي وقومه، أيهم أفضل، فقال:

إنَّ مَقَالِي فَاسْمَعُـــوا شَهَادَة ... أَنَّ بَنِي النَّضْرِ كِرامٌ سَادَة
مِنْ مُضَرِ الحَمْرَاءِ في القِلادَة ... أَهْلُ سَناءٍ وَمُلُـــوكٌ قادَة
زِيارَةُ البَيْتِ لَهُمْ عِبَادَة"[2]

فكما نلاحظ فإن الكاهن ينفّر عبد المطلب بن هاشم على بني ثَقيف، حيث أقسم بربّ الإبل ذات القوائم الطويلة التي تحمل الشجعان في ليلة شديدة الظّلمة مجتازة بهم القفر من الأراضي، ومن ثمّ نفّر الكاهن شَيْبَة الحمد وهو لقب عبد المطلب بن هاشم؛ لأنه قد حظي بالمجد والمكارم.

---

(١) الأصفهاني- الأغاني، ١٦: ٢٨٧. الفِئام: الجماعات من الناس، وتعني الهودج أيضا. دَعْلَج: فرس عبدعمرو بن شَرَيح، واسم فرس عامر بن الطُّفَيل أيضا. أَحْشَمَهم: أكرههم وأحوجهم. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة "فأم" و" حشم" و" دعلج".

(٢) محمد بن حبيب- المنمق: ١٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن تنفير الكاهن لعبد المطلب بن هاشم على بني ثَقيف دفع بعبد المطلب إلى طلب التحكيم بين قومه وبني ثقيف، فردّ عليه الكاهن أن حكمه شهادة لبني مُضَر مَعَدّدًا بعدها مآثر قريش ومناقبهم، فهم كرام سادة، وملوك قادة، والقائمون على رعاية البيت الحرام، وسقاية الحجيج، وغيرها من المآثر التي تعلمها القبائل جميعها.

وهناك مثال آخر في المضمون نفسه في منافرة مالك بن عُمَيْلَة وعُمَيْرَة بن هاجَر الخُزاعيّ، وفيها نَفّر الكاهن عُزَّى سَلِمَة العُـذْرِيّ عُمَيْرَة بن هاجَر الخُزاعيّ على مالك بن عُمَيْلَة، فابتدأ تَنْفيره بالقسم قائلا (الرجز):

أَحْلِفُ بِالمَـــرْوَةِ وَالمَشَاعِرِ
وَمَنْحَرِ البُدْنِ لـــدى الحَزاوِرِ
وَكُلّ مَنْ حَجَّ عَلَى عُذافِرِ
مِنْ بَيْنِ مَطفورٍ وَبَـيْن نَاشِرِ
يُـــؤمّ بَيْتَ اللهِ ذِي السِّتائِرِ
أنّ سَناء المَجْدِ وَالمَفَـــــاخِرِ
لَفِي الفَتَى عُمَيْرَةِ بنِ هَاجِرِ
فَارْجِـــعْ أَخا الدَّارِ بِجَدٍّ عَاثِرِ[1]

بدأ الكاهن في الأبيات السابقة بالقسم بالأماكن المقدّسة من المروة والمشاعر، ومَنْحَر البدن وكل من حجّ على عذافر، وكل من أمّ بيت الله، وهذا القسم يضفي شيئا من القدسية لِتَنْفيره عُمَيْرَة ابن هاجر الذي حاز المجد والمفاخر، ثم دعا الكاهن مالك بن عُمَيْلة إلى العودة إلى دياره لحظّه التعس والعاثر.

- **موقف المُتَنافرَيْن:**

تتباين ردود أفعال المُتَنافِرَيْن بعد التَّنْفير، وتظهر مواقفهما جلّية في الشعر، فالنّافر المنتصر قد يقول شعرا ابتهاجا بتنْفيره، وكما فعل عائذ بن عبدالله بن عمر بن مَخْزُوم على الحَارِث بن أَسَد بن عبد العُزَّى، فقال عائذ (البسيط) :

---

(١) محمد بن حبيب- المنمق: ١١٠- ١١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا جِئتُهُمْ فَلاًّ، وأُتْرُكَ صُحْبَتِي
نَهْبًا، وَلَـــمْ تَغْدُرْ بِقائِمِهِ يَدِي[١]

يفتخر حاتم الطائي بأنه نحر خيول بني لَأْم، وأن نجادهم لَم يتم، وقد أطعم النّاس، وسقاهم خمرا منتصرا بذلك على بني لَأْم، ويتضح سبب منافرة حاتم الطائي وبني لَأْم حيث رفضوا إجارته للحَكَم بن أبي العَاص بن أُمَيَّة بن عَبْد شَمْس، وحاولوا أن يصنعوا به كما صنعوا بعامر بن جُوَيْن ففضحوه، ويؤكد حاتم الطائي ما يؤمن به من أخلاق وأهمّها أنه لا يخذل من يستجير به، وأنه لا يهرب منهزما تاركا أصحابه.

وإذا كا ن الحارث بن أَسَد قد حزن وندم على منافرة عائذ بن عبد الله فإن مالك بن عُمَيْلة ندم حتى تمنى الموت ؛ لأن المَنْفور المهزوم قد خُذِل أمام رؤساء القبائل ووجهائها، وجلب الخزي له ولقبيلته، فالعربي في الجاهلية كان يتذاكر المنافرات والمفاخرات التي وقعت بين قومه والقبائل الأخرى؛ لأنها مصدر عزة وفخر بينهم. وقد قال مالك بن عُمَيْلة معبرا عما تجيش به نفسه مـــن أحاسيـــــــس (الطويل):

شَآنِيَ لَمَّا أَنْجَـــرَيْتُ ابْنَ هَاجِرٍ
فَأَشْمَتُّ أَعْدَائِي وَأُخْرِجْتُ مِنْ مَالِي
فَيَالَيْتَنِي مِـــنْ قَـــبْلُ حِلّي وَرِحْلَتِي
إِلَى الكاهِنِ الطّاغُوتِ قَطَّعْتُ أَوْصَالِي
بِعَضْبِ حُسَامٍ ذِي شَقَائِقَ مُرْهَفٍ
وَلَمْ يَـــــكُ سَرَّاءٌ عُمَيْرَةُ مِنْ مَالِي

ضَلَلْتُ كَمَا ضَلَّتْ بِلَيْلٍ فَلاَ تَـــرَى
قُلاَمَـــــةُ ظُفْرٍ فِي مُعَرَّسِ نَـــــزَّالِ[٢]

(١) ديوان حاتم الطائي: ٧٦. مُرْند: بخيل ولئيم. الأصَيْد: الذي لا يستطيع الالتفات. العَذَوَّر: السيء الخلق. العجان: الدبر والاست. المُسَنَّد: الدهر. ثُعَل:أبوحي من طيء. فَلّا: منهزما. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة "زند"و"صيد"و"عذر"و"عجن"و"سند"و"ثعل"و"فلل".

(٢) محمد بن حبيب – المنمق: ١١١. مُعَرَّس: النزول آخر الليل. قُلامة: ما قُطِع من الظفر. شآني: سبقني. عَضْب: سيف قاطع.سرّاء: النعمة والرخاء. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " عرس"و"قلم"و"شأي"و"عضب"و"سري".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يبين مالك بن عُمَيْلَة في الأبيات السابقة الأسباب التي تدعوه لتمني الموت لا بعد المُنافرة ، وإنما قبل رحيله إلى الكاهن؛ لأنه شَمت به أعداءه، وخسر ماله الذي سيجني منه عُمَيْرة بن هاجر الثراء، لذا يشعر مالك بالضياع والضلال.

ومن مواقف المُتنافرين أ يضا ما يدور من حوار بالشعر، وهذا ما جرى في منافرة عُيَيْنَة بن حِصْن وزَبَّان بن سَيَّار الفَزاري، حيث نفّرت الكاهنة زَبَّانا على عُيَيْنَة، مما دفع بالأخير إلى رفض هذا الحكم قائلا: "أنا أفضل منك نفسًا وأبًا، ولكنها جارت، فقال زَبَّان (الوافر):

أَتَثْلِبُ حُـــــرَّةً بَقِيَتْ يَدَاها
عُيَيْنَةُ تَمْنَعُ اللَّحْواءَ تَفْري
شَرِبْتَ الجَدَ مِنْ غَطَفان حَتّى
تُفاخِرُنِي بِزَيْنَةَ أُمِّ عَـــمْرِو
أَلَمّا تَعْلَـــــــمي أَنِّي كَرِيمٌ
أَغَرَّ لِصُلْبِ سَيَّارِ بن عَمرِو "[1]

يرد زَبّان بن سَيَّار على عُيَيْنَة بن حِصْن شعرا، فيرفض انْتساب عُيَيْنَة إلى ابن الجَوْن الكِنْدي، فهذا افتراء؛ لأن عُيَيْنَة بن حِصْن لابد أن يفتخر بعمرو بن جُؤَيَّة بن لُوْذان، وهو من رؤساء غَطَفان، ويتباهى زَبَّان بأنه كريم النسب، من صلب سَيَّار بن عمرو من بني مازِن. وردّ عيينة على زبّان شعرا، نافيا فيه انتساب زَبَّان إلى جابر من بني مازِن، وناسبا إياه إلى بني دُودان ، وهم من بطون قبيلة أَسْد، وفي ذلك يقول عُيَيْنة بن حِصْن (الكامل):

إِنَّا لَنَعْلَمُ مَا أَبُـــــــوكَ بِجابِرٍ
فَالْحَقْ بِأَهْلِكَ مِنْ بَنِي دُودَانِ
حَالَتْ بِكُم أَمَةٌ لِنَضْلَةَ وابْنِهِ
فَسَقَـــتْ بِـــــزَيْنَتِها أَبَا زَبَّانِ[2]

فنلاحظ مما سبق أن المُتَنافِرَيْن يشكك كلّ منهما في نسب الآخر، وبالتالي فإنهما شككا في أساس المنافرة، وهو كرم النسب، والكاهنة قد نفّرت زّبانا؛ لأن عُيَيْنة لم يفتخر بأصله من غَطَفان، وإنما افتخر لنسب ليس له.

---

(١) أبوعبيدة – الديباج: ٩٧. اللَّحْواء: الكلام الباطل. تَفْري: تكذب. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " لحا"و"فرا".
(٢) أبوعبيدة – مصدر سابق: ٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

• موقف المناصرين للمتنافر:

قد يحاول بعض المناصرين للمتنافر أن يزيد في عدد المؤيدين له؛ ليزيد من قوة المُتَنافِر حضورا، فوجود الوجهاء والرؤساء مع منافر ما قد يكون مدعاة للحكم في تنفيره؛ وممن حاول جمع المناصرين للمتنافر عمرو بن الخُثارِم الذي قا ل مناديا أحد بني جُشَم بن عامر بن قُدَاد في منافرة جرير بن عبدالله البَجَلِيّ وخالد بن أَرْطَاة الكَلْبِيّ (الرجز):

لا يُغْلَب اليَـــــــوْمَ فَتىً والاكُما
يا ابْنَي نِـــــــزارٍ انْصُرا أَخاكُما
إنَّ أَبِي وَجَـدتُـــــــــهُ أباكُما
...
قَـــدْ فازَ يومَ الفخْـــرِ مَنْ دَعَاكُمَا
ولا يَعُـــــــــدُّ أَحَدٌ حَصاكُما
وَإِنْ بَنَـــــوا لَمْ يُدْرِكوا بُناكما
مَجْـــــــــدا بناه لكما أباكما
ذَاكَ وَمَـــــــنْ يَنْصُرْهُ مِثْلاكُمَا
يَـــــوْمًا إذا ما سُعِّرَتْ نَارَكُما[1]

ولم يكتفِ عمرو بن الخُثارِم البَجلِيّ بجمع المناصرين فقط، وإنما حاول أن يُؤثر على الحكم المُنَفِّر في هذه المنافرة، وهو الأَقْرَع بن حَابِس مستغلا القرابة بين بَجِيلة ونزار بالمُتَنافِر، ومما قاله في هذا المضمون (الرجز):

يَا أَقْـــرَعُ بنَ حابِسٍ يا أَقْرَعُ
إنِّي أَخـــوكَ فَانْظُرَنْ ما تَصْنَعُ
إنَّـــكَ إنْ يُصْرَعْ أَخوكَ تُصْرَعُ
إنِّي أَنَا الدَّاعِي نِزَارًا فَاسْمَعُوا[2]

يدعو عمرو بن الـــخُـــثارِم البَجلِيّ الأَقْرَع بن حَابِس إلى تنفير جرير بن عبد الله البَجَلِيّ بسبب القرابة بين قبيلة بَجِيلَة ونزار، وقد سبق وأن ذكرنا ذلك، ونجد تفصيلا لذلك في كتاب فُرحَة الأَدِيب[3].

---

(١) الأسود الغندجاني – فرحة الأديب: ١١٠.
(٢) المصدر نفسه: ١٠٦.
(٣) المصدر نفسه: ١٠٦و ١١٠ – ١١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهناك من كره المنافرات، وما تجرّ إليه من مخاطر خاصة إن كان المتنافران من القبيلة نفسها، مثل منافرة عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعَامِر بن الطُّفَيْل حيث كره منافرتهما عمهما عامر بن مالك أبو بَرَاء، الذي لم يخرج في المنافرة، وقد جاء في شعره تسجيل لهذا الموقف (الوافر):

أَأُومَـــرُ أَنْ أَسُبَّ أَبَا شُرَيْحٍ
وَلا وَاللّـــهِ أَفْعَـــلُ مَا حَيِيتُ
وَلا أُهْـــدِي إِلى هَرِمٍ لِقاحًا
فَيُحْيِي بَعْد ذلك أَوْ يُمِيتُ
أُ كَلَّفُ سَعْيَ لُقْمَانَ بنِ عادٍ
فَيَا لأبِي شُـــرَيْحٍ ما لَقِيتُ[1]

رفض عامر بن مالك المشاركة في المنافرة بتأييد ابن أخيه عَامِر بن الطُّفَيْل، فالمنافرة تقتضي أن يستخدم المنافِر الوسائل كلها لينتصر على منافره، ومن هذه الوسائل إبراز مناقب المنافر ومثالب خصمه، وقد يدفع هذا المتنافر وأنصاره إلى سبّ المتنافر الآخر، وهذا ما رفضه عامر بن مالك؛ حتى لا يسبّ أبا شُرَيْح، وهو الأَحْوص بن جعفر بن كلاب، على خلاف الأعشى الذي هجا عَلْقَمَة بن عُلاثَة هجاء مقذعا وفاحشا في بعض الأبيات.

رفض عامر بن مالك المشاركة في النّفورة التي ستعطى إلى هَرِم بن قُطْبَة الذي حكم في هذه المنافرة ، والخسارة المادية المتمثلة في النفورة تقابلها خسارة معنوية تتمثل في خزي القبيلة أمام القبائل الأخرى، فأي انتصار لعَلْقَمَة أو عامر هو في حقيقته خذلان للقبيلة بتصدع فروعها وبطونها؛ لأنها ستؤدي إلى تنافر القلوب واختلافها، مما قد يثير المناوشات والحروب فيما بينها لأسباب – أحيانا لا تستحق – لكنّ النفوس مستعدّة لذلك بسبب تنافرها واختلافها.

وقف لبيد بن ربيعة مناصرا لعَامِر بن الطُّفَيْل، ومفضلا إياه على عَلْقَمَة بن عُلاثَة دون أن يزج بنفسه في شيء يندم عليه مثل سب أعمامه لذا رفض أن يجاري السَّنْدَرِيّ الذي أنشد أبياتا لقُحافَة بن عَوْف بن الأَحْوَص، ومنها (الرجز):

أَنْتُمْ هزلْتُمْ عامِرَ بنَ مَالِكِ
فِي شَتَوَاتِ مُضَرِ الهَوالِكِ

(١) الأصفهاني – الأغاني، ١٦: ٢٨٨. اللِّقاح: ذوات اللبن من النوق، مفردها لَقُوح ولَقْحَة. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " لقح " .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يا شَرَّ أَحْياءٍ وشَرَّ هَالِكِ[١]

فالقائل قُحَافَة بن عَوْف يرجع ضعف قوة عامر بن مالك وهو سيد بني عامر إلى بني مالك، ووصفهم بشرِّ الأحياءِ، وشرِّ الهالكين، وأنشد السَّنْدَرِيّ أبياتا حين سئل من قائل الأبيات السابقة مجيبا بالشعر (الرجز):

أنا لِمَنْ أَنْكَرَ صَوْتِي السَّنْدَرِيّ
أنا الفَتى الجَعْدُ الطَّويلُ الجَعْفَرِيّ
مِـــــنْ وَلَدِ الأَحْوصِ أَخْوالِي غَنِيّ[٢]

فكما نرى فالسَّنْدَرِيّ يردّ على من أنكر صوته بأنه الفتى القوي الطويل، وبأنه جعْفَرِيّ من ولد الأَحْوَص، وأن أخواله من غَنِيّ، ولعله ذكر أخواله وأنه من ولد الأَحْوص في البيت ذاته، حتى يفتخر بأخواله إن انتقد بأن أمَّه أَمَة لشُرَيْح بن الأَحْوَص.

وقد حثّ بنو عامر – قوم لبيد بن ربيعة – لبيدا على قول الشعر، فأجاب لبيد قائلا (الطويل):

وَلَمَّا دَعَانِي عَامِرٌ لِأَسُبَّهُمْ
أَبِيتُ وَإِنْ كَانِ ابْنُ عَيْسَاءَ ظَالِما
لِكَيْمَا يَكُونَ السَّنْدَرِيُّ نَدِيدَتِي
وَ أَجْعَلُ أَقْوَامًا عُمُومًا عَمَاعِما
وَأَنْبُشَ مِنْ تَحْت القُبورِ أُبُوَّةً
كِرَامًا هُمُ شَدُّوا عَلَيَّ التَّمَائِمَا
لَعِبْتُ عَلَى أَكْتَافِهِمْ وَحُجُورِهِمْ
وَلِيدًا وَسَمَّوْنِي مُفِيدًا وَعَاصِمَا
بَلَى:أَيُّنَا مَا كَانَ شَرًّا لِمَالِكٍ
فَلاَ زَالَ فِي الدُّنْيَا مَلُومًا وَلاَئِمَا[٣]

---

(١) الأصفهاني – الأغاني، ١٦: ٢٨٨.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة نفسها. الجَعْد: القوي. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " جعد ".

(٣) ديوان لبيد بن ربيعة: ٢٨٦. التمائم: مفردها تميمة، وهي خرزات توضع للأطفال لحمايتهم من العين. انظر: ابن منظور – مصدر سابق، مادة " تمم".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في هذه الأبيات يسوّغ لبيد بن ربيعة سبب عدم سبّه لعمّه رغم أن عامراً قد دعاه إلى ذلك؛ كي لا يجاري السَّنْدَرِيّ بن عَيْساء في سبّه، فيصبحا ندّين متشابهين، وهو لا ينكر فضل أعمامه الذين لعب على أكتافهم، وحجورهم، ولقّبوه بالمفيد والعاصم، وفي البيت الأخير ردّ على قُحافَة بن الأَحْوَص مؤكدا أنّ من كان منهم شرّا لمالك سيظلّ ملوما ولائما.

ولقد ناصر لبيد بن ربيعة عَامِر بن الطُّفَيْل بنهجه الهادئ الذي يراعي أواصر القربى، فلم تدفعه المناصرة إلى السبّ والإقذاع في الهجاء، لكنّه يؤكد على أن عَامِر بن الطُّفَيْل هو الغالب في المنافرة، وأن عَلْقَمَة بن عُلاثَة سيهزم، وفي هذا يقول (الرجز) :

إِنِّي امْــرُؤٌ مِنْ مَالِكِ بن جَعْفَرَ
عَلْقَـــمَ قَدْ نَافَرْتَ غَيْرَ مُنَفر
نَافَرْتَ سَقْبًا مِنْ سِقَابِ العَرْعَرِ[1]

يؤكد لبيد بن ربيعة على نسبه، مبينا لعلقمة نتيجة المنافرة كما يراها لبيد؛ لأن عَلْقَمَة ينافر شخصا مشهورا بارزا، ولقد ردّ قُحَافة بنالأَحْــوَص عمّ عَلْقَمَة بن عُلاثَة على لبيد بن ربيعة فقال (الرجز):

نَهْنِهْ إِلَيْكَ الشِّعْــــرَ يَا لَبِيدُ
وَاصْدُدْ فَقَدْ يَنْفَعُكَ الصُّدُودُ
سَادَ أَبُونَا قَبْلَ أَنْ تَسُــودُوا
سُؤْدُدُكُـــمْ مُطَرَّفٌ زَهِيدُ[2]

هذه الأبيات توضح أن قُحافة بن عَوْف رفض حكم لبيد بن ربيعة ورأيه بحتمية انتصار عَامِر بن الطُّفَيْل، وطلب منه أن يكف عن هذا الشعر، وأن يدع هذا الأمر فقد ينفعه تركه، مؤكدا في الوقت ذاته حقّ علقمة؛ لأنه من بني الأحوص الذين سادوا قبل بني مالك، وسؤدد بني مالك هو حديث جديد، ولا يداني سؤدد بني الأحوص القديم الأصيل، ولقد وضّح جانبا من جوانب سؤدد بني الأَحْــــــوَص في الأبيات الآتية (الرجز):

---

(١) ديوان لبيد بن ربيعة: ٣٤٣. السَّقب: الطويل من كل شيء، ويقال للغصن الطويل الغليظ. " مادة سقب "العَرْعَر: شجر عظيم له ثمر مثل الثّبق، انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " عرر " .

(٢) الأصفهاني – الأغاني، ١٦: ٢٨٩. نَهْنِهْ: اكفف. مُطَرَّف: حديث وحديد. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " طرف ".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إِنِّي إِذَا مَا نُسِيَ الحَيَـــاءُ
وَضَاعَ يَـوْمَ المَشْهَدِ اللِّـــوَاءُ
أُنْمَى وَقَـــدْ حُـــقَّ لِيَ النَّمَاءُ
إِلى ذُكُـــورٍ ذِكْـــرُهَا سَنَاءُ
إِذْ لا تَزَالُ جَلْـــدَةٌ كَـــوْمَاء
مَبْقُـــورَةَ لِسَقْبِهَا دُعَـــاءُ
لَمْ يَنْهَنَا عَنْ نَحْرِهَا الصَّفَـــاءُ
لَنَا عَلَيْكُـــمْ سُـــورَةٌ وَلاءُ
المَجْدُ وَالسُّـــؤْدُدُ وَالعَطَاءُ[1]

قحافة بن عوْف يبين جوانب المجد والسؤدد عند بني الأحوص، فالأمور إذا اختلطت ونسيت وضاعت مثل ضياع اللواء في الحرب، فإن قحافة يجد في أمجاد قومه ما يعينه، فهم كرماء ينحرون الناقة السمينة ويبقرون بطنها رغم صياح ولدها، وهذا يدل على شدة كرمهم؛ لأن الناقة كريمة لغزارة حليبها، وبهذا فإن لهم المنزلة العليا الرفيعة، ولهم المجد والسؤدد والعطاء.

ويعمد بعض المناصرين إلى تبيين مزايا منافريهم مثل الحطيئة الذي شهد منافرة عُيَيْنَة بن حِـصْـن بن حذَيْفَة من بني عَدِي وزَبَّان بن سَيَّار بن عمرو بن جابر من بني مازن، وكلاهما ينتمي إلى قبيلـــة فَزَارَة، وفي هذه المنافرة قال الحُطَيْئَة (الطويل):

أَبَى لَكَ آبَاءٌ، أَبَى لَكَ مَجْـــدُهُم
سِوَى المَجْدِ فَانْظُرْ صَاغِرًا مَنْ تُنَافِرُهْ
قُبُورٌ أَصَابَتْهَا السُّيُوفُ ثَلاثَـــةٌ
نُجُومٌ هَوَتْ فِي كُلِّ نَجْمٍ مَـــرَائِرُهْ
فَـــقَـــبْرٌ بِأَجْبَالٍ وَقَبْرٌ بِحَاجِزٍ
وَقَبْرُ القَلِيبِ أَسْعَرَ الحَرْبَ سَاعِرُهْ
وَ شَرُّ المَنَايَا هَالِكٌ وَسْطَ أَهْلِـــهِ
كَهُلْكِ الفَتَاةِ أَيْقَظَ الحَيَّ حَاضِرُهْ[2]

---

(١) الأغاني – الأصفهاني، ١٦: ٢٨٩. كَوْماء: الناقة السمينة. السَّقْب: ولد الناقة . الصَّفاء: غزارة الحليب . سُورَة : الرفعة والمنزلة. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " كوم " و " سقب " و " صفو " و " سور ".

(٢) ديوان الحطيئة: ٤٥. مرائره: المريرة عزة النفس، انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " مرر ".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فنلاحظ في هذه الأبيات أن الحطيئة يذكر بأساس المنافرة، وهو التفاخر بمجد الآباء، ويركز الحطيئة اهتمامه بصفة لا نجدها إلا قليلا في المنافرات، وهذه الصفة هي الموت في ساحات المعارك لا على الفراش، وهذا دليل على الشجاعة، في حين يركّز الاهتمام في أغلب المنافرات على صفة الشجاعة في كيفية القتل والمبارزة، ويصور الحطيئة آباء عيينة بالنجوم التي هوت بسيوف الحرب. ويحدد هذه القبور، فقبر بأجبال وهو قبر بدر بن عمرو، قتيل بني أَسَد بن خُزَيمة، وقبر القَليب هو قبر حذيفة بن بدر بن عمرو، وهو قتيل بني عَبْس، وقبر بحاجز هو قبر حِصْن بن حُذيفة بن بدر، وهو قتيل عُقيل بن كعب، وبعد أن يعدد هذه القبور، يختم أبياته بحكمة، وهي أن شر الموت هو موت الفراش، مثل موت الفتاة التي يعرف موتها بارتفاع صوت الباكين عليها، بينما أفضل موت للرجل هو في ساحة الحروب.

ومن المناصرين من يلوم منافره إذا غُلب، وهذا ما جرى في منافرة مالك بن عُمَيْلة وعميرة بن هاجر الخزاعي الذي نفّر فيها عُزَّى سَلِمَة العُذْرِيّ عُمَيرة الخُزَاعي على مالك بن عُمَلية، فقال صاحبه، أَرْطَاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف (الطويل):

نَدِمْتَ نَئِيـــشًا أَنْ تَكُونَ أَطَعْتَنِي
عَلَى حِينِ لا يُجْدِي عَلَيْكَ التَنَدُّمُ
فَجَارَيْتَ قَرْماً مِنْ قُرُومٍ كَرِيمَـــةٍ
فَقَصَّرْتَ إِذْ أَعْيَا عَلَيْكَ التَقَدُّمُ"[1]

يـــلوم أَرْطَـــاة بن عبد شرحبيل صاحبه مالك بن عميلة؛ لأنه لم يستمع إلى نصحه في عدم التنافر؛ لأنه لن يستطيع مجاراة عميرة الخزاعي بسبب كرم نسبه، مما جعل الكاهن ينفر عميرة الخزاعي عليه، فقصّر مالك في ذلك وخَسِر.

٢. اللغة:

عند تأمل المقطعات نلاحظ كثرة الألفاظ المتعلقة بالمنافرة وعناصرها وحقولها الدلالية:

- ألفاظ المنافرة (نافرت[١]، مُنَفِّر[٢]، تُنافِرُه[٣]).

---

(١) محمد بن حبيب- المنمق: ١١. نيئشاً: بطيئاً ومتأخراً. قرم: السّيد المعظّم وجمعها قُروم. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " نأش "و" قرم ".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ألفاظ المنافرة (نافرت[١]، مُنَفِّر[٢]، تُنافِرُه[٣]).
- ألفاظ تتعلق بالحكام وعملهم (حُكْم[٤]، حُكّام[٥]، الأحْكام[٦]، الكاهـــن[٧]، شَأْوُتُك[٨]، المغلوب[٩]).
- ألفاظ تتعلق بالنسب وهو أساس المنافرة (منسوب[١٠]، نسبـــوا[١١]، أباكم[١٢]، عماعم[١٣]، أبوّة[١٤]، أهلك[١٥]، أبوك[١٦]، أبونا[١٧]).
- ألفاظ تتعلق بوصف كرم النسب وعراقته (المجد[١٨]، الكرام[١٩]، كـــريم[٢٠]، المكـــارم[٢١]، المفاخر[٢٢]، سادة[٢٣]، تسود[٢٤]، الســـــؤدد[٢٥]، سؤددكم[٢٦]، قـــادة[٢٧]، أهل سناء[٢٨]، أغر[٢٩]، قروم[٣٠]).

---

(١) انظر: ديوان لبيد بن ربيعة: ٣٤٣.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٣) انظر: ديوان الحطيئة: ٤٥.

(٤) انظر: محمد بن حبيب – المنمق: ١١٣.

(٥) انظر: الأصفهاني – الأغاني، ١٦: ٢٨٧.

(٦) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٧) انظر: محمد بن حبيب – مصدر سابق: ١١١.

(٨) المصدر نفسه: ١٠٨.

(٩) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(١٠) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(١١) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(١٢) انظر: الأسود الغندجاني – فرحة الأديب: ١١١.

(١٣) انظر: ديوان لبيد بن ربيعة: ٢٨٦.

(١٤) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(١٥) انظر: أبوعبيدة – الديباج: ٩٧.

(١٦) انظر: ديوان لبيد بن ربيعة: ٢٨٦.

(١٧) انظر: الأصفهاني – مصدر سابق، ١٦: ٢٨٧.

(١٨) انظر: محمد بن حبيب – مصدر سابق: ١٠٨ و ١١١ .وانظر: الأصفهاني – مصدر سابق، ١٦ : ٢٨٩. وانظر: ديوان الحطيئة: ٤٥.

(١٩) انظر: محمد بن حبيب – مصدر سابق: ١٠٢.

(٢٠) انظر: أبوعبيدة – مصدر سابق: ٩٧.

(٢١) انظر: محمد بن حبيب – مصدر سابق: ١٠٢.

(٢٢) المصدر نفسه: ١١١.

(٢٣) المصدر نفسه: ١٠٢.

(٢٤) انظر: الأصفهاني – مصدر سابق، ١٦: ٢٨٩.

(٢٥) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٢٦) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٢٧) انظر: محمد بن حبيب – مصدر سابق: ١٠٢.

(٢٨) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٢٩) انظر: أبوعبيدة – مصدر سابق: ٩٧.

(٣٠) انظر: محمد بن حبيب – مصدر سابق: ١١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- أسماء المتنافرين ومن يناصرهم، وأسماء الحكام (عيينة[١]، أم عمرو[٢]، سيار بن منظور[٣]، نضلة[٤]، أبوزبان[٥]، سَطِيح[٦]، هَرِم بن قُطْبَة[٧]، هاشم[٨]، عميرة بن هاجر[٩]، حارِ " حارث "[١٠]، مالك بن جعفر[١١]، لبيد[١٢]، عامر بن مالك[١٣]، الأقرع بن حابس[١٤]، أبو شريح[١٥]، عـــبد عمرو[١٦]).
- أسماء قبائل المتنافرين،وبعض القبائل الأخرى التي ذُكِرت (بنو النضر[١٧]، قريش[١٨]، مضر[١٩]، نزار[٢٠]، فهر[٢١]، ثمد[٢٢]، الجعفري[٢٣]، غنى[٢٤]، الأحـــوص[٢٥]، غطفان[٢٦]، بنو دودان[٢٧]، مذحج[٢٨]، بنو ثعل[٢٩]، بنـــو لأم[٣٠]).

---

(١) أبوعبيدة – الديباج: ٩٧.
(٢) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٣) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٤) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٥) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٦) محمد بن حبيب – المنمق: ١١٣.
(٧) الأصفهاني- الأغاني، ١٦: ٢٨٨.
(٨) محمد بن حبيب – مصدر سابق: ١٠٢.
(٩) المصدر نفسه: ١١١.
(١٠) المصدر نفسه: ١٠٨.
(١١) ديوان لبيد بن ربيعة: ٢٨٦ و ٣٤٣.
(١٢) الأصفهاني- مصدر سابق، ١٦: ٢٨٩.
(١٣) المصدر نفسه، ١٦: ٢٩٠.
(١٤) الأسود الغندجاني – فرحة الأديب: ١٠٦.
(١٥) الأصفهاني – مصدر سابق، ١٦: ٢٨٨.
(١٦) محمد بن حبيب – مصدر سابق: ١٠٢.
(١٧) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(١٨) الأصفهاني – مصدر سابق، ١٦: ٢٨٧.
(١٩) محمد بن حبيب – مصدر سابق: ١٠٢.
(٢٠) الأسود الغندجاني- مصدر سابق: ١٠٦ و ١١٠.
(٢١) محمد بن حبيب – مصدر سابق: ١٠٨.
(٢٢) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٢٣) الأصفهاني – مصدر سابق، ١٦: ٢٩٠.
(٢٤) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٢٥) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٢٦) أبوعبيدة – مصدر سابق: ٩٧.
(٢٧) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٢٨) الأصفهاني – مصدر سابق، ١٦: ٢٨٧.
(٢٩) ديوان حاتم الطائي: ٧٦.
(٣٠) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مما سبق نلاحظ أن مشتقات كلمة نفر معظمها وردت في مقطوعة لبيد بن ربيعة في ثلاثة أبيات، ولعل ذلك يعود إلى أن لبيدا كان همه أن يقنع عَلْقَمَة بن عُلاثَة بأن المُنفِّر سينفر عامراً عليه، لعل ذلك يدفعه إلى عدم التنافر مع عَامِر بن الطُّفَيْل أو على الأقل أن يهزم نفسيا أمام عامر بن الطفيل عند الحكم المُنفِّر. إن المقطعات ركز الاهتمام فيها على إيراد ألفاظ النسب والمنافرة وعناصرها خاصة لفظة " المجد "[١] التي ترد بكثرة واضحة، وتكثر أيضا أسماء القبائل وأسماء المتنافريْن؛ ولعل ذلك يعود إلى أن المقطعات تميل إلى تسجيل أحداث المنافرة والمشاركين فيها، وما يجري فيها من تنفير، وهي بذلك توثق أخبار المنافرات وما جرى فيها، وبالتالي تؤكد هذه الألفاظ وحقولها الدلالية أن أساس المنافرة هو التحكيم بين المتنافرين ومعياره هو كرم النسب مع الخصال الحميدة الأخرى.

إن ألفاظ المقطعات مألوفة إلى حد ما، سهلة الفهم عدا القليل منها مثل (الفَدْفَد والعُنْدَد)[٢]، التي ذكرها أحد بني مَخْزُوم في منافرة بني مَخْزُوم وبني أمية، ويمكن تسويغ ذلك بأن هذه المقطوعة كان المخاطب فيها الكاهن، لذلك جاءت لتحاكي لغته وتتوافق مع ذوقه، فالكهان يميلون في العصر الجاهلي إلى استعمال الألفاظ الغامضة عادة، وهو ما يدل على أن أصحاب هذه المقطوعات كانوا يراعون ذوق المستمع المتلقي.

وقد يرد التضاد بين بعض الألفاظ مثل (قصّرت والتقدم)[٣]، وهي تشير إلى حال المتنافرين، فأحدهما يتقدم على الآخر فيغلبه، أما كلمتا (يحيي ويميت)[٤]، فتشيران إلى حكم المنفر وأثره؛ لأنه سيرفع من شأن قبيلة النافر، فيحيي ذكرها أو يزل من قدر القبيلة ويخذلها بهزيمة منافرها، فيصبح مَنْفورا، أما كلمتا " حلي ورحلتي "[٥]، فتشيران إلى حال مالك بن عميلة الذي تمنى الموت بدلا من قراره بالذهاب إلى الكاهن، الذي نفر عميرة بن هاجر الخزاعي عليه.

أما بالنسبة إلى الأساليب فنجد أن أكثرها يميل إلى الإخبار؛ لأن الشعراء في المنافرات حرصوا على تسجيل أحداث المنافرات وما يجري فيها، وتوضيح مواقفهم، إلا أن أكثر ما جاء منها هو من أسلوب النفي مثل (لسنا إلى غيرك نقصد[٦]، لا أهدي[٧]، لم يك سراء عميرة[٨]،

---

(١) انظر: محمد بن حبيب – المنمق: ١٠٨ و ١١١ .وانظر: الأصفهاني – الأغاني، ١٦ : ٢٨٩. وانظر: ديوان الحطيئة: ٤٥.

(٢) محمد بن حبيب – مصدر سابق: ١١٣.

(٣) المصدر نفسه: ١١١.

(٤) الأصفهاني – مصدر سابق، ١٦: ٢٨٨.

(٥) محمد بن حبيب – مصدر سابق: ١١١.

(٦) المصدر نفسه: ١١٣.

(٧) الأصفهاني – مصدر سابق، ١٦: ٢٨٨.

(٨) محمد بن حبيب – مصدر سابق: ١١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فـــــلا تـــــرى[١]، لم أكن[٢]، لم تغدر[٣]) وهناك أسلـوب آخر هو التوكيد، مثـل (إنا رضينا[٤]، إنّ سناء[٥]، إن مقالي[٦]، إني أخوك[٧]، إنا لنعلم[٨]، إني امرؤ[٩]، إن سنا المجد لفي شيبة الحمد[١٠])، وربما لجأ قائلو هذه الأشعار إلى هذين الأسلوبين فأكثروا منهما؛ لتأكيد صفات المجد وكرم النسب في المنافر الذي يؤيدونه، ونفي هذه الصفات السيئة عنهم، ولإقناع من يشهد المنافرة بأحقية من يناصرونه وخاصة المنَفّر، وتؤكد أساليب النفي والتوكيد على البنية التي تحكم شعر المنافرات كافة، وسوف نفصلها في الصفحات القادمة، حيث تتضح في قصائد المنافرات بصورة جلية.

٣. التصوير:

أغلب المقطعات في المنافرات جاء وليد اللحظة؛ لذا ركز الشعراء اهتمامهم على عرض الأفكار والآراء، مما يعني أن الأبيات لا تميل إلى التصنّع، والصور الفنية فيها قليلة، ومعظمها تدور حول أساس المنافرة وهو التفاخر بالحسب والنسب، ومجد الآباء ومآثرهم، لذا نجد صورا كثيرة حول مجد المنافرَيْن وقومهما، ومن أمثلة ذلك قول زبَّان بن سيار لعُيَيْنَة بن حِصْن (شربت المجـد من غطفان[١١]) والشاعر هنا شبه المجد بالماء، وغطفان هي أصل نسب عيينة مثلما الماء هو أصل الحياة؛ لذا كان لابد لعيينة أن يفتخر بأصله.وفي منافرة خالد بن أَرْطَاة الكَلْبِيّ وجرير بن عبد الله البَجَلِيّ، قال عمرو أبو الخثارم مناصرا للبجلي، ومصورا مآثر قومه في قوله (مجدا بناه لكما أباكما[١٢]) فيشبه المجد بالبناء؛ لأن المجد يكون في الآباء والأجداد ويتأسس لبنة لبنة بما يصنعه الآباء من مفاخر ومآثر.

ونجد تشبيها للمنافِر لدى لبيد بن ربيعة في منافرة عامر وعلقمة في قوله واصفا عامرا:

---

(١) محمد بن حبيب – المنمق: ١١١.

(٢) ديوان حاتم الطائي: ٦٧.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٤) الأصفهاني – الأغاني: ١٦: ٢٨٧.

(٥) محمد بن حبيب – مصدر سابق: ١١٠.

(٦) المصدر نفسه: ١٠٢.

(٧) الأسود الغندجاني – فرحة الأديب: ١٠٦.

(٨) أبوعبيدة – الديباج: ٩٧.

(٩) محمد بن حبيب – مصدر سابق: ١٠٨.

(١٠) المصدر نفسه: ١٠٢.

(١١) أبوعبيدة – مصدر سابق: ٩٧.

(١٢) الأسود الغندجاني – مصدر سابق: ١١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عَلْقَـــــمَ قَدْ نَافَرْتَ غَيْرَ مُنَفر

نَافَرْتَ سَقْبًا مِنْ سِقَابِ العَرْعَرِ[١]

فشبّه لبيد بن ربيعة عَامِر بن الطُّفَيْل بسقب من سقاب العرعر، واختار تشبيهه بالغصن الطويل الغليظ؛ ليدلل على أن منافره قوي الشخصية والعزيمة، وأنه بارز مشهور أيضا.

وإذا كان لبيد بن ربيعة قد شبه المتنافر بسقب العرعر فإن الحطيئة شبه آباء منافره عيينة الذين قتلوا في المعارك بعدما عدد مواضع قبورهم قائلا:

قُبُورٌ أَصَابَتْهَا السُّيُوفُ ثَلاثَـــــةٌ

نُجُومٌ هَوَتْ فِي كُلِّ نَجْمٍ مَـــرَائِرُهْ[٢]

فالحطيئة قد شبه آباء عُيَيْنَة بن حِصْن الذين هلكوا بالنجوم؛ ليدلل على علو مكانتهم وسموهم على غيرهم، وأنهم مصدر هداية للآخرين، وخاصة في قبيلتهم، ولعل ما يلفت الانتباه هنا أنه وصفهم عند موتهم في ساحة القتال بالنجوم التي هوت، وكلمة هوت تدل على السقوط إلى الأسفل، لكنهم مع موتهم ظلوا محتفظين بعلوهم، لأنه استخدم لفظ مرائر التي تدل على عزة النفس المتأصلة، فصاروا بذلك قدوة تحتذى للأحفاد.

ومن التشبيهات قول مالك بن عُمَيْلة بعد أن نَفَّر الكاهن عميرة بن هاجر عليه، فتمنى مالك الموت:

ضَلَلْتُ كَمَا ضَلَّتْ بِلَيْلٍ فَلاَ تُـــرَى

قُلاَمَـــــةُ ظُفْرٍ فِي مُعَرَّسِ نَـــــزَّالِ[٣]

شبه مالك هنا ضلاله بضلال قلامة الظفر في الليل المظلم، وأوغل في الوصف بقوله: (مُعَرَّسِ نَـــــزَّالِ) ليبين صعوبة رؤية قلامة الظفر، فالضلال الذي شعر به ابتدأ بقبوله المنافرة، وانتهى بخروجه منها منفورا نادما، ضائعا يتمنى الموت.

---

(١) ديوان لبيد بن ربيعة: ٣٤٣.

(٢) ديوان الحطيئة: ٤٥.

(٣) محمد بن حبيب – المنمق: ١١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد وردت بعض الكنايات، منها قول مروان بن سراقة في منافرة عَامِر بن الطُّـــفَيْل وعَلْقَمَة بن عُلاثَة(لاتَّخذَتْهُـــمْ مَذْحِـــجٌ نَعَاما)[١]، وهو تعبير يدل على الهزيمة التي شارفت أن تحلّ ببني مالك لولا تدخل بني الأحوص وإنقاذهم لأصبح بنو مالك عبيدا لقبيلة مَذْحِج.

كما وردت إشارة تاريخية في شعر عامر بن مالك، حيث يقول:

وَلا أُهْـــدِي إلى هَرِمٍ لِقاحًا
فَيُحْيِي بَعْد ذلك أَوْ يُمِيتُ
أُكَلِّفُ سَعْيَ لُقْمَانَ بنْ عادٍ
فَيَا لأبي شُـــرَيْحٍ ما لَقِيتُ[٢]

إن عامر بن مالك في البيتين السابقين يشير إلى لقمان بن عاد بن ثمود الذي زعموا أنه عاش أربعة آلاف عام، وهو عمر النسور السبعة، وقد وردت هذه الإشارة لدى أكثر من شاعر جاهلي[٣]. واستخدم عامر بن مالك هذه الإشارة التاريخية للدلالة على أنه مهما طال عمره مثل لقمان بن عاد فإنه لن يغير رأيه، ويشارك في هذه المنافرة بالمساهمة المادية المتمثلة في النفورة والمعنوية المتمثلة في حضور المنافرة.

٤. الموسيقى:

عند تأمل المقطعات في شعر المنافرات نجد أن أكثرها جاء على بحر الرجز، فنسبة بحر الرجز فيها تمثل حوالي ٦٠%، وهذه النسبة تذكرنا بقول أبي عبيدة: " كان الشاعر يقول من الرجز البيتين أو الثلاثة أو نحو ذلك، إذا حارب أو شاتم أو فاخر "[٤]، فالرجز حسب ما ذهب إليه أبو عبيدة ينشأ بسبب المحاربة والمشاتمة والمفاخرة المتضمنة المنافرة التي هي مفاخرة في النسب.

ونظن أن لجوء الشعراء إلى بحر الرجز في المنافرات أدى إلى ضياع كثير من شعر المنافرات؛ لأن الرواة أهملوا جمع الرجز الذي خلا من ألفاظ، ومن ثم أهمل كثير من رجز المنافرات؛ لأن ألفاظه

---

(١) الأصفهاني- الأغاني، ١٦: ٢٨٧.

(٢) المصدر نفسه، ١٦: ٢٨٨.

(٣) انظر : وهب بن منبه – كتاب التيجان: ٣٦٩. وانظر: الثعالبي – ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ١: ٤٧٦، وانظر: الميداني- مجمع الأمثال، ٢: ١٢٨.

(٤) ابن رشيق القيرواني – العمدة، ١: ١٩٦. وانظر: السيوطي – المزهر في علوم اللغة، ٢: ٤٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مألوفة سهلة، وليست غريبة، علاوة على أن العلماء واللغويين في مرحلة جمع اللغة وتقعيد القواعد جمعوا الشعر من الرواة الذين أعرض بعضهم عن رواية الرجز؛ لأنهم لا يعدونه شعرا[١].

ونتساءل لم أكثر الشعراء من استعمال بحر الرجز؟! لعل ذلك يعود إلى أمرين أولهما يتعلق بطبيعة بحر الرجز، وآخرهما يتعلق بالمنافرات وظروف قائليها، أما ما يتعلق ببحر الرجز فإنه من البحور السهلة التي يستطيع المرء أن ينظم عليها شعرا؛ لكثرة الزحافات فيه، علاوة على أنه بحر خفيف ورشيق، سلس متدفق عند إنشاده، وأن تصريع شطريه جعله اقرب إلى نفوس الناس[٢].

وهذه المميزات لبحر الرجز سمحت للكثيرين أن يقولوا الشعر، وقد أكثروا من استعماله، حتى لقب هذا البحر بمطية الشعراء وحمارهم، وهذا ما دعا اللغويين القدماء إلى التساؤل إن كان الرجز يعد شعرا أم لا، ولن نتطرق إلى هذا، فهناك كتب متخصصة قد عالجت هذا الأمر بالتفصيل.

أما ما يتعلق بالمنافرات وظروف قائلها فيتمثل في ارتجال الشعر في المنافرات؛ لأن معظمه يقال بعد التنفير مباشرة كما لاحظنا ذلك من خلال المضمون، ومن يحضر المنافرة لا يعلم مسبقا نتيجتها فيضطر إلى ارتجال الشعر بعد التنفير، ولعل بحر الرجز أسهل على من يرتجل الشعر من البحور الشعرية الأخرى، وسهولة هذا النظم حثت الكثيرين على الارتجاز مما أدى لظهور أسماء غير معروفة.

ولعل ما يلفت النظر أن مشاركة لبيد بن ربيعة في منافرة عَامِر بن الطُّفَيْل وعلقمة بن علاثة جاء أكثرها على بحر الرجز، ولا يعني ارتجاز شاعر مشهور مثل لبيد بن ربيعة أن لديه موقفا اتجاه المنافرة، أو أنه يرى أن أغراض الشعر مثل المدح أو الفخر أولى بالاهتمام من المنافرة، و" أن شهرة لبيد بن ربيعة بالشعر ومكانته فيه فقد فضل العزوف عن المشاركة في مناصرة ابن عمه عامر بشيء ذي أهمية من القصيد"[٣].

ولا ننكر أن لبيدا راعى صلة القربى، لكن هذه المراعاة منعته من هجاء عَلْقَمَة بن عُلاثَة، و لم تمنعه من نصرة عامر، بالرجز وبأبيات من البحر الطويل[٤]، ولعل لبيدا فضل الرجز؛ لأنه من أكثر البحور استخداما في المنافرات كما بيّن أبوعبيدة في القول السابق[٥]، ونسبة ما قاله لبيد في

---

(١) انظر: جمال نجم العبيدي – الرجز: نشأته، أشهر شعرائه: ١٣٥.

(٢) المرجع نفسه: ٥٥ – ٥٧.

(٣) حمد الزابدي – منافرة علقمة وعامر: ٦٣.

(٤) انظر: ديوان لبيد بن ربيعة: ٢٨٦ .

(٥) ابن رشيق القيرواني – العمدة، ١: ١٩٦. وانظر: السيوطي – المزهر في علوم اللغة، ٢: ٤٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرجز هو ١١% من شعره[١]، وهي نسبة ليست بقليلة، ولا نتوقع أن يقول الأعشى مثلا رجزا؛ لأن نسبة الرجز في شعره لا تتجاوز ٢%[٢]، إضافة إلى أسباب أخرى لدى الأعشى سنتطرق لها في موضعها.

أما نسبة البحور الأخرى غير الرجز في شعر المنافرات فأكثرها جاء على البحر الطويل، ثم الوافر والكامل ثم البسيط.

أما بالنسبة إلى القوافي في الرجز، فقد التزم فيها الشعراء بالتصريع في الشطرين في المقطوعة كاملة سواء أكانت بيتين أو ثلاثة أو أربعة...الخ ، وقد سقنا أمثلة متنوعة في ذلك.

(١) انظر: يحيى الجبوري – لبيد بن ربيعة: ٤٨٨.

(٢) انظر: عباس يومي عجلان – عناصر الإبداع الفني في شعر الأعشى: ٣٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب – القصائد

وصلتنا قصائد جاهلية قيلت في المنافرات، أشهرها ما جاء في منافرة عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعَامِر ابن الطُّفَيْل، وشارك في هذه المنافرة كلّ من:

١. الأعشى ميمون بن قيس، من قبيلة بكر بن وائل، وناصر في هذه المنافرة عَامِر ابن الطُّفَيْل، وله قصيدتان: الرائيّة والصادية.
٢. الحطيئة جرول بن أوس، وناصر في هذه المنافرة عَلْقَمَة بن عُلاثَة وله قصيدتان: اللاميّة والميميّة وهي سبعة أبيات، ووضعت ضمن القصائد لا المقطعات حسب عدد الأبيات لأنها من الناحية الفنية تكمل مفهوم الحطيئة ورؤيته للمنافرات.
٣. لبيد بن ربيعة: وهو من بني عامر، أي من قبيلة المتنافرين علقمة وعامر، وقال ثلاثة عشر بيتاً من الرجز، خاطب فيها هَرِماً يطالبه بتنفير عامرٍ على علقمة.

ولقد اشتهرت منافرة عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعَامِر بن الطُّفَيْل أكثر من غيرها من المنافرات نظرا لعدة أسباب، نجملها فيما يأتي:

- اشتراك شعراء كبار من شعار الجاهلية فيها، وهم الأعشى ولبيد والحطيئة. ولعل رفض الحكام للفصل بين المتنافريْن جعلها تمتد لأكثر من عام وبالتالي أتاحت هذه المدة الطويلة فرصة لهؤلاء الشعراء أن يبدعوا فيها قصائدهم.
- المتنافران هما سيدان كريمان مشهوران من قبيلة بني عامر.
- كثرة ذكر المنافرة في كتب الأدب وتراجم الصحابة عند الترجمة لعَلْقَمَة بن عُلاثَة، ولكن تبقى أهم مصادر هذه المنافرة ما ذكره الأصفهاني وأبوعبيدة.

شارك في المنافرات الأخرى:

١. النابغة الذبياني، حيث قال قصيدة في منافرة محمد بن أُحيحة والزِّبْرقان بن بدر، ورد فيها على الزِّبْرقان بن بدر وبعض بني تميم الذين توعدوه شرّا بسبب تنفيره محمد بن أحيحة على الزبرقان بن بدر.
٢. نُفَيْل بن عَبْد العُزَّى، وقال قصيدة في منافرة عبد المطلب بن هاشم وحَرْب بن أُمَيَّة، ورد فيها على حرب الذي شكك في حكمه ،مدح فيها عبد المطلب بن هاشم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١. بناء القصيدة:

التزم الأعشى والحطيئة ببناء القصيدة الجاهلية في المنافرة، وهناك بعض الاختلافات بينهما من حيث تقديم أو تأخير بعض أغراض القصيدة الجاهلية. أما بالنسبة للنابغة الذبياني ونُفَيْل بن عَبْد العُزَّى ولبيد بن ربيعة، فإن كلا منهما لم يسر على نهج القصيدة الجاهلية من حيث تعدد الأغراض، واكتفى كل منهم بتناول موضوع المنافرة مباشرة، وركزوا في ذلك على تبيان موقفهم منها بشكل خاص.

نقف عند بناء القصيدة في شعر المنافرات لدى الأعشى والحطيئة، ففي الرائية يبدأ الأعشى حديثه عن الأطلال، على خلاف أغلب شعره الذي يركز في مقدمته على المرأة والخمر، فالأعشى له نهج في بناء قصيدته، فهو " لم يقف على الأطلال والرسوم إلا نادرا، ولم يذرف الدموع على ظعينة رحلت، أو على حبيب آثر الصدود والهجران إلا في القليل القليل، إنه شاعر أحب وتغزل، ولكن على طريقته الخاصة، واحتلت المرأة وذكرها مقدمة جُلّ قصائده "[١]، إذن الأعشى التزم في الرائية في الحديث عن الأطلال والمحبوبة وأخر حديثه عن الناقة، فوضعها في نهاية القصيدة مخالفا البناء العام المتواضع عليه للقصيدة الجاهلية، وفيه يأتي الحديث عن الناقة بعد ذكر أطلال المحبوبة. ولعل التزام الأعشى في الرائية بالبناء التقليدي للقصيدة لم يمنعه من تغيير ترتيب الأغراض الفنية داخل القصيدة. ونتساءل هنا: لماذا ذكر الأعشى الأطلال في الرائية؟

ويرى مفيد قميحة أنه " ربما كان لاهتمام الأعشى بذكر الأطلال في قصيدة أزمع أن يوظف معانيها للهجاء مدلول خاص، لعله رغبة الشاعر في أن يعطي هذه القصيدة طابعا رسميا إن صحّ التعبير يتفق مع تقاليد القوم، وما كانوا يتواضعون عليه في مجال نظم الشعر، وذلك كله لكي يضمن لهذه القصيدة بعدا دعائيا يجعل الناس يقبلون عليها، ويلتذون بسماعها "[٢]. ولعل ما يرجّح صحة هذا الرأي هو تناقل الرواة لهذه القصيدة حتى في العصر الإسلامي أمام الرسول – صلى الله عليه وسلم – ولقد نهى عن روايتها؛ لأن عَلْقَمَة بن عُلاثَة قد دافع عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – أمام كسرى عظيم فارس[٣].

---

(١) مفيد قميحة – الأعشى شاعر اللذة والحياة: ١١٢- ١١٣.

(٢) حمد الرابدي – منافرة عامر وعلقمة: ٣٩.

(٣) انظر: ابن حجر العسقلاني – الإصابة في تمييز الصحابة، ٤: ٤٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونلاحظ من خلال شعر الحطيئة أن رؤية المنافرة لديه هي أشبه بسباق نحو المجد؛ لذا فإن عَامِر بن الطُّفَيْل وعَلْقَمَة بن عُلاثَة وغيرهما من الكرماء في سباق نحو قمة المجد، لكن عَلْقَمَة بن عُلاثَة يتفوق عليهم، ولا يعني ذلك أن عَامِر بن الطُّفَيْل امرؤ غير فاضل ولا كريم كما يذهب الحطيئة في شعره، ومن الأبيات الدالة على هذا المعنى قول الحطيئة (الطويل) :

إِذَا قَايَسُوهُ المَجْدَ أَرْبَى عَلَيْهِمُ
بِمُسْتَفْرِغٍ مَاءَ الذِّنَابِ سَجِيلِ
وَإِنْ يَرْتَقُوا فِي خُطَّةٍ يَرْقَ فَوْقَهَا
بِثَبْتٍ عَلَى الضَّاحِي المَزِلِّ رَجِيلِ

...

إِذا النَّاسُ مَدُّوا للفِعَالِ أَكُفَّهُمْ
بَذَخْتَ بِعَادِيِّ السَرَاةِ طَـــوِيلِ

...

فَإِنْ عُدَّ مَجْدٌ فَاضِلٌ عَدَّ مِثْلَهُ
وَإِنْ أَثَّلُوا لاقَاهُـــــــمُ بِأَثِيلِ[1]

نلاحظ في الأبيات السابقة أن الحطيئة استخدم ألفاظا تدل على الكثرة، ليبين تفوق علقمة على الآخرين، وخاصة منافره عَامِر بن الطُّفَيْل، ومـــــن هذه الكلمات لفظة (سَجِيـــل) وأفعل التفضيل (أربى)، و تعبير (يرقى فوقها). ولا يعني هذا أن الحطيئة لم يبين رأيه في هذا السباق، فهو يرى أن المنافرة محسومة لصالح عَلْقَمَة بن عُلاثَة، وخير لعَامِر بن الطُّفَيْل أن يصد عن المنافرة؛ لأن عَلْقَمَة بن عُلاثَة أفضل منه، ومن الأبيات الدالة على ذلك قوله:

فَصُدُّوا صُدُودَ الوَانِي أَبْقَى لِعِرْضِكُمْ
بَنِي مَالِكٍ إِذْ سُـــــدَّ كُـــلُّ سَبِيلِ

...

(١) ديوان الحطيئة : ٨-٩.

الذِّناب: الدلو العظيم مفردها ذنوب. سَجِيل: عظيم. مُزِلّ: أي ما يزلّ فيه. رَجيل: الرجل القوي على المشي.
أَثِيل: مجد كثير. انظر: ابن منظور – لسان العرب: مادة " ذنب " و " سجل " و " زلل " و " رجل " و " أثل ".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَرِثْتَ تُرَاثَ الأَحْوَصَيْنِ فَلَمْ يَضِعْ
إِلَى ابْنَيْ طُـفَيْـــــلٍ مَالِكٍ وَعَقِيلِ[١]

فالحطيئة يرى أن رئاسة القبيلة إن سارت في أيدى أبناء طفيل فستضيع، ومما يؤكد رؤية المنافرة لدى الشاعر المتمثلة في سباق يتفوق فيه علقمة، ولا ينفي المكارم والشرف عن عَامِر بن الطُّفَيْل في الوقت ذاته، قول الحطيئة (البسيط):

يَا عَامِ قَدْ كُنْتَ ذَا بَاعٍ وَمَكْرُمَـــةٍ لَوْ أَنَّ مَسْعَاةَ مَنْ حَارَيْتَهُ أَمَـــمُ[٢]

وقد عمد الحطيئة في قصيدته إلى مدح عَلْقَمَة بن عُلاثَة مبينا كل الصفات التي توهله للتنفير، ويختم القصيدتين بمعنى واحد، هو أن التنفير واضح للجميع (الطويل):

فَمَا يَنْظُـرُ الحُكَّـامُ بِالفَصْلِ بَعْدَمَا بَدَا وَاضِحٌ ذُو غُـرَّةٍ وَحُجُـــــولِ[٣]

وهذا الوضوح لا يشك فيه الحكم (البسيط):

وَمَا أَسَاءَ فِـوَاراً مِنْ مُجَلَّحَـةٍ لا كَاهِنٌ يَمْتَـرِي فِيهَا وَلا حَكَمُ[٤]

ويمكن أن نقول إن هذا تنفير مبطّن وغير مباشر من الحطيئة لعَلْقَمَة بن عُلاثَة.

وإن كانت رؤية المنافرة عند الحطيئة تتمثل في سباق يتفوق فيه علقمة على عامر، فإن رؤية المنافرة لدى الأعشى على خلاف ذلك، فالأعشى لا يرى أن علقمة وعامر متساويان، فهو يضع عامرا في قمة المجد والكرم والفضل، ويضع علقمة في أدنى المراتب، ووظّف هذه الرؤية في أغلب أبيات شعره في هذه المنافرة، ومما قال:

يَا عَجَبَ الدَّهْـــــــــرِ مَتَى سُوِّيَا كَمْ ضَـــــاحِكٍ مِنْ ذَا وَكَمْ سَاخِرِ[٥]

---

(١) ديوان الحطيئة : ٩. الوَانِي: الضعيف المهزوم. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " ون " .
(٢) ديوان الحطيئة: ١٦. أُمَم: الشيء اليسير. انظر: ابن منظور – مصدر سابق، مادة " أمم " .
(٣) ديوان الحطيئة: ٩. حُجول: بياض في قوائم الفرس. انظر: ابن منظور – مصدر سابق، مادة " حجل " .
(٤) ديوان الحطيئة: ١٦. مُجَلَّة: داهية مكتشفة. انظر: ابن منظور – مصدر سابق، مادة " جلح " .
(٥) ديوان الأعشى: ١٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معدودة، ولقد ركز اهتمامه على الفخر بقومه حتى أنه لم يدع أية صفة من مكارم الأخلاق إلا ووصف قومه بها، ونقف عند بعض ما هجا به الأعشى عَلْقَمَة بن عُلاثَة، يقول في ذلك:

وَلَسْتَ فِي السِّـــــلْمِ بِذِي نَائِـــلٍ وَلَسْتَ فِي الهَيْجَـــاءِ بِالجَاسِـــرِ[١]

فالأعشى في البيت السابق قد نفى الكرم عن علقمة في السلم، والجرأة في الحرب، و لم يكتفِ بذلك، فقد وصف قومه بأكل الجيف في قوله:

هُـــمُ الطَّـــرَفُ النَّاكُو العَدُوِّ وَأَنْتُـــمُ بِقُصْـــوَى ثَلاثٍ تَأْكُـــلُونَ الوَقَائِصَا[٢]

ويصف الأعشى علقمة أيضا بأحقر الأشياء ليقلل من شأنه، ومما قاله في ذلك:

أَتُوعِدُنِـــي أَنْ جَاشَ بَحْرُ ابْنِ عَمِّكُـــمْ وَبَحْرُكَ سَاجٍ لا يُوَارِي الدَّعَامِصَـــا
فَلَوْ كُنْتُمْ نَخْلاً لَكُـــنْتُمْ جُرامَـــةً وَلَوْ كُنْتُمُ نَبْلاً لَكُنْتُمْ مَعَاقِصَـــا[٣]

هكذا هو الأعشى في هذه المنافرة لا يصف علقمة إلا بأرذل الأوصاف وأحقرها، فهو يصفه بالبحر الساكن الراكد الذي لا تنمو فيه أحقر الديدان، وأن قوم علقمة لو كانوا نخلا لكانوا حثالة التمر، ولو كانوا سهاما لكانوا أردأ أنواعها.

يصل الأعشى إلى قمة هجائه لعلقمة، فهو لا يسلبه صفات الكرم والشجاعة فقط، ولكنه يسلبه مشاعر الشفقة والإنسانية في قوله:

تَبِيتُونَ فِي المَشْـــتَى مِلاءً بُـــطُـــونُكُـــمْ وَجَارا تُكُمْ غَرْثَى يَبِتْنَ خَمَائِـــصا
يُرَاقِبْـــنَ مِنْ جُوعٍ خِلالَ مَخَـــافَةٍ نُجُـــومَ السَّمَاءِ الطَّالِعَاتِ الشَّوَاخِصَا[٤]

---

(١) ديوان الأعشى: ١٧٩. الجاسر: الجريء المقدام. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " جسر ".

(٢) ديوان الأعشى: ١٨٥. الوَقائِص: المكسورة الأعناق من الدواب. انظر: ابن منظور – مصدر سابق، مادة " وقص ".

(٣) ديوان الأعشى: ١٨٧. الدَّعامِص: الديدان السوداء. جُرامَة: حثالة التمر. المَعاقِص: السهام المعوجّة أو المكسورة. انظر: ابن منظور – مصدر سابق، مادة " دعمص " و " جرم " و " عقص ".

(٤) ديوان الأعشى: ١٨٥. غرثى وخمائص: أي جائعات وضامرات البطن. انظر: ابن منظور – مصدر سابق، مادة " خمص " و " غرث ".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ففي البيتين السابقين أبدع الأعشى وأقذع؛ أبدع لأنه رسم مشهدا نال فيه من عَلْقَمَة بن عُلاثَة، وأقذع لأنه سلبه الشفقة والإنسانية، كما يرسم الأعشى صورتين متقابلتين، الأولى لبني الأحوص، وقد باتوا شبعى ملاء بطونهم غير مبالين بجاراتهم، والأخيرة للجارات الضعيفات الجائعات اللواتي يراقبن في الليل البارد، كي يلتقطن ما رمي من طعام، يصارعن الجوع والبرد والخوف من انكشاف فقرهن وجوعهن.

لقد اختار الأعشى الجارات لقربهن من بيوت بني الأحوص، ولهن حقوق عليهم، بسبب الجوار كما هي العادة العربية، ولأن النساء ضعيفات.

ولعل بيت الأعشى الذي ذكرناه سابقا والذي يقول فيه:

تَبِيتُنَ فِي المَشْتَى مِلاءً بُطُونُكُم وجاراتُكُمْ غَرْثَى يَبِتْنَ خَمَائِصَا[١]

قد أشتهر بأنه من أهجى الأبيات، وقيل إن علقمة عندما سمعه بكى[٢]، وهجاء الأعشى لعلقمة ابن علاثة يقوم على مقارنته بعَامِر بن الطُّفَيْل، وسيتضح ذلك أكثر في الحديث عن التصوير الفني، كما أن هجاء الأعشى لعلقمة كان ممزوجا بالسخرية، فهو يسخر من علقمة ومن تهديده له بالقتل، وفي ذلك يقول:

أَقُولُ لَمَّا جَاءَنِي فَخْرُهُ سُبْحَانَ مِنْ عَلْقَمَةَ الفَاخِرِ[٣]

ويقول أيضا:

يُقْسِمُ بِاللهِ لَئِنْ جَاءَهُ عَنِّي أَذَىً مِنْ سَامِعٍ خَابِرِ
لَيَجْعَلَنِّي سُبَّةً بَعْدَهَا جُدِّعْتَ يَا عَلْقَمُ مِنْ نَاذِرِ[٤]

يسخر الأعشى من تهديد علقمة له بالقتل، ومن افتخار علقمة بنفسه، ويدعو عليه بالجدع.

---

(١) ديوان الأعشى: ١٨٥.

(٢) انظر: العسكري – ديوان المعاني، ١: ١٧٤.

(٣) ديوان الأعشى: ١٧٩.

(٤) المصدر السابق: ١٨١. جُدِعْتَ: أي دعا عليه بقطع الأنف أو الأذن أو اليد. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " جدع ".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد استغل الأعشى هجاءه لبني الأحوص كي يفخر بقومه، فقارن بين قومه وقوم عَلْقَمَة بن عُلاثَة، فوصف قومه بمكارم الأخلاق وافتخر بهم، وبهذا نجد أن هجاءه لعلقمة وقومه تضمن في الوقت نفسه فخرا بقومه، وركّز اهتمامه على الافتخار بالكرم، وبدفع الجوع عن الجار خاصة في الشتاء، وهو وقت العوز والحاجة، وكرمهم يكون بإعطائهم لحم الناقة الضخمة السمينة، ومما قاله في ذلك:

المُطْعِمُو اللَّحْمَ إِذَا مَا شَتَوْا ... وَالجَاعِلُو القُوتَ عَلَى اليَاسِرِ
مِنْ كُلِّ كَوْمَاءَ سَحُوفٍ إِذَا ... جَفَّتْ مِنَ اللَّحْمِ مُدَى الجَازِرِ
وَالشَّافِعُونَ الجُوعَ عَنْ جَارِهِمْ ... حَتَّى يُرَى كالغُصُنِ النَّاضِرِ[1]

تأتي هذه الصورة في مقابل وصف الأعشى لموقف قوم عَلْقَمَة بن عُلاثَة من الجارات[2]، وقد تطرقنا إلى ذلك من قبل.

وإن كان الأعشى قد نال من علقمة وهجاه هجاء مقذعا، فإن الحطيئة ابتعد عن ذلك، ففي قصيدته اللامية مدح عَلْقَمَة بن عُلاثَة دون أن يهجو عَامِر بن الطُّفَيْل بشكل واضح ومباشر مثلما فعل الأعشى، لكنّه بين أن قوم علقمة وهم بنو الأحوص أفضل من بني مالك، وهم قوم عامر، والحطيئة يبتعد عن ذكر عامر في قصيدته اللامية، ويكتفي بذكر اسمي أخويه، حيث قال مادحا علقمة ومعرِّضا ببني مالك:

وَرِثْتَ تُرَاثَ الأَحْوَصَيْنِ فَلَمْ يَضِعْ ... إِلَى ابْنَيْ طُفَيْلٍ مَالِكٍ وَعَقِيلِ[3]

ولقد ذكر الحطيئة اسم عامر في مطلع قصيدته الميمية، ووصفه بالمجد والكرم، وأنه سيتفوق لو كان منافره غير عَلْقَمَة بن عُلاثَة، يقول في ذلك:

يَا عَامِ قَدْ كُنْتَ ذَا بَاعٍ وَمَكْرُمَةٍ ... لَوْ أَنْ مَسْعَاةَ مَنْ جَارَيْتَهُ أُمَمُ[4]

---

(١) ديوان الأعشى: ١٨١. سَحُوف: الناقة التي بها شحم كثير. انظر: ابن منظور- لسان العرب، مادة " سحف ".
(٢) ديوان الأعشى: ١٨٥.
(٣) ديوان الحطيئة: ٩.
(٤) المصدر نفسه: ١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالحطيئة لم يهجُ عامرا كما فعل الأعشى مع علقمة، وهذا يدعو إلى التساؤل والتعجب؛ لأن الحطيئة قد اشتهر بالهجاء حتى أنه حين لم يجد أحدا يهجوه هجا نفسه، وعَامِر بن الطُّفَيْل فيه صفات يمكن أن يعتمد عليها الحطيئة في الهجاء، فعامر أعور وعقيم، ويعتدي على الحرمات، لكن الحطيئة تجنب أن يهجوه بشكل واضح، ولعلّ ذلك يرجع إلى أن الحطيئة يخشى عَامِر بن الطُّفَيْل وسطوته، ويقدر أنه قد يضطر يوماً إلى مدح عامر مثلما حدث للأعشى حين وقع بين يدي علقمة فمدحه بأبيات.

لقد عرّض الحطيئة بعامر بشكل غير مباشر في قوله:

وما جُعِـــلَ الصُّعْرُ اللِّئَامَ خُـــدُودُهَا كَآدَمَ قَلْبٍ مِنْ بَنَاتِ جَدِيـــــــــلِ[١]

فالحطيئة يصور عَامِر بن الطُّفَيْل بالإبل الدنيئة الخسيسة المصابة بالصُّعْر، وبهذا يصفه بالتكبر والخيلاء، وهو مما أخذ على عَامِر بن الطُّفَيْل[٢].

وإذا كنا قد عرضنا الهجاء والمدح في شعر كل من الأعشى والحطيئة فإننا نجد في قصيدتي نُفَيْل ابن عَبْد العُزَّى والنابغة الذبياني الثنائية نفسها المتمثلة في المدح والهجاء، ولكن يغلب على قصيدتي نُفَيْل والنابغة المدح؛ لأنهما قالا القصيدة بعد أن شُكِكَ في حكمهما مما دعاهما إلى إبراز صفات من نفّروا.

ونقف عند قصيدة نُفَيْل بن عَبْد العُزَّى، وهو الحكم المُنَفِّر في منافرة عبد المطلب بن هاشم وحَرْب بن أُمَيَّة، وقال قصيدته بعد أن شكك حَرْب بن أُمَيَّة في حكمه، وهدده، فقصيدته بذلك جاءت لتسوّغ أسباب تنفيره لعبد المطلب، حيث مدحه ووصف قومه بعروق الثَّرى وأهل المجد، ووصفه بالنور الذي يستضاء به، يقول:

وَهُمْ عروق الثَّرَى مِنْهُمْ أَرُومَتُنَـــــا مَا جَادَى اليَوْمَ فِي تَرْبَائِهِمْ ضَـــــرَعُ[٣]

---

(١) ديوان الحطيئة: ٩. الصُّعْر: ميل في الوجه أو أحد الشقّين أو داء يصيب البعير. آدم: الإبل ذات اللون الأبيض المشرب بالسواد، وهو كناية على الأصالة جَدِيل: فحل كان للنعمان بن المنذر. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " صعر " و " أدم " و " حدل " .

(٢) انظر: الأصفهاني – الأغاني، ١٦: ٢٨٦.

(٣) محمد بن حبيب – المنمق: ٩٦. الشطر الثاني غير صحيح الوزن، ولعله ما جادى اليوم في ترباتهم ضرع. عِرْق الثرى اسم إسماعيل عليه السلام، والثَّرى الخير. الضَّرَع: الإنسان الضعيف والناحل. والتُّرْباء: وادي قرب مكّة. انظر: ابن منظور – مصدر سابق، مادة " ثرى " و "ضرع" و " ترب " .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولقد قارن نُفَيْل بن عَبْد العُزَّى بين حَرْب بن أُمَيَّة وعبد المطلب بن هاشم، فقال:

يَا حَرْبُ مَا بَلَغَتْ مَسْعَاتُكُمْ هَبْـــــعا تَسْقِي الحَـجِيجَ وَماذَا يَحْمِـــــــلُ الهُبَعُ
أَبُوكُمَا وَاحِـــــدٌ وَالفَرْعُ بَيْنَكُمَـــا مِنْهُ الخِشَاشُ وَمَنْـــــــهُ النَّاضِرُ اليَنَـــعُ[1]

إن نُفَيْلاً يرى حَرْب بن أُمَيَّة مقصرا عن بلوغ ما وصل إليه عبد المطلب بن هاشم، بل مقصرا عن بلوغ مسعى الحمارالذي يسقي الحجيج، وما يحمله الحمار قليل ، و رغم أن أصلهما واحد إلا أن عبد المطلب بن هاشم تحلى بالمكارم، ودافع عن عرضه وشرفه، ويوجه نفيل حديثه إلى حَرْب بن أُمَيَّة قائلا:

فَاعْـــرِفْ لقوم هُمُ الأَرْبَابُ فَوْقَكُـــمُ لا يُدْرِكَنَّكَ شَرٌّ مَالَـــــهُ دَفَـــــعُ
هُمُ الرُّبَى مِنْ قُرَيْشٍ فِي أَرُومَتِـــــــهَا وَالمُطْعِمُونَ إِذَا مَا مَسَّـــــها القِشَـــعُ[2]

لقد وصف نُفَيْل بن عَبْد العُزَّى بني هاشم بالأرباب وبأنهم هم ذروة قريش؛ لأنهم يطعمون، ويقومون بأعباء مثل سقاية الحجيج، إذن فثنائية المدح والهجاء واضحة في قصيدة نُفَيْل لكن المدح يغلب على القصيدة؛ لأن نُفَيْلا قصد أن يوضح لحَرْب بن أُمَيَّة وغيره أسباب تنفيره لعبد المطلب.

أما النابغة الذُّبياني وهو الحكم المُنَفِّر في منافرة محمد بن أُحيحة بن الجُلاح والزِّبْرقان بن بدر، فقد قال قصيدته النونية؛ ليردّ على قوم من بني تميم توعدوه؛ لأنه نفر محمد بن أُحيحة على الزِّبْرقان ابن بدر.ولا نجد اختلافا كبيرا بين قصيدتي النابغة الذبياني ونُفَيْل بن عَبْد العُزَّى، حيث ركّز الاهتمام فيهما على مدح النافر، فكلاهما حكم مُنَفِّر يسوغ للآخرين أسباب تنفيره بقصيدة تروى، ولكننا نجد أن المقارنة بين المتنافريْن تتضح أكثر في قصيدة نُفَيْل بن عَبْد العُزَّى.

لقد اهتم النابغة الذبياني في قصيدته بمآثر قوم محمد بن أُحيحة، وهو - أي محمد – من الأوس، من أولاد ثعلبة بن عمرو بن عامر، وعمرو بن عامر ملك من ملوك غسّان[3]؛ لذا أشاد النابغة بأصله الذي ينمى إلى غسّان، فمحمد بن أُحيحة إذن من سلالة الملوك، وفي ذلك يقول النابغة:

يَرِدُونَ جَفْنَةَ سَيِّدًا مِنْ يَعْرُبٍ عَمْرو بنُ عَامِرِ سَيِّدُ الأَزْمَانِ

---

(١) محمد بن حبيب – المنمق: ٩٧. الهبع: هبع يهبع وهو مشي الحمار البليد فهو هبع. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " هبع " .

(٢) محمد بن حبيب – مصدر سابق: ٩٨. القِشَع: السحاب الذاهب، وقيل رياح الشمال. انظر: ابن منظور – مصدر سابق، مادة " قشع " .

(٣) انظر: ابن دريد – الاشتقاق: ٤٣٥. وانظر: ابن رشيق – العمدة، ٢: ٩٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

...

وَكَذَلِكَ الجُلاَّحُ فِي أَيَامِـــهِ يَهِبُ الجِيَادَ وَخَالِصَ العِقْيَانِ

...

وَمُحَمَّدٌ أَعْطَى وَأَطْعَمَ مُسْغِبًا بِفِنَاءِ مَـــــكَّةَ قَالَهُ المَلَوَانِ[1]

يمتدح النابغة قوم محمد بن أحيحة؛ لأن أصلهم من سلالة الملوك، ويصفهم بالجود والكرم، وهم يهبون الجياد والذهب، ويقيمون الموائد العظيمة، ويقارن النابغة بين أصل محمد بن أُحيحة والزِّبْرقان بن بدر، قائلا:

شَتَّانَ مَنْسُوبٌ إِلَى جَوْزِ الفَلا وَمُحَمَّدٌ ينْمِي إِلى التِّيجَانِ[2]

إن النابغة الذبياني في البيت السابق ينسب المتنافريْن إلى أصلهما، فالزِّبْرقان ينسبه إلى الصحراء، فهو بدوي بينما ينسب محمد بن أحيحة إلى ملوك غسان، وفي هذا ذمّ غير مباشر للزِّبْرقان، ومدح لمحمد بن أُحيحة.

نستطيع أن نقول إن بنية القصيدة في شعر المنافرات تقوم على المدح والهجاء، وأحد الغرضين قد يطغى على الآخر في قصيدة دون أخرى، لأسباب منها: علاقة الشعراء بالمتنافريْن، ودورهم في المنافرة، فالأعشى والحطيئة اهتمّا بمدح من يناصرانه من المتنافريْن، وهجاء المتنافر الآخر، وانفرد الأعشى في شعره في منافرة علقمة وعامر بالفخر بقومه؛ لأنه حوّل هجاءه لعلقمة إلى هجاء لقوم علقمة وهم بنو الأحوص، ولم يكتفِ بمدح بني مالك قوم عَامِر بن الطُّفَيْل، ولكنّه افتخر بقومه أيضا ربما ليرد على تمديد علقمة له، بينما اهتم حكّام المنافرات بتسويغ حكمهما في المنافرة مما اقتضى مدح النافر المنتصر.

٣. اللغة:

ترد في قصائد المنافرات الفاظ تدل على المنافرة ودور الحكّام فيها، ومن هذه الألفاظ:

---

(١) ابن الجون الأشعري – الرياض الأدبية في شرح الخمرطاشية: ١٣٧. جَفْنَة: هم بنو عمرو مُزَيْقياء بن عامر من ملوك الشام. انظر: ابن دريد – الاشتقاق: ٤٣٥. العِقْيان: الذهب. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " عقا ".

(٢) ابن الجون الأشعري – مصدر سابق: ١٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- (حكمتُ[١]، حُكْمي[٢]، حكّمتَني[٣]، حكّمتموني[٤]، حكمه[٥]، الحكم[٦]، الحكومة[٧]، حكـــم[٨]، الحكام[٩]، كاهن[١٠]، قضى[١١]، قضائي[١٢]).
- (الخصمان[١٣]، النافر[١٤]، المنفور[١٥]، مُقْسِط[١٦]، الخاسر[١٧]).
- (الـــحق[١٨]، العدل[١٩]، الفصل[٢٠]، الرشوة[٢١]).

كما ترد في القصائد ألفاظ تدل على كرم النسب:

- (سدتَ[٢٢]، ساد[٢٣]، سادة[٢٤]، سادوك[٢٥]، كابر[٢٦]، السؤدد[٢٧]، الأرباب[٢٨]).
- (العزة[٢٩]، فخر[٣٠]، الفاخر[٣١]، الكاثر[٣٢]، العلا[٣٣]).

---

(١) ابن الجون الأشعري – الرياض الأدبية في شرح الخرطاشية: ١٣٧.
(٢) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٣) ديوان الأعشى: ١٨٥.
(٤) المصدر نفسه: ١٧٧.
(٥) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٦) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٧) المصدر نفسه: ١٨٥.
(٨) المصدر نفسه: ١٧٩.
(٩) ديوان الحطيئة: ٩.
(١٠) المصدر نفسه: ١٦.
(١١) ديوان الأعشى: ١٧٧ و ١٧٩.
(١٢) المصدر نفسه: ١٧٩.
(١٣) ابن الجون الأشعري – مصدر سابق: ١٣٧.
(١٤) ديوان الأعشى: ١٧٧.
(١٥) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(١٦) ابن الجون الأشعري – مصدر سابق: ١٣٧.
(١٧) ديوان الأعشى: ١٧٩.
(١٨) ابن الجون الأشعري – مصدر سابق: ١٣٧.
(١٩) ديوان لبيد بن ربيعة: ٣٤٣.
(٢٠) ديوان الحطيئة: ٩.
(٢١) ديوان الأعشى: ١٧٧.
(٢٢) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٢٣) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٢٤) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٢٥) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٢٦) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٢٧) المصدر نفسه: ١٧٩.
(٢٨) محمد بن حبيب – المنمق: ٩٨.
(٢٩) ديوان الأعشى: ١٧٩.
(٣٠) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٣١) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٣٢) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٣٣) المصدر نفسه: ١٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- (عرض[١]، أبويكم[٢]، أبوكما[٣]، آبائهم[٤]، أهلهم أهلي[٥]، نسل ...نسلي[٦]).
- (مجد[٧]، ماجد[٨]، كـــريم[٩]، فاضل[١٠]، مكرمة[١١]، الباع[١٢]، أرمة[١٣]، تراث[١٤]، أثيل[١٥]، فضل[١٦]، مكارم[١٧]).

ونجد ذكرا لأسماء المتنافرين ومناصريهم وأسماء القبائل، ومنهم:

- (عَلْقَمَة بن عُلاثَة[١٨]، عَامِر بن الطُّفَيْل[١٩]، مالك بن الطفيل[٢٠]، عمرو ابن عامر[٢١]، عقيل بن الطفيل[٢٢]، حرب[٢٣]، شيبة الحمد[٢٤] وهو لقب عبد المطلب بن هاشم ، محمد بن الجلاح[٢٥]، الجلاح[٢٦]، عبد عمرو[٢٧] " من بني الأحوص " ، جعفر بن كلاب[٢٨]).

---

(١) ديوان الحطيئة: ٩.

(٢) ديوان الأعشى: ١٨٥.

(٣) محمد بن حبيب – المنمق: ٩٧.

(٤) ديوان لبيد بن ربيعة: ٣٤٣.

(٥) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٦) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٧) محمد بن حبيب – مصدر سابق: ٩٦.

(٨) ديوان الحطيئة: ٨ و ٩ و ١٦.

(٩) المصدر نفسه: ٩.

(١٠) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(١١) المصدر نفسه: ١٦.

(١٢) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(١٣) محمد بن حبيب – مصدر سابق: ٩٦. وانظر: ديوان الحطيئة: ١٦.

(١٤) ديوان الحطيئة: ٩.

(١٥) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(١٦) ديوان الحطيئة:٨.

(١٧) ابن الجون الأشعري – الرياض الأدبية في شرح الخرطاشية: ١٣٧.

(١٨) ديوان الأعشى: ١٧٧ و ١٧٩ و ١٨١ و ١٨٥.

(١٩) المصدر نفسه: ١٧٧. وانظر: ديوان الحطيئة: ١٦.

(٢٠) ديوان الحطيئة: ٩و١٦.

(٢١) المصدر نفسه: ٩. وانظر : ابن الجون الأشعري – مصدر سابق: ١٣٧.

(٢٢) ديوان الحطيئة: ٩.

(٢٣) محمد بن حبيب – مصدر سابق: ٩٧.

(٢٤) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٢٥) ابن الجون الأشعري – مصدر سابق: ١٣٧.

(٢٦) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٢٧) ديوان الأعشى: ١٨٥.

(٢٨) المصدر نفسه: ١٧٩ و ١٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- (بنو الأحوص[١]، بكر بن وائل[٢]، بنو مالك[٣]، مَعَدّ[٤]، قريش[٥]، قحطان[٦]، غسان[٧]، كلاب[٨]).

كما جاءت في المنافرات ألفاظ تدل على العلوّ مثل:

- (يرتقوا[٩]، يرقى[١٠]، فوقها[١١]، فوقكم[١٢]، أعلى[١٣]، الرُّبى[١٤]، نِيْق[١٥]، العلا[١٦]، شمّ[١٧]، شوامخ[١٨]).

ونجد ألفاظا تدل على الكثرة، مثل:

- (أربى[١٩]، أكثر[٢٠]، زاخر[٢١]، زادوا[٢٢]، زدتَ [٢٣]).

ونجد ألفاظا تدل على التضاد، مثل:

- (بادٍ" بادي "- حاضر[٢٤] ، وارد – صادر[٢٥]، المنفور – النافر[٢٦]، السِّلم – الهيجاء[٢٧]، جاش – ساجٍ[٢٨]).

---

(١) ديوان لبيد بن ربيعة: ٣٤٣. وانظر: ديوان الأعشى: ١٧٧ و ١٨٥ .

(٢) ديوان الأعشى: ١٨٥.

(٣) المصدر نفسه: ١٧٩.

(٤) محمد بن حبيب – المنمق: ٩٦.

(٥) المصدر نفسه: ٩٨.

(٦) ابن الجون الأشعري – الرياض الأدبية في شرح الخمرطاشية:١٣٧.

(٧) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٨) ديوان الحطيئة: ١٦.

(٩) المصدر نفسه:٩.

(١٠) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(١١) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(١٢) محمد بن حبيب – مصدر سابق: ٩٨.

(١٣) المصدر نفسه:٩٦.

(١٤) المصدر نفسه: ٩٨.

(١٥) المصدر نفسه: ٩٦.

(١٦) ديوان الأعشى: ١٨٧.

(١٧) ابن الجون الأشعري – مصدر سابق: ١٣٧.

(١٨) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(١٩) ديوان الحطيئة: ٨.

(٢٠) ديوان الأعشى: ١٧٩.

(٢١) المصدر نفسه: ١٧٧.

(٢٢) المصدر نفسه: ١٨٥.

(٢٣) المصدر نفسه: ١٨٧.

(٢٤) ديوان الأعشى: ١٨١.

(٢٥) المصدر نفسه: ١٧٩.

(٢٦) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٢٧) المصدر نفسه: ١٨٣.

(٢٨) المصدر نفسه: ١٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرد في قصائد المنافرات اسم الفاعل كثيرا، مثل:

- (نازل[١]، ماجد[٢]، الواهب[٣]، الناقض[٤]، اللابس[٥]، كابر[٦]، السامع[٧]، ضاحك[٨]، الوارد[٩]، نائل[١٠]، غافل[١١]، الـــــواني[١٢]، عالم[١٣]، سامع[١٤]، سادر[١٥]، باد[١٦]، سابح[١٧]، صـــــارم[١٨]، باسلة[١٩]، المطعمون[٢٠]، الجاعلون[٢١]، الشافعون[٢٢]، التاجر[٢٣]، السامر[٢٤]، الناظر[٢٥]، وغيرها من الكلمات التي وردت في رائية الأعشى في القافية خاصة[٢٦]).

مما سبق نلاحظ أن معجم قصائد المنافرات يدور حول الافتخار بالنسب، وأن أسماء المتنافرين وقبائلهم تترد كثيرا، وأن الشعراء يعمدون إلى اختيار الألفاظ الدالّة على التضاد والكثرة والعلو؛ لأن

---

(١) ديوان الحطيئة: ٨.
(٢) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٣) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٤) ديوان الأعشى: ١٧٧.
(٥) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٦) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٧) المصدر نفسه، الصفحة نفسها و ١٨١.
(٨) المصدر نفسه: ١٧٧.
(٩) المصدر نفسه: ١٧٩.
(١٠) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(١١) المصدر نفسه: ١٨١.
(١٢) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(١٣) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(١٤) المصدر نفسه، الصفحة نفسها و ١٧٧.
(١٥) المصدر نفسه: ١٨٨.
(١٦) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(١٧) المصدر نفسه: ١٨٣.
(١٨) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(١٩) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٢٠) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٢١) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٢٢) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٢٣) المصدر نفسه: ١٧٥.
(٢٤) المصدر نفسه: ١٧٧.
(٢٥) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٢٦) المصدر نفسه: ١٧٥ – ١٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشاعر يحاول أن يثبت أن من يناصره أفضل من خصمه، ويستعمل اسم الفاعل لذلك، وينفي الصفات الحميدة عن خصم منافره.

وعند تأمل الأساليب في قصائد المنافرات نجدها متنوعة، وأكثرها دورانا أسلوب النفي والشرط، ويكثر أسلوب النفي لأن الشاعر مهتم في المنافرات بإثبات الصفات الكريمة والمآثر لمناصره من المتنافرين، وينفي عنه كل المساوئ والمثالب، ويعمد إلى عكس ذلك مع خصم منافره.

عند قراءة رائية الأعشى نجد أن أسلوب النفي يطغى على بقية الأساليب في هجائه لعَلْقَمَة ابن عُلاثَة؛ ليسلبه كل الفضائل والمآثر، ونقف عند بعض الأبيات التي كثر فيها أسلوب النفي عند الأعشى في هجائه لعلقمة، وهي:

١. ولستَ بالأكْثرِ منْهُمْ حَصَىً ... وَإنَّمَا العِزَّةُ لِلْكَاثِرِ
٣. وَلَسْتَ في الأَثْرِينَ مِنْ مالِكٍ ... وَلا أَبِي بَكْرٍ ذَوِي النَّاصِرِ
٣. وَلَسْتَ في السِّلْمِ بِذِي نَائِلٍ ... وَلَسْتَ في الهَيْجَاءِ بِالجَاسِرِ[١]

ولا يقصر الأعشى أسلوب النفي على الهجاء، وإنما يمدح نفسه بادعاء تحكيمه باستخدام النفي، لكنّه يكثر من أسلوب النفي في الهجاء وخاصة مع الفعل الناقص ليس، ومن ثمّ فقد سلب الأعشى علقمة الفضائل النفسية وهو أجود الهجاء، ومن هذه الفضائل التي سلبه إياها الكرم والشجاعة والقوة والثراء وغيرها من الصفات، ونجد أن الحطيئة يستخدم أسلوب النفي أيضاً في التعريض بأبناء طفيل، حيث يقول:

وَرِثْتَ تُرَاثَ الأَحْوَصَيْنِ فَلَمْ يَضِعْ ... إِلَى ابْنَيْ طُفَيْلٍ مَالِكٍ وَعَقِيلِ[٢]

أما الأسلوب الأخير الذي ورد بكثرة في قصائد المنافرات، فهو أسلوب الشرط، ولقد كثر لأن الشعراء رغبوا في إظهار من يناصرون من المتنافرين، وخصومهم في الأحوال جميعها؛ ليثبتوا أن من يناصرونه يتقدم على خصمه، ومما جاء من أسلوب الشرط في شعر الحطيئة، قوله:

إِذَا قَايَسُوهُ المَجْدَ أَرْبَى عَلَيْهُمُ ... بِمُسْتَفْرِغٍ مَاءَ الذِّنَابِ سَجِيلِ

(١) ديوان الأعشى: ١٧٩.
(٢) ديوان الحطيئة: ٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَإِنْ يَرْتَقُوا فِي خُطَّةٍ يَرْقَ فَوْقَهَا بِثَبْتٍ عَلَى الضَّاحِي المَزِلِّ رَجِيلِ[١]

ويقول:

فَإِنْ عُدَّ مَجْدٌ فَاضِلٌ عَدَّ مِثْلَهُ

وَإِنْ أَثَّـلُـوا لاقَاهُـــــمُ بِأَثِيلِ[٢]

مما سبق يتضح أن الحطيئة يصف عَلْقَمَة بن عُلاثَة بالتفوق على من يحاول مجاراته في الفضائل والمجد؛ ولذا يستخدم أسلوب الشرط؛ ليصور علقمة ومن يجاريه في الفضل في حالات ومجالات مختلفة للمجد.

نجد أسلوب الشرط عند الأعشى أيضا في قوله:

إِنِّي رَأَيْتُ الحَرْبَ إِنْ شَمَّرَتْ دَارَتْ بِكَ الحَرْبُ مَعَ الدَّائِـــرِ[٣]

وظف الأعشى في البيت السابق أسلوب الشرط ليبين رأيه فيما سيحدث لو وقعت حرب، حيث لن يكون عَلْقَمَة بن عُلاثَة إلا مغلوبا خاسرا، ويؤكد هذا المعنى في قصيدته الصادية في قوله:

فَإِنْ يَلْقَ قَوْمِي قَوْمَـــهُ تَرَ بَيْنَـــهُمْ قِتَالاً وَأَكْسَارَ القَنَـــا وَمَدَاعِصَـــا[٤]

فالأعشى يرى في البيت السابق أن قومه لو التقوا بقوم علقمة فلن تكون نتيجة الحرب إلا هزيمة قوم علقمة، كما وظف الأعشى الأساليب الإنشائية للسخرية من علقمة والنظر إليه نظرة دونية لذا أكثر من استخدام أسلوب الأمر والنهي عند حديثه إلى علقمة، فهو أشبه بطفل صغير أو عبد يحتاج إلى توبيخ ولوم:

- أسلوب الأمر: (انْظُرْ[٥]، اسمعْ[٦]، فاقْنَ[٧]).
- أسلوب نهي: (لا تسفه[٨]، لا تجعلْن[٩]).

---

(١) ديوان الحطيئة: ٨.

(٢) المصدر نفسه: ٩.

(٣) ديوان الأعشى: ١٨١.

(٤) المصدر نفسه: ١٨٧.

(٥) المصدر نفسه: ١٨١.

(٦) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٧) المصدر نفسه: ١٧٩.

(٨) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٩) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما يؤكد أن الأعشى ينظر إلى علقمة نظرة دونية قوله:

فَهَلْ كُنْتُمُ إلاّ عَبِيـــــــدًا وَإِنَّمَـــــا تُعَدُّونَ حُوصًـــا في الصَّدِيقِ لَوَامِصَا[1]

مما سبق نلاحظ أن أكثر الاستشهاد يأتي من شعر الأعشى؛ لأن عدد أبيات شعره في منافرة علقمة وعامر خمسة وثمانون بيتا، بينما عدد أبيات قصيدتي الحطيئة واحد وثلاثون بيتا، فالظواهر الفنية للمنافرات بذلك تتضح أكثر في شعر الأعشى من شعر الحطيئة.

٤. التصوير:

لقد كثرت الصور الفنية في شعر المنافرات؛ ولجأ إليها الشعراء؛ لتقريب الفكرة إلى أذهان الناس خاصة وأنها تناولت في تصويرها بعض مظاهر الحياة اليومية، مثل التشبيه التالي في شعر الحطيئة، حيث يقول:

وَجُرْثُومَةٍ لا يَقْـــرُبُ السَّيْلُ أَصْلَهَـــا فَقَدْ صَدَّ عَنْهَا المَاءُ كَلَّ مَسِيـــــلِ[2]

فالحطيئة يشبه مجد علقمة بالجرثومة، وهو أصل الشجرة، ولعله اختار الجرثومة؛ ليشير إلى كرم نسب علقمة وقومه، وقد جعل السيل لا يستمر في جريانه إن تحدر إلى أصلها، فهو يحتبس؛ لأن هذه الشجرة ضاربة جذورها في الأرض بحيث يصعب على السيل اقتلاعها، فإن غامر السيل وحاول فإنه يتوقف عن الجريان وينحبس، فلا يعود سيلا بعد ذلك.

وقد شبه المتنافر في بعض شعر المنافرات بالنور والمصباح، كما جاء في قول نُفَيْل بن عَبْد العُزَّى مادحا عبد المطلب بن هاشم:

وَشَيْبَـــــةُ الحَمْدِ نُورٌ يُسْتَضَاءُ بِـــهِ إِذَا تَخَطَّـــا إِلى المَشْبُوبَـــــةِ الفَـــزَعُ
وَرَاحَتْ الشَّوْلُ حَدْبًـــا في مَرَاتِعِهَـــا حَوْلَ الفَنِيقِ رَسِيـــلاً مَا لَـــهُ تَبَـــعُ[3]

---

(١) ديوان الأعشى: ١٨٧. الحُوص تعني النقص، ومن يأخذ ما يعطيه للآخرين. اللَّوامِص:المغابون. انظر ابن منظور – لسان العرب، مادة"حوص"و " لمص ".

(٢) ديوان الحطيئة: ٩.

(٣) محمد بن حبيب – المنمق: ٩٧. الفَنِيق:الفحل المكرم الذي لا يؤذي ولا يركب لكرامته، جمعه الفُنُق وأفناق. الرَّسيل: الفحل العربي يرسل في الشول ليضربها. انظر ابن منظور – مصدر سابق، مادة" فنق"و " رسل ".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فنُفَيْل بن عَبْد العُزَّى يشبه عبد المطلب بن هاشم بالنور، وهذا التشبيه له دلالة مادية تتمثل في جمال عبد المطلب ووسامته، ومعنوية تتمثل في دور عبد المطلب بين قومه، ولو اكتفى نُفَيْل بن عَبْد العُزَّى بتشبيه عبد المطلب بالنور لكانت الصورة مألوفة، لكنّه وصفه بالنور الذي يحتاج إليه الناس، إذا كانت النار الموقدة تتحرك كثيرا بفعل الريح، ودور عبد المطلب في قبيلته يتأكد من خلال البيت الثاني، فهو مثل الفحل المكرّم الذي لا يركب ولا يؤذى، وهذا يدل على الدور البارز الذي اضطلع به عبد المطلب بن هاشم بين قومه.

وفي شعر المنافرات نجد صورا فنية تبنى على أساس المقارنة بين المتنافرَيْن، وهي تعتمد على بنية قصيدة المنافرة، حيث يمدح الشاعر من يناصره، ويهجو خصم من يناصر، فالشاعر يعمد إلى وصف من يناصره مادحا إيّاه، ويصف خصم منافره ذامّا له، من خلال التصوير الفني ونجد هذه الصور لدى الشعراء، لكنّها تكثر عند الأعشى؛ لطول قصيدتيه في المنافرات علاوة على أنه ركز اهتمامه على مدح عَامِر بن الطُّفَيْل وهجاء عَلْقَمَة بن عُلاثَة، في حين ركز بقية الشعراء وهم الحطيئة ونُفَيْل بن عَبْد العُزَّى والنابغة الذبياني اهتمامهم على مدح المنافِر الذي يناصرونه مع التعريض بخصم من يناصرونه.

ومن الصور النفنية التي تقوم على المقارنة بين المتنافرَيْن قول الأعشى مصورا حال عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعَامِر بن الطُّفَيْل:

مَا يُجْعَلُ الجُـــدُّ الظَّنُونُ الـــذِّي ... جُنُّبَ صَوْبَ اللَّجِبِ الزَّاخِـــرِ
مِثْلَ الفُرَاتِـــــــيِّ إِذَا مَا طَـــمَا ... يَقْذِفُ بِالبُوصِـــيِّ وَالمَـــاهِرِ[1]

وتقوم الصورة في البيتين السابقين على أساس المقارنة، فبعد البيتين اللذين وضّح فيهما الأعشى أن سيادة عَلْقَمَة بن عُلاثَة محصورة في بني الأحوص بينما سيادة عَامِر بن الطُّفَيْل قد امتدت على بني عامر كلهم ومنهم بنو الأحوص؛ لذا صوّر الأعشى سيادة علقمة المحصورة في بني الأحوص بالبئر التي لا يعرف إن كان فيها ماء قليل أم لا، وقد جنّب أيضا الماء الزاخر للدلالة على أن خير علقمة محدود وسيادته محصورة، بينما صوّر عَامِر بن الطُّفَيْل بالفرات الزاخر الذي يجيش فيقذف بالطمى والسبّاح الماهر، فهو مصدر الخير للناس، وسيادته شاملة للجميع.

ومن الصور الفنية الأخرى التي تقوم على المقارنة قول الأعشى:

---

(١) ديوان الأعشى: ١٧٧. الجُدُّ الظَّنُون: البئر القليل الماء. البُوصيّ: الملاح. انظر : ابن منظور – لسان العرب، مادة " بوص " و " ضن ".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أَتُوعِدُنِـــي أَنْ جَاشَ بَحْرُ ابْنِ عَمِّكِـــمْ وَبَحْرُكَ سَاجٍ لا يُوارِي الدَّعَامِصَا[١]

يصوّر الأعشى عامرا بالبحر الذي يضطرب، وهذا التصوير يحمل عدة دلالات منها الخير والعطاء والقوة، ويدل أيضاً على الحركة والحيوية، وبهذا فإن عامرا مصدر خير وكرم وحياة لقبيلته وقومه، على خلاف علقمة الذي يصوره الأعشى بالبحر الراكد الساكن والميت الذي لا تنمو فيه أحقر الديدان، وبهذا فخير علقمة محدود ولا دور له بين قومه، فهو خامل الذكر.

وممن وظّف الصور الفنية القائمة على المقارنة الحطيئة، وذلك في قوله:

فَصُدُّوا صُدُودَ الوَانِي أَبْقَى لِعِرْضِكُمْ بَنِي مَالِكٍ إِذْ سُـــدَّ كُـــلُّ سَبِيلِ
وَمَا جُعِـــلَ الصُّعُرُ اللِّئَامَ خُدُودُهَا كَآدَمَ قَلْبٍ مِنْ بَنَاتِ جَدِيـــــلِ[٢]

هنا يصور الحطيئة عَامِر بن الطُّفَيْل بالإبل الدنيئة الخسيسة المصابة بالصعر، وهو داء يصيب البعير فيلوي عنقه، وهذا إشارة إلى ما اتصف به عامر من التكبر والخيلاء، وفي المقابل يصور علقمة بالإبل الإصيلة البيضاء وهي من بنات جديل، وهو فحل للنعمان بن المنذر وهي بهذا من الإبل الأصيلة الكريمة السلالة مع ملاحظة أن الحطيئة لم يشر ولم يذكر الأسماء صراحة في تصويره مثل الأعشى، لكنّنا نستطيع تلمس ذلك من خلال سياق القصيدة، حيث أن البيت السابق لهذا البيت يؤكد ما نذهب إليه، حيث يطلب فيه الحطيئة من بني مالك أن يتوقفوا عن هذه المنافرة التي سيخسرونها حتما، وليحافظوا على أعراضهم وأنسابهم.

وممن عمد إلى الـــمقارنة بين المتنافرين من خلال الصورة الفنية نُفَيْل بن عَبْد العُزَّى، فقارن بين حَرْب بن أُمَيَّة وعبد المطلب بن هاشم حين احتكما إليه فقال:

أَبُوكُمَا وَاحِـــدٌ وَالفَرْعُ بَيْنَكُمَـــا مِنْهُ الخِشَاشُ وَمِنْـــهُ النَّاضِرُ اليَنِـــعُ[٣]

شبّه نُفَيْل بن عَبْد العُزَّى المتنافرين بشجرة واحدة؛ لأنهما من أصل واحد، وفي هذه الشجرة فرعان، الخِشَاش وهو العود الذي يوضع في أنف الناقة، والفرع الناضر اليانع، ولعلّه شبّه حَرْب بن أُمَيَّة

(١) ديوان الأعشى: ١٧٨.
(٢) ديوان الحطيئة: ٩.
(٣) محمد بن حبيب – المنمق: ٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا: النثر

النثر الجاهلي الذي وصل إلينا قليل بالمقارنة مع ما وصلنا من الشعر، فلم يصلنا إلا عشر المنثور، على الرغم من كثرته[١]، ومن أقسام هذا النثر الخطب والوصايا وسجع الكهّان، وبعض المنافرات والمفاخرات والأمثال.

أما ما وصل إلينا من نثر المنافرات فيتمثل في سجع الكهّان وخطبتين وحوار المتنافرين وبعض الأمثال، ولابد من الإشارة إلى أن أخبار المنافرات لم تصل إلينا كاملة، فلا نجد أحيانا أخبار المتنافرين وأسباب المنافرة وظروفها، وخير مـــثـــا ل على ذلك منافرة سُبَيْع بن الحَرْث ومَيْثَم بن مُثَوِّب، ومنافرة قريش وخزاعة.

وسنقف عند أقسام النثر الجاهلي في المنافرات؛ لنعطي لمحة عامة عنها وعن دورها في المنافرات ومضمونها، ثم نقف عند السمات الفنية للنثر.

أ- المضمون:

كثر سجع الكهّان في المنافرات، وخاصة في منافرة قبيلة قريش، فقد احتكموا إلى الكهّان، ونجد السجع مرتبطا بالكهان؛ لكثرة استخدامه في كلامهم، وورد أكثر سجعهم في المنافرات في القسم والأحكام ، وعن ذلك قال الجاحظ: " كانوا يتكهنون ويحكمون بالأسجاع"[٢] وهو من مطاعن الشعوبية على العرب[٣].

وقد أقسم الكهّان بالله سبحانه وتعالى، وبالبيت الحرام، وبمظاهر الطبيعة، وبالأصنام، وعمد الكهّان إلى تنفير أحد المتنافرين على الآخر دون مراعاة الأحداث التي قد تترتب على هذا الحكم، ودون النظر في صلات القربى التي تربط المتنافرين.

إن المنافرات والمفاخرات من أغراض الخطابة في العصر الجاهلي، علاوة على الوفادة والسفارات والمصاهرة والحث على الصلح وترك القتال، والتحريض على الحرب والنصح والإرشاد،

---

(١) انظر: الجاحظ – البيان والتبيين، ١: ٢٨٧.

(٢) المصدر نفسه، ١ : ٢٩٠.

(٣) المصدر نفسه، ٣: ٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي التهنئة والتعزية[١]. وهناك خطباء مشهورون في الجاهلية منهم من بني تميم ضَمْرة بن ضَمْرة وعمرو بن الأهتم وقيس بن عاصم، ومن خطباء إياد قس بن ساعدة، ومن خطباء قريش هاشم بن عبد المطلب وأمية بن حرب ونُفَيْل بن عَبْد العُزَّى وعُتْبة بن ربيعة، ومن خطباء القبائل الأخرى عامر ابن الظَّرِب العَدْواني وربيعة بن حُذار الأسدي[٢].

مما سبق نجد أن بعضا من هؤلاء الخطباء هم من حكّام المنافرات أيضا، لكننا لا نظفر بأخبار عن خطب لهؤلاء الحكام في المنافرات، ولا نستغرب إن جاء سجع في تنفير هؤلاء الحكام، فهم خطباء والسجع يستخدم كثيرا في الخطابة.

لدينا خطبتان قيلتا في المنافرات، الخطبة الأولى لمَرْثَد الخَيْر بن يَنْكَف بن مَعْديكَرِب، قالها للإصلاح بينسُبَيْع بن الحَرْث ومَيْثم بن مُثوِّب بن ذي رُعَيْن، فقد تنازعا رئاسة القبيلة، وتنافرا إلى مَرْثَد الخَيْر، فبيّن لهما عواقب التشاحن، وما تؤدي إليه من حروب وهلاك. ودعاهما إلى عدم قطع صلة الرحم، فهما من أب واحد وإن اختلفت الأم، فعليهما أن يتعظا بمن سبقهما، ممن لم يستمعوا إلى النصح، فجرّ ذلك عليهم هلاكا.

في خطبة مَرْثَد الخَيْر لا نستمع إلى صوت الخطيب فقط، فالمتنافران ردا على خطبة الخطيب، وأولهما سُبَيْع بن الحرث، وهو يرى أن عداوة ذوي الأرحام لا ينفع معها الدواء؛ لأنها نابعة من الحسد الكامن في النفوس. وافتخر بعونه لأبناء أبيه ومنهم مَيْثم بن مُثوِّب، فهو يدافع عنهم، ويساعدهم عند العوز والمجاعة، ويعرض بأخيه فلا يراه عريقا في نسبه رغم ادعائه ذلك. فلا يجد مَيْثَم ابن مُثَوِّب إلا أن يرد على أخيه ردا يدل على رجاحة عقله، فهو يرى أن سُبَيْعا أحق بالملامة لأنه ينال منه في المجالس، ويدحض مزاعم سُبَيْع ، فهو وقومه يردون جميل أخيهم بمثله، ويفتخر بأصله، مبينا أسباب الفخر وهي: كثرة العدد والمال، وهذه لا تنقصهم، فلم يتكبر أخوه عليهم ويفتخر! ثم يختم كلامه بالأحكام التي يقضى بها في مثل هذه الحال، وهي: الحرب أو السلم أو المسامحة.

إن مَرْثَد الخَيْر يختم خطبته بعد أن استمع إلى المتنافرَيْن داعيا إياهم إلى المسامحة، ونبذ الأحقاد؛ لأنها السبيل الأمثل والأرشد، ويستشهد علىذلك بأبيات من الشعر منها:

وَلا تَجْنِيا حَـــــرْباً تَجُرُّ عليكما
عَواقِبها يَوْماً من الشَّرِّ أَشأما

(١) انظر: جواد علي – المفصل، ٨: ٧٧٥. وانظر: شوقي ضيف – العصر الجاهلي: ٢١٤.
(٢) انظر: الجاحظ – البيان والتبين، ١: ٣٠٦ وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإن جُنَاة الحَرْبِ للحَيْنِ عُرْضةٌ
تُفَـــوِّقُهم منها الذُّعَاف الُمقَشَّما

حـــــذَارِ فلا تَسْتنبِئُوها فإنها
تُغادِرُ ذا الأنف الأَشَمّ مُكَشَّما[١]

لقد انتهت هذه المنافرة بالإصلاح بين المتنافريْن.

أما الخطبة الأخيرة في المنافرات فهي خطبة هاشم بن عبد مناف للإصلاح بين قبيلة قريش وقبيلة خزاعة، وبدأ خطبته بتوضيح نسب قريش، فهم من آل إبراهيم وذرية إسماعيل عليهما السلام، وبذلك ذكر المستمعين له بمكانة قريش، وبحقوق المتحالفين، ونصحهم باكتساب المعروف والمجد، وبالتحلي بمكارم الأخلاق.

إننا عندما نتأمل الخطبتين نجد أن خطبة مَرْثَد الخَيْر تميزت بتسلسل الأفكار، وبترتيب منطقي، حيث بدأ خطبته، بتوضيح عواقب الإصرار على المضي في طريق الشر، وضرب للمتنافريْن مثلا ممن سبقهم، وما صاروا إليه من حال، داعيا إياهما إلى التسامح والتصالح قبل استفحال الأمر بينهم. ولا يخلو كلام المتنافريْن من تسلسل الأفكار وتنظيمها، واستخلاص النتائج منها في نهاية القول، ونجد ذلك واضحا في رد ميثم بن المثوب الذي ختم كلامه بقوله: " مَقَاطع الأمور ثلاثة: حَرْبٌ مُبِيرةٌ، أو سِلْم قَرِيرةٌ، أو مُدَاجاة غَفِيرة "[٢].

تبدو خطبة هاشم بن عبد مناف للوهلة الأولى، مشتتة الأفكار، وأن قائلها قد ارتجلها دون تفكير، لكننا نجد أن هذه الخطبة تمتاز بترتيب أفكارها في الفقرة الأولى التي وضح فيها مكانة قريش أو دورهم، وفي بقية الخطبة يحرص على سرد مكارم الأخلاق، وأثـــــرها في تعبيرات موجزة منها " الحلم شرف، والصبر ظَفَر، والمعروف كتر...، والجهل سفه، والأيام دُوَل، والدهر غِيَر، والمرء منسوب إلى فعله، ومأخوذ بعمله "[٣]، فالحلم يكسب الإنسان الشرف ومحبة الآخرين له، والصبر على الشدائد يؤدي إلى الظفر والنصر. هذه هي المكارم التي يدعو إليها هاشم بن عبد مناف لسببين: أولهما أن من طبع الأيام التغير والتبدل، وآخرهما أن الإنسان ينسب إلى فعله وعمله، وبهذا يمهد لما

---

(١) القالي- الأمالي، ١: ٩٣.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة نفسها. مبيرة: مهلكة. ومُداجاة: مصالحة ومساعة. انظر: القالي – الأمالي، ١: ٩٤.

(٣) الماوردي – أعلام النبوة: ١٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سيأتي في نهاية الخطبة حيث ينصحهم بإكتساب المجد والمعروف. وبهذا تتشابه الخطبتان في مضمونهما المتمثل في أن اللجاج يفضي إلى البغي والهلاك؛ لذا فإن الحكيم والحليم هو من اتعظ بمن سبقه، وأن الخير في المسامحة والمصالحة.

لقد شاعت بعض الأمثال التي قيلت في المنافرات، وخير نموذج على ذلك المثل الذي جاء على لسان هَرِمْ بن قُطْبَة حين ساوى بين عَامِر بن الطُّفَيْل وعَلْقَمَة، فقال: " أنتما كركبتي البعير "(١)، لكننا نجد التعبير بـــ "هما كَرُكبتي البعير "(٢) في كتب الأمثال. وقد يكون هذا التشبيه شائعا ومتداولا في الجاهلية؛ لأننا نجده عند أكثر من شخص خاصة في تحكيم المنافرات(٣)، ولعله اكتسب شهرة حين قيل في منافرة علقمة وعامر، وهناك مثل آخر غير مشهور هو " هما كَعِكْمي العِير "(٤)، ويضرب للرجلين المتساويين في الشرف والمكانة.

ويضرب المثل في عـــــدل هَرِم بن قُطْبَة فيقال: "أحكم من هَرِم بن قُطْبَة "(٥)، وهناك مثل جاء على لسان عَامِر بن الطُّفَيْل، ولا نجده إلاّ في خبر الأصفهاني حيث يقول : " عتر وتيس، وتيس وعتر، فذهب مثلا "(٦). وبذلك لا تكون منافرة علقمة وعامر أكثر حظّا في نقل أخبارها، ونقل أشعارها فقط، وإنما في كثرة الأمثال فيها أيضا.

ومن الأمثال التي قيلت في المنافرات: " الخيل مَيامين "(٧)، وقيل المثل على لسان جَرِير بن عبدالله البَجَلِيّ حين ركب الخيل من وَحْشِيَّه، " فقالوا: لم تُحْسِن تركب الفرس، فقال جرير: إن الخيل ميامين، وأنا نركبها من وجوهها "(٨)، أي أن جريرا يركب الفرس من شقّه الأيمن؛ لأن الخيل مباركة. وقد يأتي المثل على لسان الحكم المنفّر ليرد على اعتراض المنفور الخاسر، ومنه المثل: " ما جُعِل العبد كَرَبِّه "(٩) وقد جاء على لسان ربيعة بن حُذار.

---

(١) الأصفهاني – الأغاني، ١٦: ٢٩٢.

(٢) الميداني – مجمع الأمثال، ٣: ٤٧٧.

(٣) جاء التعبير عند سفيان بن حرب، انظر: الأصفهاني – مصدر سابق، ١٦: ٢٨٧. وعند قوم ربيعة بن حذار الأسدي، انظر: أبو العلاء صاعد البغدادي – كتاب الفصوص، ٥: ٣٠.

(٤) ابن منظور – لسان العرب، مادة " عكم "، والعِكْمان هما عِدْلان يشدّان على حاني المودج بثوب.

(٥) الميداني – مصدر سابق، ١: ٣٩٥.

(٦)الأغاني – مصدر سابق، ١٦: ٢٨٦." يريد مثلي ومثلك كالعير والتيس أو كالتيس والعنز إذ التيس أقوى على فُتاح من العنز"، المصـــــدر نفسه، حاشية رقم "٣"، ص٢٨٦.

(٧) الميداني – مصدر سابق ، ١: ٤٣٧.

(٨) أبوعبيدة – شرح نقائض جرير والفرزدق، ١: ٣١١.

(٩) الميداني – مصدر سابق، ٣: ٢٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يمكن الحديث عن ثنائية المدح والهجاء في النثر؛ لأن المتنافر في حواره مع المتنافر الآخر يعمد إلى مدح نفسه، وهجاء المتنافر الآخر، وما وصلنا من حوار عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعَامِر بن الطُّفَيْل يثبت ذلك، وقد يدور حوار بين المتنافرين، يحاول فيه كلّ منهما أن يثبت أنه افضل من الآخر، دون أن يهجوه، مثل حـــوار القَعْقَاع بن مَعْبَد بن زرارة وخالد بن مالك النهشلي، وقد يأتي حديث المتنافرين ردا على خطبة الحَكَم كما في منافرة سُبَيْع بن الحَرْث ومَيْثَم بن المُثوِّب عند مَرْثَد الخَيْر.

ولتأكيد ما سبق، نقف عند فقرات من حوار عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعَامِر بن الطُّفَيْل، حيث نقل الأصفهاني قائلا: " فقال له علقمة: والله أني أعزّ منك. إني لبَرّ وإنك لفاجر، وإني لوفي وإنك لغادر... فقال علقمة: والله إنك لكليل البصر، نَكِد النظر، وثّاب على حاراتك بالسحر "[١]. إن عَلْقَمَة بن عُلاثَة مدح نفسه بالبر والوفاء، وهجا عامرا واصفا إياه بالفجور والغدر، وهتك حرمات الجار، وضعف البصر.

ولا يعني هجاء المتنافر لخصمه الآخر أن يسلبه صفاته جميعها، فهو يثبت له هذه الصفات، وينفي المتنافر ما يقال عنه، ومما قاله علقمة بن عامر في هذا السياق: " أنت رجل تقاتل، والناس يزعمون أني جبان، ولأن تلقى العدوّ وأنا أمامك أعز لك من أن تلقاهم وأنا خلفك. وأنت جواد والناس يزعمون أني بخيل، ولست كذلك "[٢]. وقد يثبت المتنافر لنفسه صفات سلبية غير مستحبة، لكنّها صفات جسدية لا يملك أن يغيرها، و لا أن ينكرها مثل قول عامر محاورا علقمة: " بصري ناقص وبصرك صحيح... فقال علقمة: أنت رجل جسيم، وأنا رجـــل قَضِيف، وأنت جميل وأنا قبيح "[٣].

ونجد في خطبة مَرْثَد الخَيْر ثنائية المدح والهجاء أيضا تتجلى في رد سُبَيْع بن الحرث ومَيْثَم ابن مُؤَّب على مَرْثَد الخَيْر، لكنّنا لا نجد ذلك بتفصيل نظرا لكثرة الأفكار وإيجاز العبارات، ونقف عند رد سُبَيْع بن الحرث، حيث قال: "قد عَلِم بَنُو أبينا هؤلاء أنّا لهم رِدْءٌ إذا رَهِبوا، وغَيْثٌ إذا أجْدَبوا، وَعَضُدٌ إذا حاربوا، ومَفْزَعٌ إذا نُكِبوا، وإنا وإياهم كما قال الأوّل:

إذا مَا عَلَوا قالوا أبُونا وأمُّنا

وليس لهـــم عالِين أُمٌّ ولا أبُ "[٤]

---

(١) الأصفهاني – الأغاني، ١٦: ٢٨٦.

(٢) المصدر نفسه، ١٦: ٢٨٥.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٤) القالي – الأمالي، ١: ٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يفتخر سُبَيْع بن الحرث على ابن أبيه بأنه يحميهم ويدافع عنهم، ويعطيهم في زمن المجاعة، وينكر عليهم أساس المنافرة وهو كرم الأصل وعراقة النسب، فيجعلهم غير أصيلين من ناحية الأب والأم. ويرد مَيْثَم بن مُثَوِّب على أخيه قائلا: "ولا يَتَفَيَّأ لهم علينا ظلُّ نعمة، إلا وقد قوبلوا بشَرْواها، ونحن بَنُو فَحْلٍ مُقْرِم، لم تَقْعُد بنا الأمَّهات ولا بهم، ولم تَنْزِعْنا أعراقُ السُّوءِ ولا إياهم، فعلام مطَّ الخدود وخَـزَرَ العُيون، والجَخيفُ والتَّصَعُّر والبَأْو والتكبر؟ ألكَثرة عدد أم لفَضْل جَلَد، أم لطول مُعْتَقَد؟ وإنَّا وإياهم لكما قال الأوَّل:

لاهِ ابنُ عَمِّك لا أَفْضَلْتَ في حَسَبٍ
عَنِّي ولا أنـــتَ دَيـــّاني فَتَخْزُوني"[١]

إن مَيْثَم بن مُثَوِّب يرد على ابن أبيه بأنهم يقابلون فضل أخيه وقومه بمثله، وهم كرماء النسب بسبب أبيهم، ولم يغض من هذا النسب انتماؤهم لأمهاتهم، ويستغرب من تكبر أخيه وقومه الذين ينظرون إليهم شَزْرا، وهم ليسوا أكثر من مَيْثَم بن مُثَوِّب وقومه من حيث العدد والمال، ولا أشدّ منهم تحملا وجلدا، ويختم قوله ببيت، مبينا فيه أن أخاه وقومه لا يفضلون عليهم في الحسب، ويهجو ميثم أخاه وقومه فيصفهم بالتكبر وينفي عنهم كثرة العدد والمال وشدة الاحتمال، ويفتخر بنسبه.

ب. اللغة:

يتشكل النثر في المنافرات من حقول دلالية متنوعة، وألفاظ مخصوصة تميزه عن غيره، ويمكن أن نجمل هذه الألفاظ فيما يأتي:

- ألفـــاظ تتعلق بالمنافرة: (تنافر[٢]، نافرت[٣]، فنفّر[٤]، أنافرك[٥]، تفضّل[٦]، نتحاكم[٧]، حاكمته[٨]، لأنافرنّه[٩]) .

---

(١) القالي – الأمالي، ١: ٩٢ – ٩٣. الجَخيف والبَأو: التكبر. لاه: أي لله ابن عمّك. الدَّيّان: القهار. انظر: المصدر نفسه، ١: ٩٤.

(٢) محمد بن حبيب – المنمق: ٩٥.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٤) الجاحظ – البيان والتبين، ١: ٢٩٠.

(٥) محمد بن حبيب – مصدر سابق: ١٠٥. وانظر: الأصفهاني – الأغاني، ١٦: ٢٨٤ و ٢٨٥. ذكرت لفظة أنافرك خمس مرات.

(٦) الأصفهاني – مصدر سابق، ١٦: ٢٩١.

(٧) محمد بن حبيب – مصدر سابق: ١٠٥.

(٨) المصدر نفسه: ١١٩.

(٩) الأصفهاني – مصدر سابق، ١٦: ٢٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- وألفاظ تتعلق بالنسب مثل (الحسب[١]، آباء[٢]، النسب[٣]، أب[٤]، أم[٥]، أعمامي[٦]، ابن عمك[٧]، مُقْرِم[٨]، عشيرة[٩]).

- ألفاظ تتعلق بالمجد مثل (المجد[١٠]، شرف[١١]، سؤدد[١٢]، رفعة[١٣]، السناء[١٤]، المآثر[١٥]، المفاخر[١٦]، الكرم[١٧]، المكارم[١٨]).

- أسماء المتنافريْن وقومهم (سُبَيْع بن الَحرْث[١٩]، مَيْثَم بن مُثَوِّب[٢٠]، سُويد ابن زرارة[٢١]، منظور[٢٢]، سيار[٢٣]، بدر[٢٤]، جابر[٢٥]، ربيعة[٢٦]، أبوعمرو[٢٧]، مَعْبد[٢٨]، زُرَارة[٢٩]، شَيْبان[٣٠]، محمد ابن أُحيحة[٣١]، الزِّبْرقان

---

(١) الأصفهاني – الأغاني، ١٦: ٢٨٤. وانظر: الماوردي – أعلام النبوة: ١٦٠.

(٢) الأصفهاني – مصدر سابق، ١٦: ٢٨٥.

(٣) المصدر نفسه، ١٦: ٢٨٤.

(٤) القالي – الأمالي، ١: ٩٢.

(٥) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٦) الأصفهاني – مصدر سابق، ١٦: ٢٨٥ و ٢٨٦، ذكرت ست مرات.

(٧) الأمالي – مصدر سابق، ١: ٩٢.

(٨) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٩) محمد بن حبيب – المنمق: ٩٥. وانظر: الأصفهاني – مصدر سابق، ١٦: ٢٨٥. وانظر: الماوردي – مصدر سابق: ١٦٠.

(١٠) محمد بن حبيب – مصدر سابق: ١٠٨.

(١١) المصدر نفسه: ١٠٨ و ١١٨. وانظر: أبو العلاء صاعد البغدادي – كتاب الفصوص، ٥: ٣٠١.

(١٢) محمد بن حبيب – مصدر سابق: ١١٨.

(١٣) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(١٤) المصدر نفسه: ١٠٧.

(١٥) أبو العلاء صاعد البغدادي – مصدر سابق، ٥: ٢٩٩.

(١٦) محمد بن حبيب – مصدر سابق: ١٠٧.

(١٧) المصدر نفسه: ١٠٧.

(١٨) المصدر نفسه: ١١٤.

(١٩) القالي – مصدر سابق، ١: ٩٢.

(٢٠) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٢١) أبو العلاء صاعد البغدادي – مصدر سابق، ٥: ٣٠١.

(٢٢) أبوعبيدة – الديباج: ٩٧.

(٢٣) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٢٤) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٢٥) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٢٦) أبو العلاء صاعد البغدادي – مصدر سابق، ٥: ٣٠٠ .

(٢٧) أوعبيدة – مصدر سابق: ٩٧.

(٢٨) أبو العلاء صاعد البغدادي – مصدر سابق، ٥: ٣٠١.

(٢٩) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٣٠) المصدر نفسه، ٥: ٢٩٩.

(٣١) الأسود الغندجاني – فرحة الأديب: ١٣٦ و ١٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن بدر[١]، عُيَيْنة بن حِصْن[٢]، زبَّان بن سيار[٣]) ويرد اسم عَامِر بن الطُّفَيْل وعَلْقَمَة بن عُلاثَة كثيرا.

- أسماء القبائل مثل (بنو قُصيّ[٤]، بنو مالك[٥]، بنو الأحـــوص[٦]، بنو جعفر[٧]، كِنَانة[٨]، قريش[٩]، مُضَر[١٠]، بنو فَزَارَة[١١]، بنولؤي[١٢]، بنو مَخْزُوم[١٣]، بنو النَّضْر[١٤]، بنو تميم[١٥]).

- أسماء أخرى: (آل إبراهيـــــم[١٦]، إسماعيل[١٧]، آدم[١٨]، حوّاء[١٩]، أسامة[٢٠]).

- وأسماء أماكن مثل (مكة[٢١]، الحرم[٢٢]، تِهامة[٢٣]، نجد[٢٤]، اليمامة[٢٥]، اليمن[٢٦]).

---

(١) ابن الجون الأشعري- الرياض الأدبية في شرح الخرطاشية: ١٣٦ و ١٣٧.

(٢) أبوعبيدة – الديباج: ٩٧.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٤) الماوردي – أعلام النبوة: ١٥٩ و ذكرت الكلمة أكثر من مرة في ص ١٦٠ .

(٥) الأصفهاني – الأغاني، ١٦: ٢٨٥.

(٦) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٧) المصدر نفسه، ١٦ : ٢٩٢.

(٨) الماوردي – مصدر سابق: ١٥٩.

(٩) محمد بن حبيب – المنمق: ١٠١و ١١٢. ذكرت الكلمة أكثر من مرة.

(١٠) أبو العلاء صاعد البغدادي – كتاب الفصوص، ٥ : ٣٠٠.

(١١) الميداني – مجمع الأمثال، ٣: ١٩٦.

(١٢) محمد بن حبيب- مصدر سابق: ١١٢.

(١٣) المصدر نفسه: ١١٢ و ١١٦.

(١٤) الماوردي – مصدر سابق: ١٥٩.

(١٥) ابن الجون الأشعري- مصدر سابق: ١٣٦. وانظر: أبو العلاء صاعد البغدادي – مصدر سابق، ٥ : ٣٠٠.

(١٦) الماوردي – مصدر سابق: ١٥٩.

(١٧) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(١٨) أبو العلاء صاعد البغدادي – مصدر سابق، ٥ : ٢٩٩.

(١٩) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٢٠) محمد بن حبيب- مصدر سابق: ١١٦ .

(٢١) الماوردي – مصدر سابق: ١٦٠ .

(٢٢) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٢٣) محمد بن حبيب- مصدر سابق: ١٠٦ و ١٠٨ و ١١٥ .

(٢٤) المصدر نفسه: ١٠٦.

(٢٥) المصدر نفسه: ١٠٨.

(٢٦) المصدر نفسه: ١١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- أسماء الأصنام: (اللات[١]، العُزى[٢]، إساف[٣]، نائلة[٤]، شَمْس[٥]، يَعُـوق[٦]، ذو الخَلَصة[٧]، نَسْر[٨]، وَدّ[٩]، مَناة[١٠]).

- وترد بعض الألفاظ الغريبة مثل (رَمَع[١١]، مَعْق[١٢]، الفَلَنْـــدح[١٣]، المُذلَّق[١٤]، مُدَمْلَق[١٥]، الفَدْفد[١٦]، عُنْدَد[١٧]).

- صيغة أفعل التفضيل، وهي ترد بكثرة من مثل (أطعم[١٨]، أطول[١٩]، أكثـر[٢٠]، أثبت[٢١]، أهون[٢٢]، أسرح[٢٣]، أحد[٢٤]، أحسن[٢٥]، أجعد[٢٦]، أكرم[٢٧]، أنفذ[٢٨]، أمضى[٢٩]، أشد[٣٠]، أجزل[٣١]، أقل[٣٢]، أوســـم[٣٣]،

---

(١) أبوعبيدة – شرح نقائض جرير والفرزدق، ١: ٣٠١.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٤) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٥) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٦) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٧) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٨) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٩) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(١٠) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(١١) محمد بن حبيب – المنمق: ١١٠.

(١٢) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(١٣) المصدر نفسه: ١٠٦.

(١٤) المصدر نفسه: ١١٠.

(١٥) المصدر نفسه: ١٠٧.

(١٦) المصدر نفسه: ١١٣.

(١٧) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(١٨) الأصفهاني – الأغاني، ١٦: ٢٨٤ و ٢٨٦ .

(١٩) المصدر نفسه، ١٦: ٢٨٤. وانظر: محمد بن حبيب – مصدر سابق: ٩٥.

(٢٠) الأصفهاني – مصدر سابق، ١٦: ٢٩٢. وانظر: محمد بن حبيب – مصدر سابق: ٩٥.

(٢١) الأصفهاني – مصدر سابق، ١٦: ٢٨٤. وانظر: محمد بن حبيب – مصدر سابق: ١١٢. ذكر أكثر من مرة.

(٢٢) الماوردي – أعلام النبوة: ١٦٠.

(٢٣) الأصفهاني – مصدر سابق، ١٦: ٢٨٥ .

(٢٤) المصدر نفسه، ١٦: ٢٨٤.

(٢٥) المصدر نفسه، ١٦: ٢٨٤.

(٢٦) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٢٧) المصدر نفسه، الصفحة نفسها. وانظر أيضا في الأغاني: ٥: ٢٣.

(٢٨) المصدر نفسه، ١٦: ٢٩٢.

(٢٩) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٣٠) محمد بن حبيب – مصدر سابق: ١٠١ .

(٣١) المصدر نفسه: ٩٥.

(٣٢) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٣٣) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنشر[١]).

- التضاد، وهو كثير الدوران في نثر المنافرات أكثر من شعر المنافرات، مثـــل: (داء، دواء[٢] – ليل ، نهار[٣] – أمام، خلف[٤] – جميل، قبيح[٥] – جسيم، قضيف[٦]- وفي، غادر[٧] – النور، الظلمة[٨] – الضياء، الظلم[٩] – الخير، الشر[١٠] – ورد، صدر[١١]).

- اسم الفاعل مثل: (فاجر[١٢]، غادر[١٣]، كامن[١٤]، باطن[١٥]، رامي[١٦]، واطدة[١٧]، الطاغية [١٨])

مما سبق نلاحظ أن المتنافريْن والحكّام يكثرون من استخدام الألفاظ المتعلقة بالمنافرة، وتدور بكثرة على ألسنتهم أسماء الآباء والأجداد والقبائل، بينما تكثر الألفاظ المتعلقة بالأمكنة وأسماء الأصنام لدى الكهّان، كما نلاحظ أن المتنافريْن وبعض الحكّام يكثران من استخدام أفعل التفضيل لإبراز ما يتميز به أحد المتنافريْن عن الآخر، ولعل كثرة استخدام اسم الفاعل يعود إلى أن المتنافريْن يثبتان الصفات الكريمة لهما وينفيانها عن المتنافر الآخر، أما كثرة استخدام التضاد في النثر فيمكن أن نردّه إلى أن المتنافر يصف به المتنافر الآخر بصفات غير مستحبة مثل الفجور والقبح ومن بعد ذلك يثبت لنفسه عكسها، ونجد التضاد يكثر في منافرة علقمة وعامر.

٥١٦٤١١

(١) الأصفهاني – الأغاني، ١٦: ٢٨٥ .
(٢) القالي – الأمالي، ١: ٩٢ .
(٣) الأصفهاني – مصدر سابق، ١٦: ٢٨٥.
(٤) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٥) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٦) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٧) المصدر نفسه، ١٦: ٢٨٦.
(٨) محمد بن حبيب- المنمق: ١٠٦.
(٩) المصدر نفسه: ٩٩.
(١٠) المصدر نفسه: ١١٤.
(١١) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(١٢) الأصفهاني – مصدر سابق، ١٦: ٢٨٦.
(١٣) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(١٤) القالي- مصدر سابق، ١: ٩٢.
(١٥) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(١٦)الماوردي – أعلام النبوة: ١٦٠.
(١٧) محمد بن حبيب – مصدر سابق: ١١٦.
(١٨) الأسود الغندجاني – فرحة الأديب: ١٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تتنوع الأساليب في النثر، وأكثرها استعمالا هو التوكيد والأمر خاصة لدى المتنافرين، فالتوكيد يأتي عند حديث المتنافر عن نفسه وعن المتنافر الخصم، والأمر يرد عند حديثهم إلى الكاهن للفصل بينهم، أما أسلوب القسم والنداء فأكثر استعمالا لدى الحكّام، وطبيعي أن يستخدم الحكام النداء في خطابهم؛ لأنهم بحاجة إلى لفت انتباه المتنافرين ومن ثم الإقرار بالحكم، الذي يتبعه استخدام القسم لإضفاء نوع من القداسة على الحكم ولإقناع المتنافرين بالتنفير، وسنسوق الأمثلة على هذه الأساليب لمزيد من التأكيد والتوضيح:

- أسلوب التوكيد: (إني أنحر[١]، لأنا خير منـــك[٢]، لأنا أحب إلى نسائك[٣]، لأنا أكرم[٤]، لأنا أركب في الحُماة[٥]، إنك لفاجر[٦]، إنك لغادر[٧] ...الخ).

- أسلوب الأمر: (اقضِ لأرفعنا[٨]، اقضِ لصاحب الخيرات[٩]، اقضِ بين قومي وقومه[١٠]، فاحكمْ[١١]، احكمْ[١٢]، احكمْ بيننا[١٣]، فارجعْ[١٤] ، امضي[١٥] ...الخ).

- أسلوب القسم: (لا واللهِ[١٦]، واللهِ إنك لكليل البصر[١٧]، والقمرِ الباهر والكوكبِ الزاهر[١٨]، وربِّ العاديات[١٩]... الخ).

---

(١) الأصفهاني – الأغاني، ١٦: ٢٨٤.
(٢) المصدر نفسه، ١٦: ٢٨٥.
(٣) المصدر نفسه، ١٦: ٢٨٤.
(٤) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٥) المصدر نفسه، ١٦: ٢٨٥.
(٦) المصدر نفسه، ١٦: ٢٨٦.
(٧) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٨) محمد بن حبيب – المنمق: ١٠١.
(٩) المصدر نفسه: ١٠٢.
(١٠) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(١١)المصدر نفسه،١١٦.
(١٢) محمد بن حبيب – مصدر سابق: ١١٦ .
(١٣) المصدر نفسه: ١٠٨.
(١٤) المصدر نفسه: ١١٤.
(١٥) المصدر نفسه: ١٢٠.
(١٦) المصدر نفسه: ١١٩.
(١٧) الأصفهاني – مصدر سابق، ١٦: ٢٨٦ .
(١٨) محمد بن حبيب – مصدر سابق: ١٠٦.
(١٩) المصدر نفسه: ١١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- أسلوب الشرط: (إنا خبأنا فأنبئنا[١]، فإن أصاب نتحاكم إليه[٢]، إن نفرتك أخرجتك[٣]...الخ).

أما بالنسبة إلى استخدام السجع في نثر المنافرات فهو أحد سماته الشكلية الأساسية، فالسجع في المنافرات يقصد به إضفاء جوّ من السكينة والتأمل والتأهّب لتلقي فكرة مقدسة، أو وصية أو حكم، تقتضي الإيجاز والتكثيف في آن، كما يهدف السجع أيضا إلى التأثير بالتركيز على نهايات الأفكار، بمعنى آخر فإن وظيفة السجع في نثر المنافرات تفرض على المتكلم وضع أفكاره في سلسلة من القوالب المتناظرة، والأطر المحددة، فلا يفيض المعنى خارجها، وبهذا يمتلك السجع إمكانية للتأثير على متلقي المنافرة لتضعهم تحت طائلة منظومة من المعاني، تمتاز بالوضوح والمباشرة حينا، والغموض والإيحاء حينا آخر[٤].

وعمد الكهّان للغموض في سجعهم للإجابة على سؤال المتنافرين لما خبؤوا له، فالرد بالسجع يمكّن الكاهن من الاقتراب مما خبأ المتنافران، وقد يلجأون إلى سؤاله مرة أخرى طالبين منه توضيحا أكثر فيعمد من جديد إلى السجع لأنه لا يملك إجابات مباشرة عما يسألون، فالسجع إذن محاولة للتمويه على المتنافرين، ومحاولة لإضفاء جوّ من الغموض على النثر وخاصة أن الكاهن كما يدعي متصل بأسباب السماء والغيب، فالكهّان " كانوا يبنون سجعهم في كثير من جوانبه على الرمز، فإن كهانتهم كانت تقتضي أن يختاروا ألفاظا موهمة توعز بما يريدون دون أن تفصح - في كثير من أحوالها — عن دلالة بيّنة "[٥].

والسجع سمة أساسية في نثر الحكّام في المنافرات، كما أن استخدام السجع من أرفع المراتب؛ لأن " معنى السجع أخفّ من سائر المغيبات من المرئيات والمسموعات، وتدل خفة المعنى على قرب ذلك الاتصال والإدراك، والبعد فيه عن العجز بعض الشيء "[٦]. ولقد تميّز سجع الكهّان في المنافرات عن غيرهم ممن يسجعون، ولعل السبب الأخير أدى إلى التمييز بين سجع الكهّان وسجع الخطباء، فالكهان اهتموا بالألفاظ المبهمة والغامضة، أما الخطباء فقد تحرروا من بعض قيود السجع، حيث أن" لسجع الكهان طريقة خاصة به ميزته عن سجع غيرهم، فهو قصير الفقرات، يلتزم التقفية،

---

(١) محمد بن حبيب — المنمق: ١٠١ و ١٠٥ و ١٠٧.

(٢) المصدر نفسه: ١٠٥ و ١١٣.

(٣) المصدر نفسه: ١١٥.

(٤) انظر: عبدالله إبراهيم — التلقي والسياقات الثقافية: ١١٨ — ١١٩.

(٥) شوقي ضيف — الفن ومذاهبه في النثر العربي: ٤١.

(٦) الألوسي — بلوغ الأرب، ١: ٢٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتساوي الفواصل في كل فقرتين أو أكثر، ويعمد إلى الألفاظ المبهمة المعمّاة، وإلى تكوين الجمل الغامضة... أما السجع المنسوب للخطباء ففقره أطول وكلمه أوضح، طويل النفس متحرر نوعا ما من قيود سجع الكهّان، بين الفقر تطابق في الطول... وقد يكون مرسلا، خالصا من تساوي الجمل، والتزام القافيـــة، فهو بين سجع وازدواج وترسل، وقد يكون مزدوجا، فهو سجع خفيف ومقبـــــول "[١]، ولتوضيح ما أشرنا إليه نقف عند نموذج للكاهن عُزَّى سَلِمَة العُذْرِيّ عندما نفّر بني العُشَراء وهم من بني مازن على منافرهم، فقال:" والأرْضِ والسَّمَاءِ، والعُقَابِ الصَّقْعاء، واقعة بِبَقْعاء، لقد نَفّر المَجْد بني العُشَراء، للمجد والسَّناء "[٢]، فالسجع هنا يؤكد ماذهبنا إليه، فالكاهن يعتمد في تشكيل سجعه على الجمل القصيرة، ليجئ الحكم في النهاية مستندا على غموض ملغز، مؤكدا الحكم بالقسم بالأرض والسماء ...الخ. كما نجد مثل هذه الخصائص أيضا في منافرة هاشم بن عبد مناف وأمية بن عبد الشمس، حيث قال الكاهن لهما: "أحْلف بالنورِ والظلمةِ، وما بتِهَامَـــة من بَهْمَة، وما بنجد من أَكَمَة، لقد خبّأتُمْ لي أطباقَ جُمْجُمَة، مع الفَلَنْدَح أبي هَمْهَمَـــــة، قالوا: أصبت فاحكم بين هاشم بن عبد مناف وبين أمية بن عبد شمس أيّهما أشْرف فقال: والقمرِ البَاهِرِ، والكَوْكبِ الزَّاهرِ، والغَمَامِ المَاطِرِ، وما بالـــجومن طائرٍ، وما اهتدى بعلم مُسَافِرٍ، مُنْجِدٍ أو غائرٍ، لقد سبق هاشم أمية إلى المَفاخِرِ، أول منها وآخر"[٣]، فالكاهن يعتمد على القسم في تسويغ حكمه دون أن يسوّغ الحكم بأسباب منطقية، ولكي يكون حكمه مقبولا في نفوس المتنافرَيْن يلجأ إلى الغموض ليلبس على المتنافرَيْن فيظنّا أنه متصل بأسباب السماء، طبيعي والحال هذه أن يتأكد الحكم ويؤخذ به.

وإن كان سجع الكهان يعتد في تشكيله على الفقرات القصيرة التي تنزع إلى الغموض فإن سجع الحكّام من الحكماء في المنافرة يكون أكثر حيوية وتنوعا، فقد يعتمد على السجع والجمل القصيرة مثل سجع نُفَيْل بن عَبْد العُزَّى في منافرة عبد المطلب بن هاشم وحَرْب بن أُمَيَّة، حيث قال مخاطبا حرب: "يا أبا عمرو، أتنافر رجلاً هو أطول منك قامة، وأوسم وسامة، وأعظم منك هامة، وأقل منك لامة، وأكثر منك ولدا، وأجزل منك صَفْدا، وأطول منك مِذْوَدا، وإني لأقول هذا وإن فيك لخصالاً: إنك لبعيدُ الغضب، رفيع الصِّيت في العرب، جَلْد المَرِيرة، تحبك العَشيرة، لكنك

---

(١) جواد علي – المفصل، ٨: ٧٤٥.

(٢) الجاحظ – البيان والتبيين، ١: ٢٩٠. الصَّقْعَاء: التي في وسط رأسها بياض. البَقْعَاء: الأرض ذات الحصى الصغيرة. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " صقع " و " بقع ".

(٣) محمد بن حبيب – المنمق: ١٠٦. البَهْمَة : أولاد البقر والمعز والضأن. الفَلَنْدَح: الغليظ الثقيل والضخم. جُمْجُمَة: قدح من الخشب. المُنْجِد: الخارج إلى النجد وهو ما ارتفع من الأرض. والغَائر: الذاهب إلى الغَوْر وهو ما انحدر من الأرض. انظر: ابن منظور – مصدر سابق، مادة " همم " و " جمم " و " غار ".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشرف، وتهدم المجد، وأن نَهْنَهَة الجاهل أهون من حَزِيرته، ورأس العشيرة يحمل أثقالها، ومقام الحليم عظة لمن انتفع به "[١].

فيلاحظ في هذه الخطبة أنها مسترسله، تكاد تخلو تماما من السجع، ماعدا بعض الكلمات التي يسجع فيها دون أن تثقل على المستمع أو القارئ؛ لأنها جاءت عفو الخاطر، نجد ذلك مثلا في قوله:" ولكلّ في كلّ حلف يجب عليه نصرته، وإجابة دعوته "[٢]، كما يلاحظ أيضا أن الجمل تقصر كلما قدم الخطيب حكمة وعبرة مثل قوله: " الحلم شرف، والصبر ظفر، والمعروف كنز، والجود سؤدد، والجهل سفه، والأيام دُوَل، والدهر غِيَر "[٣].

وإن كان عبد المطلب بن هاشم في خطبته السابقة لا يلتزم بالسجع إلا ما يأتي عفو الخاطر، فإن مَرْثَد الخَيْر يتبع طريقة تشعر من خلالها بأنه على وعي كبير بدور السجع في الخطبة في المنافرات، هذا الاستخدام الذي يأتي ليؤكد الأفكار لدى جماعة المستمعين، وليؤكد أيضا على انتهائها، يقول مَرْثَد الخَيْر: إن التَّخَبُّط وامْتِطاء الهَجَاج، واسْتِحْقَاب اللَّجَاج، سَيَقِفُكُما على شَفا هُـــوَّة في تَوُّدِها بَوار الأصيلَة، وانقطاع الوسيلة، فَتَلافيا أمركما، قَبْل انْتِكاث العَهْد، وانْحِلال العَقْد، وتَشَتُّت الأُلفة، وتَبَاين السُّهْمة، وأنتما في فُسْحة رافهة، وقدم واطِدة، والمَوَدَّةُ مُثْرِية، والبُقْيَا مُعْرِضة، فقد عَرَفتم أنباءَ من كان قَبْلكم من العَرب، ممن عَصَى النَّصيح، وخالف الرَّشيد، وأصْغَى إلى التقاطع، ورأيتم ما آلت إليه عواقب سوء سعيهم، وكيف كان صَيُّور أمورهم، فتلافوا القَرْحة، قبل تفاقم الشَّـــأي، واسْتِفحال الداء، وإعْواز الدَّواء، فإنه إذا سُفكت الدماء، استحكمت الشحناء، وإذا اسْتَحكمت الشحناء، تقبضت عُرَى الإبقاء، وشَمِل البلاء"[٤].

فمَرْثَد الخَيْر في خطبته السابقة يراوح بين الاسترسال والسجع، لكنّ السجع يغلب على الخطبة، ويزداد ليؤكد الأفكار حيث يأتي في نهاية كل فكرة جديدة، بعبارة موجزة تحمل ذات الدلالة، نجد ذلك في قوله السابق مثلا : "سَيَقِفُكُما على شَفا هُـــوَّة في تَوَرُّدِها بَوار الأصيلَة، وانقطاع الوسيلة، فَتَلافيا أمركما، قَبْل انْتِكاث العَهْد، وانْحِلال العَقْد "[٥]، ويبتعد عن السجع في بعض المواضع، مثل قوله: " ، فقد عَرَفتم أنباءَ من كان قَبْلكم من العَرب، ممن عَصَى النَّصيح،

---

(١) الماوردي – أعلام النبوة: ١٥٩ – ١٦٠. غِيَر: أي الأحوال المتغيرة. الخَليط: هو الشارك في حقوق الملك مثل الشُّرب والطريق. نَهْنَهَة: الزجر. الحَزِيرَة: الاختيار. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " غير " و " خلط " و " نهه " و " حزر".

(٢) الماوردي – مصدر سابق: ١٦٠.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٤) القالي – الأمالي، ١: ٩٢.

(٥) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وخالف الرَّشيد، وأصْغَى إلى التقاطع، ورأيتم ما آلت إليه عواقب سوء سعيهم، وكيف كان صَيُّور أمورهم، فتلافوا القَرْحة، قبل تفاقم الشَّـأي، واسْتِفحال الداء، وإعْواز الدَّواء"[١].

ولا يقتصر السجع على نثر الكهان وخطب الحكماء في المنافرات، ولكنه قد يأتي في حوار المتنافرين مع بعضها بعضا، ولكنّه لا يكون السمة الغالبة على هذا الحوار فهو يرد في بعض المواضع من الحوار ، فالمتنافران عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعَامِر بن الطُّفَيْل يستخدمان السجع وحسن التقسيم في حوارهما، مثل قول علقمة عن نفسه محاورا عامرا : إني " أحدّ منك بصرا، وأعزّ نفرا، وأسْرح منك ذِكْرا ... فقال عامر: إني أنشر منك أمّة، وأطول منك قمّة، وأحسن منك لمّة، وأجعد منك جمّة، وأبعد منك همّة "[٢]، فالسجع في حوارهما كما نرى يمتد في أكثر من جملة ويلزم المتنافر الحرف نفسه في سجعه كاملا، مع ميلهما لاستخدام أفعل التفضيل واستخدام حسن التقسيم، ومما جاء على الشاكلة ذاتها، قول خالد بن مالك النهشلي محاورا القَعْقَاع بن مَعْبَد : " أينا أوهب للغالية، وأنحر للثاوية، وأصد للعادية، وأقتل للطاغية "[٣]، فخالد النهشلي ألزم نفسه باستخدام الصيغة الأسلوبية المكونة من أفعل التفضيل مع اسم الفاعل في جمل قصيرة، وامتد السجع في أربع جمل دون أن يتغير وينتقل إلى حرف آخر.

ج. التصوير:

إن الصور الفنية في نثر المنافرات قليلة، فلا نكاد نظفر إلا ببعض الصور؛ ولعلّ ذلك يعود إلى أن الكهّان والخطباء اعتمدوا في نثرهم على السجع مما جعلهم يعبرون عن الفكرة في عبارة موجزة، إضافة إلى أن دور الحكّام في المنافرات يحتم عليهم الابتعاد عن الصورة؛ لأنهم في صدد تقديم حكم، فهم يميلون بذلك إلى ذكر الحقائق بصورة مباشرة، وإن جاءت هذه الصور فإنها قليلة وبسيطة.

ومن الصور التي تلفت الانتباه تلك التي وردت في منافرة أَسِيد بن أبي العيص والوليد بن المغيرة التي تقوم على المقارنة بين المتنافريْن من خلال الصورة، حيث يقول الكاهن سَطِيح الذِّئْبِيّ: " أما أنت يا وليد!فمثلك مثل جبل مُـوَزّر، فيه الماء والشجر، وفيه للناس مُعْتَصر، ومَنَعة الـحي والوَزر، للخير سبَّاق وللشر حَذِر. وأما أنت يا أَسِيد! فمثلك مثل جبل وَعِر، فيه للمقتبسين جمر، ولا وِرْد ولا صَدْر، الخير عندك نَزْر، والشَّرّ عندك أمر؛ فلج الوليد وظَفِر، وخاب أَسِيد وخَسِر "[٤].

---

(١) الأمالي – القالي، ١: ٩٢.

(٢) الأصفهاني – الأغاني، ١٦: ٢٨٤.

(٣) الأسود الغندجاني – فرحة الأديب: ١٠٩ .

(٤) محمد بن حبيب – المنمق: ١١٤. المُتَصَر: المَلْحاً. الوَزر: الملجأ والمَعْقِل. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة " عصر " و " وزر ".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فتشبيه سَطِيح الذِّئْبِيّ قائم على المقارنة بين المتنافريْن، حيث شبههما بالجبلين، وهو تشبيه يدل على علو المكانة، لكنه يفصل في وصف الجبلين، فجبل الوليد فيه الخير للناس لما فيه من شجر وماء، وهو منعة وحماية لمن يلجأ إليه، ويوضح دلالة تشبيهه بجملتين أفهى بهما حديثه إلى الوليد بن المغيرة، فوصفه بأنه سباق إلى الخير، حذر من ارتكاب الشر، وبالمقابل يصف أَسِيد بن العيص بالجبل الوعر قليل الخير، ويؤكد دلالة تشبيهه بجملتين أفهى بهما حديثه إلى أَسِيد، فقال: " الخير عندك نَزْر، والشر عندك أمر "[١].

ومن التشبيهات التي ترد قول عبد المطلب بن هاشم لقبيلتي قريس وخزاعة : " أنتما كغصني شجرة، أيهما كسر أوْحش صاحبه"[٢]، لكي يدلل على العلاقات المتداخلة التي تربط كلاً منهما بالآخر، فيؤكد أهمية استمرار هذه العلاقة في الحِلْف الذي يجمعهما. وهو تشبيه مستمد من البيئة القريبة من قلوب القبيلتين.

كما يرد المثل القائم على التشبيه في المنافرات، مثل قول هَرِم بن قُطْبَة لعلقمة وعامر: " أنتما كركبتي البعير الأَدْرَم، تَقَعَان إلى الأَرْض مَعًا "[٣]، ودور التشبيه في هذه المنافرة أنه يقدم الحكْم للمتنافريْن، ويثبت لهما بصورة دالة على أنهما متساويان.

---

(١) محمد بن حبيب - المنمق: ١١٤.

(٢) الماوردي – أعلام النبوة: ١٦٠.

(٣) الأصفهاني – الأغاني، ١٦: ٢٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

المنافرة وسيلة للفصل بين المتنافرين في العصر الجاهلي، وهي تهدف إلى منع الشر بالتحكيم بين المتنافرَيْن، ولابد في المنافرة من تحكيم، وإلا كانت مفاخرة في الحسب والنسب، إذ إن انتقال المفاخرة إلى منافرة لا يتم إلا بوجود التحكيم. وقد اضطلع الحكّام من حكَماء وكهان بالفصل بين المتنافرَيْن لتنفير أحدهما على الآخر، أو المساواة بينهما عند التحكيم، أو الإصلاح بينهما؛ ليقنعهما بعد حضورهما لمجلس التحكيم بعدم الاستمرار في المنافرة وطلب التحكيم.

وقد أثمرت هذه الدراسة عن بعض النتائج، وهي أن:

١. المنافرة في اللغة المحاكمة والنفور والتباعد، أما في الاصطلاح فهي المحاكمة في المفاخرة بالنسب والحسب، وقد استعملت لفظة المنافرة بالمعنى الاصطلاحي حتى منتصف القرن الرابع الهجري، واستعملت بعد هذه الفترة للدلالة على النفور والتباعد بين شخصين أو أكثر، وقد يفضي بهما إلى الهجاء.
٢. المنافرة ظاهرة اجتماعية، أساسها العصبية القبلية، ومما شجّع على ذلك اهتمام العرب الشديد بالأنساب، وتذاكرهم الدائم لمناقب القبائل ومآثرها ومفاخرها، إذ إن العامل الاجتماعي لعب دورا هامًا في تشجيع المنافرة ووقوعها وتعدد أسبابها، علاوة على العامل الاقتصادي. وقد لجأ المتنافران وقومهما إلى بعض العادات مثل ذهاب المتنافر مع قومه للتنافر، حاملين معهم القباب والإبل لينحروا ويطعموا فترة إقامتهم.

٣. لعب المكان دورا مهما في الحث على التنافر، وليس أدل على ذلك من تسمية عكاظ بهذا الاسم؛ لكثرة ما حدث فيه من مفاخرات ومنافرات بين وجهاء القبائل وأشرافها من جهة، ووجود الحكام فيها من جهة أخرى؛ ولعل هذا قد دفع المتنافرِين في بعض المنافرات إلى اختيار سوق عكاظ للتحكيم فيها، علاوة على أن المجالس التي تضم وجهاء العرب وأشرافهم كانت تحثهم على التفاخر، وقد تخرج بهم المفاخرة إلى المنافرة، مثلما حدث في مجالس النّعمان بن المنذر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤. أكثر القبائل لجأت إلى حكّام قبيلة قريش؛ بسبب مكانتها الدينية والأدبية والتجارية والسياسية، بينما لجأت قبيلة قريش إلى الكهّان؛ نظرا لمكانتها الدينية، ولأنها لا ترى أحدا في رجاحة عقلها، واكثر ما لجأت في منافراتها إلى الكاهن الخُزاعيّ.

٥. أثرت المنافرات في الأدب الجاهلي؛ لأن الشعراء والخطباء قد شاركوا فيها، وتعدّ المنافرات غرضا من أغراض الخطابة في العصر الجاهلي، لكنّ من المؤسف أننا لم نظفر إلا بخطبتين لضياع كثير منها، كما شارك الكهّان في المنافرات، فجاء قسمهم وتنفيرهم سجْعا.

٦. منافرة عَلْقَمة بن عُلاثَة وعامر بن الطُّفَيْل قد اشتهرت أكثر من غيرها من المنافرات؛ ولعل ذلك يعود إلى أن بعض شعراء الجاهلية الكبار مثل الأعشى والحطيئة ولبيد بن ربيعة قد شاركوا فيها؛ ولأن المتنافريْن سيدان جاهليان مشهوران؛ لذا نقلت كتب الأدب والتراجم أخبار هذه المنافرة. وقد شارك الأعشى والحطيئة بقصائد طويلة في حين شارك الآخرون بأبيات قليلة من الرجز.

٧. ثنائية المدح والهجاء تظهر وتبرز بقوة في المنافرات في الشعر والنثر، فالشاعر أو الخطيب يمدح من يناصره من المتنافريْن ناسبا إليه كل الصفات الحميدة، ويهجو خصم من يناصره، فيصفه بأقبح الصفات وأرذلها، وثنائية المدح والهجاء تبرز بقوة لدى شاعر مثل الأعشى، وتظهر بصورة غير مباشرة عند الحطيئة، وعند نُفَيْل بن عبد العُزّى والنابغة الذبياني.

٨. أكثر الحقول الدلالية المستعملة في المنافرات تتعلق بألفاظ المنافرة والمجد والنسب، وأسماء المتنافرِين وقبائلهم، وأسماء الأماكن، وأفعل التفضيل، والألفاظ الدالة على الكثرة والزيادة؛ وذلك لأن الشعراء والخطباء والكهّان يصف كلّ منهم من يناصره بأفضل الصفات، فينسبونهم إلى المجد والعزّة، وأهم هذه الصفات ما يتعلق بكرم النسب، فينسبونها إلى من يناصرون من المتنافريْن. أما بالنسبة إلى الأساليب فكثر أسلوب النفي والتوكيد في الشعر وفي حوار المتنافريْن، فالمتنافر ومن يناصره يستخدم أسلوب التوكيد لإثبات الصفات الكريمة لنفسه، وينفي الصفات السيئة عنه، بينما يكثر أسلوب القسم عند الكهّان لإضفاء القدسية على حكمهم وتأكيد صدق كلامهم، وقد يستشهد المتنافران أو من يناصرهم بأبيات من الشعر؛ لتبيان موقفهم من المنافرات، وقد تجري على ألسنة بعضهم أقوال تصبح فيما بعد أمثالا شهيرة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩. بحر الرجز هو أكثر البحور استخداما، وخاصة في المقطّعات؛ لكثرة الزحافات فيه التي تعين الكثيرين على الارتجال والارتجاز، وأكثر ما قيل في المقطّعات جاء بعد التحكيم لا قبله، مما يعني أن قائل الرجز قد ارتجز، ولعل قلة الأبيات مع تركيز الاهتمام على ألفاظ المنافرة وأحوال المتنافريْن جعل بعض المقطعات أقرب إلى تسجيل أحداث المنافرة أكثر من اعتمادها على العناصر الفنية.

١٠. أثرت المنافرات في الأدب شعرا ونثرا، ولكنّنا لا نستطيع أن نجعل المنافرات صورة بدائية للهجاء؛ لأن المنافرات تضمّنت المدح وليس الهجاء فقط، وقد تستحيل بعض القصائد في المنافرات إلى مدح للمتنافر مع التعريض بخصم المتنافر مثلما وجدنا عند الحطيئة، وقد تستحيل أحيانا إلى هجاء مقذع مثلما تبين عند الأعشى. ولا نستطيع أن نجعل المنافرات من فن النقائض؛ لأن هذا الفن كان معروفا في الجاهلية بجانب المنافرات، علاوة على أن الشعراء لم يهتموا كثيرا بالرد على بعضهم، و لم يصنعوا شعرا على البحر نفسه أو القافية ذاتها، إضافة إلى أن المنافرة تقوم على التحكيم اعتمادا على كرم النسب مما جعل للمنافرات لغتها الخاصة وأساليبها المميزة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائمة المصادر والمراجع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائمة المصادر والمراجع

أ- المصادر:

أولا: الكتب

- الآبي، أبو سعد منصور بن الحسين (ت ٤٢١ هـ) – نثر الدر، تحقيق محمد علي قرنة وعلي محمد البجاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠.

- الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى (ت ٣٧٠ هـ) – المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٩١.

- الأبشيهي؛ أبو الفتح، شهاب الدين محمد بن أحمد (ت٨٥٠هـ) - المستطرف في كل فن مستظرف، ط٣، تحقيق إبراهيم صالح، دار صادر، بيروت،١٩٩٩.

- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠ هـ) – أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧.

- الأسود الغندجاني، أبو محمد الأعرابي (ت ٤٣٠ هـ) – فُرحة الأديب في الرد على ابن السيرافي في شرح أبيات سيبويه، تحقيق محمد علي سلطاني، دار النبراس، دمشق، ١٩٨١.

- الأصفهاني؛ أبو الفرج ، علي بن الحسين بن محمد الأموي (ت٣٥٦ هـ) - الأغاني، طبعة مصورة عن دار الكتب، إحياء التراث العربي، بيروت، "د.ت".

- الألوسي، محمود شكري (ت ١٣٤٢ هـ)– بلوغ الأرب في أحوال العرب، مطبعة دار السلام، بغداد، "د.ت".

- البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣ هـ) – خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨١.

- البغدادي، أبو العلاء صاعد بن الحسن الربعي البغدادي (ت٤١٧ هـ) – كتاب الفصوص، تحقيق عبد الوهاب تازي سعود، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، ١٩٩٥.

- البيهقي، إبراهيم بن محمد (نحوت ٣٢٠ هـ) - المحاسن والمساوئ، تحقيق عدنان علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩.

- الثعالبي، أبومنصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل (ت٤٢٩هـ) - ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري (ت ٢٥٥ هـ) - البيان والتبيين، ط٥، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، "د.ت".

- الجمحي، محمد بن سلام (ت ٢٣١ هـ) — طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، " د. ت " .

- الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد (ت٦٠٦هـ)- النهاية في غريب الحديث والأثر، خرج أحاديثه وعلق عليه أبوعبدالرحمن صلاح بن محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.

- ابن الجون الأشعري، أبو الربيع سليمان بن موسى (ت ٦٥٢ هـ) — الرياض الأدبية في شرح الخمرطاشية، تحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع الحوالي والقاضي إسماعيل بن أحمد الجرافي، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، ١٩٩٩.

- ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥ هـ):

١. المحبّر، تحقيق إيلزه ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، "د.ت".

٢. المنمق في أخبار قريش — تحقيق خورشيد أحمد فارق، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٩٦٤.

٣. رسالة فيمن نسب إلى أمه من الشعراء، (ضمن المجموعة الأولى من نوادر المخطوطات) ، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١.

- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ):

١. الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الجواد والشيخ علي محمد معوّض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥.

٢. فتح الباري في شرح صحيح البخاري، دار السلام، الرياض، ١٩٩٧.

- الحموي، ياقوت بن عبدالله الحموي أبوعبد الله (ت ٦٢٦ هـ) — معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٨٦.

- ابن خلدون الحضرمي، عبد الرحمن بن محمد(ت٨٠٨هـ) — المقدمة " كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٩٩.

- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، (٢٧٥ هـ) - سنن أبي داود، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث، بيروت، "د.ت".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن دريد الأزدي، أبو بكر محمد الحسن (ت ٣٢١ هـ) -الاشتقاق، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١.

- ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن (ت ٤٥٦ هـ) - العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٨.

- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ)- تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٧٤.

- الزمخشري، محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي (٥٣٨ هـ)- أساس البلاغة، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥.

- ابن سعد - محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري (ت٢٣٠هـ) - الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ١٩٧٥.

- السلفي، أبو طاهر أحمد بن محمد (ت٥٧٦ هـ) - معجم السفر، تحقيق عبدالله عمر البارودي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣.

- السمهودي، علي بن أحمد (ت ٩١١ هـ) - وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ط٣، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٠٣.

- السندي، أبو الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي (ت١١٣٨هـ)- صحيح البخاري بحاشية السندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.

- السهيلي، عبد الرحمن بن عبدالله الخثعمي (٥٨١ هـ) - الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق مجدي منصور الشورى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.

- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ)- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم وآخرون، طبعة البابي الحلبي، القاهرة، " د.ت " .

- الطبراني، الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠ هـ) - المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، الدار العربية للطباعة، بغداد، ١٩٧٨.

- الطبري، أبوجعفر محمد بن جرير (ت٣١٠ هـ) - تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨.

- ابن ظفر الصقلي ، محمد بن أبي محمد بن محمد أبوعبد الله (ت ٥٦٥ هـ) -أنباء نجباء الأبناء، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠.

- ابن عبدربه؛ الأندلسي، أحمد بن محمد (ت٣٢٨هـ)- العقد الفريد، ط٣، تحقيق مكتبة إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت٤٨٧هـ) - معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط٣، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتاب، بيروت، ١٤٠٣.

- أبوعبيدة، مُعَمّر بن المثنى التيمي (ت٢٠٩ هـ):

١. شرح نقائض جرير والفرزدق -ط٢، تحقيق محمد إبراهيم حور ووليد محمود خالص، منشورات المجمع الثقافي، أبوظبي، ١٩٩٨.

٢. أيام العرب قبل الإسلام - جمع وتحقيق عادل جاسم البياتي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧.

٣. الديباج، تحقيق عبد الله سليمان الجربوع وعبدالرحمن ابن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩١.

- ابن عساكر، علي بن الحسن (ت ٥٧١ هـ) - تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محب الدين عمرو العمري، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨.

- العسكري، أبوهلال الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥ هـ) - ديوان المعاني، دار الجيل، بيروت، "د.ت".

- ابن العماد؛ عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الدمشقي (ت١٠٨٩هـ) - شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.

- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ) - كتاب العين،٥ج، تحقيق المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، القاهرة، "د.ت".

- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (٨١٧ هـ) - القاموس المحيط، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، " د. ت " .

- القالي البغدادي، أبو علي إسماعيل القاسم (ت٣٥٦ هـ) -الأمالي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٢.

- القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) - الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥.

- القرطبي؛ أبوعبدالله، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح (ت٦٧١ هـ) - الجامع لأحكام القرآن، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٩.

- القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ) - صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.

- ابن كثير، أبوالفدا إسماعيل القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ) - تفسير القرآن العظيم، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد الشافعي (ت٤٥٠هـ) – أعلام النبوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦.

- المرزباني، أبوعبيدالله محمد بن عمران (ت٣٨٤هـ) – معجم الشعراء، تحقيق ف. كرنكو، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١.

- مسلم، ابن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت٢٦١ هـ) – صحيح مسلم بشرح النووي، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٤.

- المعري، أبوالعلاء أحمد بن عبدالله (ت٤٤٩هـ) – شروح سقط الزند، طبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٤٦.

- المناوي، محمد عبد الرؤوف (ت١٠٣١هـ) - التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر ودار الفكر، دمشق، ١٩٩٠.

- ابن منبه، وهب (ت١١٤هـ) - التيجان في ملوك حمير، تحقيق مركز الدراسات اليمنية، صنعاء، ١٣٤٧.

- ابن المنظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(ت٦٣٠هـ) - لسان العرب، دار صادر، بيروت، " د. ت ".

- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري (ت٥١٨هـ) - مجمع الأمثال، ط٢، تحقيق محمد أبوالفضل، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧.

- ابن نباتة، جمال الدين المصري (ت ٧٦٨ هـ) – سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦.

- ابن النديم، محمد بن إسحاق أبو الفرج (ت ٣٨٥ هـ) – الفهرست، يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦.

- النهشلي القيرواني، عبد الكريم بن إبراهيم (ت نحو ٤٠٥ هـ)– الممتع في صنعة الشعر، تحقيق عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣.

- هبة الله الحلي، أبو البقاء (ت القرن السادس الهجري)– المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية،تحقيق محمد عبد القادر خريسات وصالح موسى درادكة،مركز زايد للتراث، العين، ٢٠٠٠.

- ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد (ت ٢١٣ هـ)– السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، " د.ت ".

- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت نحو٢٩٢ هـ) – تاريخ اليعقوبي، تحقيق عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا: الدواوين الشعرية:

- ديوان الأعشى ميمون بن قيس، تحقيق محمد محمد حسين، المكتب الشرقي، بيروت، د" ت " .
- ديوان أبي تمام بشرح الصولي، تحقيق خلف رشيد نعمان، وزارة الإعلام، بغداد، "د .ت ".
- ديوان حاتم الطائي – تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، " د. ت " .
- ديوان حسان بن ثابت، ط٢، تحقيق بدر الدين حاضري ومحمد حمامي، دار الشرق العربي، بيروت، ١٩٩٨.
- ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني، تحقيق نعمان أمين طه، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٨.
- ديوان زهير بن أبي سلمى، دار صادر، بيروت، ١٩٦٤.
- ديوان عامر بن الطفيل برواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، دار صادر، بيروت، ١٩٦٣.
- ديوان المُثقِّب العَبْدي، تحقيق حسن كامل الصيرفي، منشورات جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٧١.
- ديوان لبيد بن ربيعة العامري – تحقيق إحسان عباس، سلسلة وزارة الإرشاد والأنباء "٨"، الكويت، ١٩٦٢.

ب. المراجع الحديثة:

- إبراهيم، عبدالله- التلقي والسياقات الثقافية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ٢٠٠٠.
- البياتي، عادل جاسم – الشعر فيس حرب داحس والغبراء، مطبعة الآداب في النجف، العراق، " د. ت " .
- التميمي، قحطان رشيد – اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري، دار المسيرة، بيروت، "د.ت".
- الجبوري، يحيى – لبيد بن ربيعة، طبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٠.
- الجندي، علي – في تاريخ الأدب الجاهلي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨.
- حاوي، إيليا – فن الهجاء وتطوره عند العرب، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١.
- حسين، محمد محمد، الهجاء والهجاؤون في الجاهلية، ط٢، دار النهضة العربية، بيروت، " د. ت.
- خفاجي، محمد عبد المنعم – الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، دار المطبعة المحمدية، القاهرة، ١٩٥٨.
- درويش، محمد حسن – تاريخ الأدب العربي في الجاهلية وصدر الإسلام، مكتبات الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الزايدي، حمد عبد الله — منافرة عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة العامريين وأثرها في الشعر الجاهلي، سلسلة بحوث اللغة العربية وآدابها، جامعة أم القرى، السعودية، ١٤١٧ هـ .
- أبو سويلم، أنور — دراسات في الشعر الجاهلي، دار عمار، عمان، ١٩٨٧.
- الشايب، أحمد — تاريخ النقائض في الشعر العربي، ط٣، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٦.
- ضيف، شوقي:
١. العصر الجاهلي، ط١٠، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢.
٢. الفن ومذاهبه في النثر العربي، ط٥، دار المعارف، القاهرة، "د.ت".
- العبيدي، جمال نجم — الرجز نشأته، أشهر شعرائه، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد، ١٩٧١.
- عجلان، عباس بيومي:
١. عناصر الإبداع الفني في شعر الأعشى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٥.
٢. الهجاء الجاهلي: صوره وأساليبه الفنية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٥.
- عطية، محمد هاشم — الأدب العربي وتاريخه في العرص الجاهلي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧.
- علي، جواد — المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٢، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٩٣.
- علي، محمد عثمان — أدب ما قبل الإسلام دراسة وصفية تحليلية، المؤسسة العالمية، طرابلس، ١٩٨٣.
- الفيومي، محمد إبراهيم — تاريخ الفكر الديني الجاهلي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٩.
- قميحة، محمد مفيد — الأعشى الكبير شاعر اللذة والحياة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٩٧.
- القيسي، نوري حمودي وعادل جاسم البياتي ومصطفى عبد اللطيف — تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩.
- المحتسب، عبد المجيد — نقائض جرير والأخطل، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٢.
- المقداد، محمود — تاريخ الترسل النثري عند العرب في الجاهلية، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٣.
- مكي، صادق — ملامح الفكر الديني في الشعر الجاهلي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩١.
- وهبة، مجدي وكامل المهندس — معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملاحق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولا: أخبار المنافرات وحكامها وما جاء فيها من شعر

١ – منـــــافرات قريـــش

أ – منافرة عَبْدِ المُطَّلِب بن هاشم وحَرْب بن أُمَيَّة[١]:

قال أبو المنذر: كان رجل من اليهود من أهل نَجْران يقال له أُذَيْنَة في جوار عبد المطلب ابن هاشم، وكان يتسوق في أسواق تهامة بماله، وأن حرب بن أمية غاظه ذلك فألب عليه فتيانا من قريش وقال لهم: هذا العِلْج الذي يقطع الأرض إليكم ويخوض بلادكم بماله من غير جوار ولا أمان والله لو قتلتموه ما خفتم أحداً يطلب بدمه، قال: فشد هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي عليه وصخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة فقتلاه، وكان معهما ابن مطرود ابن كعب الخزاعي، قال: فجعل عبد المطلب لا يعرف له قاتلا حتى كان بعدُ فعلم من أين أتى، فأتى حرب بن أمية فأنّبه لصنيعه وطلب بدم جاره، فأبى حرب ذلك عليه وانتهى بهما التماحك واللّجاج إلى المنافرة، فجعلوا بينهما النجاشي ملك الحبشة، فأبى أن ينفذ بينهما فجعلا بينهما نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قُرْط بن رِزاح بن عَدِي بن كعب فأتياه فقال حرب بن أمية: يا أبا عمرو! أتنافر رجلاً هو أطول منك قامة وأوسم [منك –] وسامة وأعظم منك هامة وأقل منك لامة. وأكثر منك ولداً وأجزل منك صَفْدا، وأطول منك مِذْوداً، وإني لأقول هذا وإن فيك لخصالا: إنك لبعيد الغضب رفيع الصِّيت في العرب، جلد المَريرَة، تحبك العشيرة، ولكنك نافرتَ مُنفِّرا. قال: فنفر عبد المطلب على حرب، فغضب حرب من ذلك وأغلظ لنفيل وقال: من انتكاس الدهر أن جعلناك حكما، فأنشأ نفيل يقول: (البسيط)

لِيَهْنَء قَوْمًا لَهُمْ فِي النَّاسِ سَابِقَـــــةٌ
حَمْل المَئِينِ وَسَبْق مَا لَـــهُم وَرَعُ
أَعْطَاهُمُ اللهُ نُوراً يُسْتَضَـاءُ بِـــــــهِ
إِذَا الكَوَاكِبُ أَخْـطَأَ نَوْءَهَـا النُّجَعُ
وَهُمْ عُرُوقُ الثَّـــرَى مِنْهُمْ أُرُومَتُنَـــــا
مَا جَادَى اليَـــوْمَ فِي تَرْبَائِهِمْ ضَـــرَعُ
مَا إِنْ يَـــنَـــال البِلى أَرْكَانَ مَنْزِلِـــهِـــمْ
وَلا يَحِلُّ بِأَعْلَى نِيقِهِمْ صَـــــدَعُ

(١) محمد بن حبيب – المنمق: ٩٤ – ٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أَوْلادُ شَيْبَة أَهْلُ المَجْدِ قَدْ عَلِمَتْ
عُلْيَا مَعَدٍّ إِذَا مَا هُزْهِزَ الوَرَعُ
وَهَبَّتِ الرِّيحُ بِالصُّرَّادِ فَانْطَلَقَتْ
تُزْجِي جَهَامًا سَرِيعًا سَيْرُهُ مَلَعُ
وَشَيْبَةُ الحَمْدِ نُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ
إِذَا تَخَطَّا لِى المَشْبُوبَةِ الفَزَعُ
وَرَاحَتْ الشَّوْلُ حَدْبًا فِي مَرَاتِعِهَا
حَوْلَ الفَنِيقِ رَسِيلاً مَا لَهُ تَبَعُ
يَا حَرْبُ مَا بَلَغَتْ مَسْعَاتُكُمْ هَبْعا
تَسْقِي الحَجِيجَ وَمَاذَا يَحْمِلُ الهُبَعُ
أَبُوكُمَا وَاحِدٌ وَالفَرْعُ بَيْنَكُمَا
مِنْهُ الخِشَاشُ وَ مَنْهُ النَّاضِرُ اليَنِعُ
فَاعْرِفْ لِقَوْمٍ هُمُ الأَرْبَابُ فَوْقَكُمُ
لا يُدرِكَنَّكَ شَرٌّ مَا لَهُ دَفْعُ
هُمُ الرُّبَى مِنْ قُرَيْشٍ فِي أَرُومَتِهَا
وَالمُطْعِمُونَ إِذَا مَا مَسَّها القِشَعُ

وقال في ذلك الأرقم بن نضلة بن هاشم يذكر منافرة هاشم وأمية: (الطويل)

وَقَبْلُكَ مَا أَرْدَى أُمَيَّةَ هَاشِمٍ
فَأَوْرَدَهُ عَمْرٌو إِلى شَرِّ مَوْرِدِ
فَيَا حَرْبُ قَدْ جَلَيْتَ غَيْرَ مُقَصِّرٍ
شَآكَ إِلى الغَايَاتِ طَلاَّعُ أَنْجُدِ

قال: فأراد حرب بن أمية إخراج بني [عدى -] بن كعب من مكة فاجتمعت لذلك بنو عبد شمس بن عبد مناف وبنو نوفل بن عبد مناف وغضب لعبد المطلب بنو هاشم وبنو المطلب وبنوزهرة، وغضبت بنو سهم لبني عدى لأنهم من الأحلاف فمنعوهم، فلما رأى ذلك حرب بن أمية كفّ عنهم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب – منـــافرة عبد المطلب وثَقيف[1]:

قال الكلبي: كان لعبد المطلب بن هاشم مال بالطائف يقال له ذو الهَرْم فادعته ثقيف وجاؤا فاحتفروا، فخاصمهم فيه عبد المطلب إلى الكاهن بالشام يقال له عُزّى سَلِمة العُذري، وخرج مع عبد المطلب نفر من قومه وكان معه ولده الحارث ولا ولد له يومئذ غيره و خرج الثقفي الذي يخاصم عبد المطلب واسمه جُنْدب بن الحارث في نفر من ثقيف فساروا جميعاً، فلما كانوا في بعض الطريق نفد ماء عبد المطلب وأصحابه، فطلب عبد المطلب إلى الثقفيين أن يسقوه من مائهم فأبوا، فلما بلغ من القوم العطش كل مبلغ وظنوا أنه الهلاك نزل عبد المطلب وأصحابه وأناخوا إبلهم وهم يرون أنه الموت، ففجر الله لهم عينا من تحت جِرَان بعير عبد المطلب، فحمد الله عبد المطلب على ذلك وعلم أنه من الله تعالى فشربوا من الماء ريّهم تزودوا منه حاجتهم، قال: ونفد ماء الثقفيين فطلبوا إلى عبد المطلب أن يسقهم، فقال له الحارث ابنه: والله لئن فعلت لأضعن سيفي في إهابي ثم لأنتحين عليه حتى يخرج من ظهري، فقال له: يا بني! اسقهم ولا تفعل ذلك بنفسك، قال: فسقاهم عبد المطلب، ثم انطلقوا إلى الكاهن وقد خبأوا له خبيئاً وهو رأس جرادة فجعلوه في خربة مَزادة وعلقوه في قلادة كلب لهم يقال له سَوار، قال: فلما أتوا الكاهن إذا هم ببقرتين تسوقان بحزجا بينهما كلتاهما توأمة تزعم أنه ولدها، وذلك أنهما ولدتا في ليلة واحدة فأكل النمر إحدى البحزجين فهما يرأمان الباقي، فلما وقفتا بين يدي الكاهن قال: هل تدرون ما تقول هاتان البقرتان؟ قالوا: لا، يختصمان في هذا البَحْزج ويطلبان بَحْزجا آخر ذهب به ذو جسد أربد وشدق رَمَع وناب مَعْق وحلق صعق، فما للصغرى في ولد الكبرى من حق، فقضى به لكبرى من البقرتين، فلما ذهبتا من عنده أقبل على عبد المطلب وأصحابه فقال: حاجتكم؟ قالوا: إنا قد خبأنا خبيئاً فأنبئنا عنه، قال: نعم، خبأتم لي شيئا طار، فسطع فتصوّب فوقع، فالأرض منه بلقع، قالوا: لادة أي بيّن، قال: هو شيء طار، فاستطار ذو ذنب جرار، ورأس كالمسمار، وساق كالمنشار، قالوا: لادة قال: إن لادة فلاده، هو رأس جرادة، في خربة مزادة، في عنق سوار ذي القلادة، قالوا له: قد أصبت، فانتسبا له وقالا له: أخبرنا في ما اختصمنا، قال: أحلف بالضياء والظلم، والبيت ذي الحرم، أن المال ذا الهرم، للقرشي ذي الكرم، قال، فغضب الثقفيون، فقال جندب بن الحارث: اقضِ لأرفعنا مكانا، وأعظمنا جفانا، وأشدنا طعانا فقال عبد المطلب: اقضِ لصاحب الخيرات الكبر، ومن كان أبوه سيد مضر، وساقي الحجيج إذا كثر، فقال الكاهن: (الرجز)

أَمَا وَرِبِّ القُلْصِ والرَّوَاسِـــم ... يَحْمِلْنَ أَزْوالاً بِقَيٍّ طاسِـــم

---

(١) محمد بن حبيب – المنمق: ٩٨ – ١٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنّ سَناءَ المَجْـــــــــدِ وَالمَكارِم في شَيْبَةِ الحَمْدِ النَّدى ابْن هاشِم

فقال عبد المطلب: اقضِ بين قومي وقومه أيهم أفضل، فقال: (الرجز)

إنّ مَقَالِي فَاسْمَعُــوا شَهَادَةْ أَنّ بَنِي النّضْرِ كِرامٌ سَادَةْ
مِنْ مُضَرِ الحَمْرَاءِ فِي القِلادَةْ أَهْلُ سَناءٍ وَمُلُــوكٌ قادَةْ
زِيارَةُ البَيْتِ لَهُمْ عِبَادَةْ

ثم قال إن ثقيفاً عبد آبق فأخذ فعتق، ثم ولد فآبق فليس له في النسب من حق .... آبق أي كثر ولده، والبق من هذا أخذ، ففضّل عبد المطلب عليه وقومه على قومه.

ج- منـــــــــافرة هاشم بن عبد مناف وأمية بن عبد شمس[1]:

قال: كان هاشم بن عبد مناف قد أتى الشام فأقام به حينا ثم أقبل منه يريد مكة ومعه الغرائر مملوءة خبزا قد هشمته، ومعه الإبل تحمل الغرائر حتى قدم مكة، وذلك في سنة شديدة قد جاع فيها الناس وهلكت فيها أموالهم وأنفسهم فعمد هاشم إلى الإبل التي كانت تحمل الغرائر فنحرها وأقام الطّهاة فطبخوا، ثم أخرج الخبز الهشيم فملأ منه الجفان ثم أمر بالقدور فكفئت عليها، فأطعم الناس أهل مكة وغيرهم، فكان ذلك أول خصبهم، فقال في ذلك رجل من قريش وهو حذاقة ابن غانم العدوي:(الكامل)

عَمْرُو العُــلَى هَشَمَ الثّرِيــــــدَ لِقَوْمِهِ وَرِجَالُ مَكّةَ مُسْنِتُونَ عِجَــــــافُ

وقال في ذلك وهب بن عبد قصي بن كلاب: (الوافر)

تَحَمَّلَ هَاشِمٌ مَا ضَاقَ عَنْــــــهُ وَأَعْيَا أَنْ يَقُومَ بِهِ ابْن بِيضِ
أَتَاهُمُ بِالغَرَائِرِ مُتْأَقَــــــــــات مِنَ ارْضِ الشَّامِ بِالبُرِ النَفِيضِ
فَأَوْسَعَ أَهْلَ مَكّةَ مِنْ هَشِيــــــمٍ وَشَابَ الخُبْزَ بِاللّحْمِ الغَرِيضِ
فَظَلّ القَــــوْمُ بَــيْنَ مُكَلّلاتٍ مِنَ الثّيْزَى وَحَائِرُهَا يَفِيض

(١) محمد بن حبيب – المنمق: ١٠٣ – ١٠٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويروى: من الشيزى جابرها .. وكان أمية بن عبد شمس مكثراً، فتكلف أن يصنع ما صنع هاشم فعجز عنه وقصر، فشمت به ناس من قريش وسخروا منه وعابوه بما صنع ثم قصر فهاج ذلك بينه وبين هاشم شرا ومفاخرة ومخاصمة حتى دعاه إلى المنافرة وألب أمية إخوته ووبخوه وحرّبوه، وكره ذلك هاشم لسنه، حتى أكثرت قريش في ذلك وذموه، فقال له هاشم: أما إذا أبيت إلا المنافرة فأنا أنافرك على خمسين ناقة سوداء الحدقة ننحرها بمكة والجلاء عن مكة عشر سنين، قال: فرضيا بذلك وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي وخرج أبو همهمة بن عبد العُزّى عامرة بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر وكانت أمة أمه بنت أبي همهمة عند أمية بن عبد شمس فخرج معها كالشاهد، فقالوا: لو خبأنا له خبيئا نبلوه به قبل التحاكم إليه، قال: فوجدوا أطباق جُمْجُمَة بالية فأمسكها معه أبو همهمة ثم أتوا الكاهن وكان منزله بعُسْفان فأناخوا الإبل ببابه وقالوا: إنا قد خبأنا لك خبيئاً فأنبئنا به قبل التحاكم إليك فقال: أحلف بالنور والظلمة، وما بتهامة من بَهْمَة، وما بنجد من أَكَمة، لقد خبأتم لي أطباق جُمْجُمَة ، مع الفَلَنْدح أبي همهمة، قالوا: أصبت فاحكم بين هاشم بن عبد مناف وبين أمية بن عبد شمس أيهما أشرف فقال: والقمرِ الباهرِ، والكوكبِ الزاهرِ، والغمام الماطر، وما بالجو من طائر، وما اهتدى بعلم مسافر، مُنْجِد أو غائر، لقد سبق هاشم أمية إلى المفاخر، أول منها وآخر. قال: فأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها من حضر، وخرج أمية إلى الشام فأقام به عشر سنين، ومن ثم يقال إن أمية استلحق أبا عمرو ابنه وهو ذكوان وهو رجل من أهل صُفوريّة فخلف أبو عمرو على امرأة أبيه بعده فأولدها أبان وهو أبو معيط ويقال استلحق ذَكْوان أيضاً أبان.

د ـ منافرة عَائذ بن عبد الله بن عُمَر بن مَخْزُوم والحارث بن أسَد بن عَبْد العُزَّى[1]:

قال: تنازع عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم والحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي في الشرف والمجد أيهما أشرف وأمجد فجعلا بينهما كاهنا كان يقوم بعُسْفان وجعلا للمُنفّر خمسين من الإبل وجعلا الإبل على يد المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ثم شخصوا إليه فلما كانوا قريباً منه وجد رجل من بني أسد بن عبد العزى يقال له زُرّ بن حبيش بيضة نعام، فقال: هل لكم أن نخبأ له هذه البيضة؟ فإن أصابها علمنا أنه مصيب فيكما، قالا: نعم، فأمسكها معه ثم أتوه فأناخوا ببابه وعقلوا الإبل بفنائه ثم نادوه، فخرج إليهم فقالوا: أخبرنا في أي شيء جئناك، فقال: حلفت برب السماء ومرسل العَمَاء فينبعن بالماء! إن جئتموني إلا لطلب السناء، فقالوا: صدقت قد خبأنا لك خبيئا فأنبئنا ما هو؟ قال: خبأتم لي شيئاً مُدَمْلَقاً كالفهر لونه لون الدّرّ، يزلّ من فوقه الذر، قالوا: لادة، قال: حلفت بربّ مكة واليمامة، ومن سلك بطن تهامة، لحج أو إقامة لقد خبأتم لي بيضة نعامة مع

(١) محمد بن حبيب – المنمق: ١٠٧ – ١٠٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

زر ذي العمامة قالوا: صدقت، فانتسبا له، وقالوا: احكم بيننا أينا أولى بالمجد والشرف، قال: حلفت بأظب عُفْر، بلَمّاعة قَفْر، يردن بين سَلَم وسِدْر ! إن سناء المجد ثم الفخر لفي عائد إلى آخر الدهر.

قال: فأخذ عائذ الإبل فنحرها وأطعمها وأنشأ يقول: (البسيط)

إنّي امْرُؤٌ مِن ذُرَى فِهْر إذا نُسِبوا ... إذْ أَنْتَ مِنْ ثَمُد يا حارِ مَنْسوبُ
تُنازِعُ المَجْدَ قَوْمًا لَسْتَ مُدْرِكَهُمْ ... ما خَوَّذَ الرَّأْلُ أو ما حنَّتِ النِّيبُ
فَارْجِعِ ذَمِيمًا فَقَدْ لاقَيْتَ دَاهِيَةً ... وَقَدْ شَأَوْتُكَ والمَغْلوبُ مَغْلُوبُ

هـ ـ منافرة مَالِك بن عُمَيْلَة وعُمَيْرَة بن هَاجَر الخُزَاعِي[1]:

قال هاشم: كان المالك بن عُمَيلة بن السبّاق بن عبد الدار بن قصي فرس قد سبق عليه وكان لعُمَيرة بن هاجر بن عمير بن عبد العُزّى بن نمير الُخزاعي قد سبق عليه، فوقفا بمكة فتذاكر الخيل فقال عميرة: فرسي أجود من فرسك، فتراهنا على فرسيهما وجعلا الرهن على يدي عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار أيهما أسبق فله مائة من الإبل، فأرسلا فرسيهما من أجياد فأقبل فرس عميرة السبق عليه حتى كاد يقع الشرّ بينهما، فتداعيا إلى المنافرة إلى الكاهن فأيهما فضّل الكاهن فله مائة من الإبل والفرس، فتواثقا وخرجا مع كل واحد منهما نفر من قومه، وقاد كل واحد منهما عشرين بعيرا للكاهن، فنهى أرطأة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي مالك بن عملية أن ينافره فأبى وخرجا نحوه ومعها علقمة بن الفغواء الخزاعي ثم من بني نصر، فقالوا: لو خبأنا له خبيئا نبلوه به! فوجدوا في طريقهم جثة نسر فأخذوها ثم أتوا الكاهن وهو عُزّى سَلِمة العُذرى سلمة سمه وعُزّى اسم شيطانه فأناخوا الإبل ببابه، وخرج إليهم فقالوا: قد خبأنا لك خبيئا ما هو؟ وقد جعلوه في عكْم لهم من شعر ودفعوه إلى علقمة، قال: خبأتم لي ذا جناح أعنق، طويل الرجل أبرق، إذا تغلغل حلّق. وإذا انقضّ فتّق، ذا مخلب مُذلّق، يعيش حتى يُخلق، قال: بين، فقال: أحلف بالنور والقمر، والسناء والدهر، والرياح والفطر! لقد خبأتم لي جثة نسر، في عكم من شعر، مع الفتى من بني نصر؛ قالوا: صدقت، فاقض بين مالك بن عميلة وابن هاجر فقال: (الرجز)

أَحْلِفُ بِالمَـــــرْوَةِ وَالمَشَاعِرِ ... وَمَنْحَرِ البُدْنِ لدى الحَزاوِرِ
وَكُلِّ مَنْ حَـــــجَّ عَلَى عُذافِرِ ... مِنْ بَيْنِ مَطفورٍ وَبَيْنِ نَاشِرِ

(١) محمد بن حبيب – المنمق:١٠٩ – ١١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يُـــومٌ بَيْتَ اللهِ ذي السِّتائِرِ أنّ سَنا المَجـْدِ وَالمَفـاخِرِ
لَفِي الفَتَى عُمَيْرَةِ بنِ هَاجِرِ فَارْجِعِ أَخا الدَّارِ بِجَدٍّ عَاثِرِ

فسار عميرة إلى الإبل فنحرها، وأخذ الإبل والفرس، وأنشأ مالك يقول: (الطويل)

شَآنِيَ لَمَّا أَنْ جَرَيْتُ ابْنَ هَاجِرٍ فَأَشْمَتُّ أَعْدَائِي وَأُخْرِجْتُ مِنْ مَالِي
فَيَالَيْتَنِي مِنْ قَبْلِ حِلِّي وَرِحْلَتِي إِلَى الكاهِنِ الطّاغُوتِ قَطَّعْتُ أَوْصَالِي
بِعَضْبٍ حُسَامٍ ذِي شَقَائِقَ مُرْهَفٍ وَلَمْ يَكُ سَرَّاءٌ عُمَيْرَةُ مِنْ مَالِي
ضَلَلْتُ كَمَا ضَلَّتْ بِلَيْلٍ فَلاَ تَرَى قُلاَمَةُ ظُفْرٍ فِي مُعَرَّسِ نَزَّالِ

وقال أرطأة في ذلك لمالك: (الطويل)

نَدِمْتَ نَئِيشًا أَنْ تَكُونَ أَطَعْتَنِي عَلَى حِينِ لا يُجْدِي عَلَيْكَ التَنَدُّمُ
(نئيشا بعد الفوت ...)

فَجَارَيْتَ قَرْمًا مِنْ قُرُومٍ كَرِيمَةٍ فَقَصَّرْتَ إِذْ أَعْيَا عَلَيْكَ التَقَدُّمُ

و ـ منافرة بني مَخْزُوم وبني أُمَيّة[1]:

قال: اجتمع عند الحجر قوم من بني مخزوم وقوم من بني أمية فتذاكروا العزّ والمنعة، فقال رجل من بني كنانة كان حليفاً لبني مخزوم: بنو مخزوم أعز وأمنع، وقال رجل من بني زُبَيْد وكان حليفاً لبني أمية: بنو أمية أعز وأمنع، فجرى بينهما الكلام حتى غضب الوليد بن المغيرة المخزومي وأسيد بن أبي العيص وتفاخرا فجرى بينهما اللّجاج فقال الوليد: أنا خير منك أما وأبا وأثبت منك في قريش نسبا، فقال أسيد: أنا خير منك منصبا وأنت منك وأثبت منك نسبا وأنت رجل من كنانة من بني شجع دخيل في قريش نزيع في بني مَخْزُوم وأنا غرة بني عبد مناف وذؤابة قُصيّ، فتعال أفاخرك، ثم قال أسيد: (الطويل)

لَسْتُ بِشَجْعِي وَلَكِنْ نِسْبَتِي إِلى غُرَّةٍ لا قَوْلَ مَنْ يَتَنَحَّلُ
فَلَوْ كُنْتَ مِنَّا لَمْ تَعِثْ فِي فَسَادِنَا وَجَامَلْتَنَا وَالحَازِمُ المُتَجَمِّلُ

(١) محمد بن حبيب – المنمق: ١١٢ – ١١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَإلا تَــدَعْ مَا بَيْنَنَا مِنْ عَــــدَاوَةٍ تَكُنْ لَكُمْ لَوْمٌ أَغَرّ مُحَجّــلُ

قال: فتداعيا إلى المنافرة وكذلك كانت العرب تفعل وقالا: يحكم بيننا سطيح فليس من أحد من واحد من الفريقين فترضى بما حكم بيننا فتراضيا به وجعلا بينهما خمسين من الإبل للمنفّر على صاحبه، قال: فخرجا نحوه وخرج معهما نفر من قومهما حتى أتوا سطيحا وهو يومئذ بصَعْدة باليمن فوجدوا في طريقهم مخلب ليث فجعلوه في مزود مع غلام أسود كان لأسيد بن أبي العيص وقالوا: نخبأه له ونسأله عنه فإن أصاب نتحاكم إليه، فأتوه فأناخوا ببابه، وعقلوا الإبل عن الرجلين بفنائه، قال: فوثب رجل من بني مَخْزُوم وقال يا سطيح: (الرجز)

إليكَ حِينًا يا سَطِيحُ نَعْمَـــــد يَقُــودُنَا جَمْعاً إِلَيْكَ الفَــدْفَد
لَسْنا إلى غَيْــرِكَ حقا نَقْصــــد ما إنْ لنا عَنْكَ هُدِيتَ عُنْــدَد
فَعَجِّل الحُـــكْمَ ولا تَــرَدَّد

قال: فخرج إليهم سطيح. فقالوا: إنا قد خبأنا لك خبيئا فأنبئنا عنه حتى نتحاكم إليك بعد، فقال: خبأتم لي عودا وما هو بعود، بل حجرا وليس بالجلمود، فقالوا:بيِّن، فقال: هو أحنف محدد، في مكتل أو مزود، مخلب ليث أربد، مع الغلام الأسود. قالوا: صدقت فاحكم بين الوليد بن المغيرة وبين أسيد بن أبي العيص، فقال: بالنجودِ أحلف وبالتهائم، ثم بيت الله ذي الدَّعائم، وكل من حج على شُدَاقم، إني بما جئتم به لعالم، إن ابن مخزوم أخو المكارم، فارجع يا أسيد بأنف راغم. ثم أقبل عليهما فقال: أما أنت يا وليد! فمثلك مثل جبل موّزر، فيه الماء والشجر، وفيه للناس مُعْتَصر ومنعة الحي والوَزر، للخير سبَّاق وللشر حذر. وما أنت يا أسيد! فمثلك مثل جبل وَعِر، فيه للمقتبسين جمر، ولا وِرْد ولا صَدْر، الخير، عندك نزر، والشر عندك أمر؛ فلح الوليد وظفر، وخاب أسيد وخسر. فأخذ سطيح ما كان جعل له من الإبل وقام الوليد إلى الإبل فنحرها وأطعمها الناس فأكلوا وحملوا.

ز –منـــافـــرة بَنِي قُصَي وبني مَخْـزُوم[1]:

معروف بن الخرّبوذ عن بشير بن تميم قال: جعل نفر من قريش مجلسا فقال أبو ربيعة بن المغيرة وابنه المغيرة وبنو المغيرة: ومنا سُويد بن هرمي من بني عامر بن عبيد بن عامر بن مخزوم، فقال أسيد بن ابي العيص بن أمية: إليك إنما بنو قُصَيّ أشرف إنما شرف عبد الله بن عمر لأن أمة برّة بنت قصي، فبها نال ما نال، ثم عدّد رجال قُصي، ثم قال: فينا السقاية والحجابة والندوة والرفادة واللواء،

(١) محمد بن حبيب – المنمق: ١١٤ – ١١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فتداعوا إلى المنافرة فقال أسيد: إن نفّرتك أخرجتك من مالك، وإن نفرتني أخرجتني من مالي، فتراضيا بكاهن من خزاعة فقال ابن أبي همهمة وأمه تُمَاضِر بنت أبي عمرو بن عبد مناف: مهلا يا أبا ربيعة! فأبى، وخرجوا وساقوا إبلا ينحرها المنفّر، فوجدوا في طريقهم حمامة أو يمامة فدفعوها إلى أسامة عبد أبي همهمة، فجعلها في ريش ظليم فلما أتوا الكاهن قالوا: ما خبأنا لك؟ فقال: إما غمامة تتبعها غمامة، فبرقت بأرض تهامة، فطفا من وبلها كل طَلْح وثمامة، لقد خبأتم لي فرخ حمامة، أو أختها يمامة في زِف نعامة، مع غلامكم أسامة. قالوا: احكمْ، فقال: أما ورب الواطدات الشُّم، والجَرْول السود بهنّ الصُمّ، وما جرت جارية في يم أن أسيداً لهو الخَضِم، لا تنكروا الفضل له في العَم.

أما ورب السماء والأرض والماء وما لاح لنا من حراء. لقد سبق أسيد أبا ربيعة بغير مراء، قالوا: أقصيّ أفضل أم مخزوم؟ قال: أما ورب العاديات الضُّبح، ما يعدل الحُرّ بعبد نَحْنح، بمن أحل قومه بالأبطح. فنحر أسيد الجزر ورجع فأخذ مال أبي ربيعة، وكانت أخت أسيد عند أبي جهل فكلمت أخاها حتى رد على أبي ربيعة ماله.

ح – منافرة بَني لُـؤَي بن غَالِـب[1]:

قال أبو فراس محمد بن فراس بن محمد بن عطاء بن خولي الشامي قال حدثني أبو حفص أخو أبي العلاء العامري قال حدثني إبراهيم بن عبد الملك العامري من بني حبيل قال: ولد للؤي بن غالب ابن يقال له عمرو مات صغيرا وكان من أمره أنه خرج مع أخيه عامر بن لؤي في سفر فلما أقبل إلى مكة تخلّف عمر في طريقه عن عامر فنهشته أفعى فقتلته، فاتهمت بنو لؤي عامرا بقتله، فأرادوا قتله، فنهاهم ذوو الرأي منهم فسألوه الدية، فقال: لا أدى من لم أقتل، وجمع رأيهم على إتيان سَطِيح الذئبي في أمره، فقال له عامر: إن قال سطيح: إني قتلته، و لم أقتله لقتلوني به؛ وإن قال: إني لم أقتله، وقد قتلته أتدعون دم أخيكم؟ قالوا: فما الرأي؟ قال: افعلوا في سفركم فعلا، فإن أخبركم به صدق في صاحبكم، فخرجوا من مكة، فلما ساروا عشرا نحورا بكرا واصطادوا عليه نسرا فأخذوا من خوافي ريشه عشرا ثم ساروا بعد العشر شهرا، ثم نحروا بكرا واصطادوا عليه نسرا وأخذوا من خوافي ريشه عشرا، ثم قدموا على سطيح، فقيل له: هؤلاء بنو لؤي بن غالب بالباب، فقال: ائذنوا لبني لؤي، فدخلوا عليه فقال: بنو لؤي أهل سناء وشرف وسؤدد ورفعة والأمر كائن فيهم غدا، ثم قال: خرجتم من بلادكم وقد شجر بينكم أمر فسرتم من بلادكم عشرا، ثم نحرتم بكرا، واصطدتم عليه نسرا، وأخذتم من خوافيه عشرا؛ ما قتل عامر عمرا، ولكن نَهَشَته أفعى. فقال له عامر: أخلق بالرجل

(١) محمد بن حبيب – المنمق: ١١٧ – ١١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن يكون صدق، إنه كان تخلف عني في موضع كذا وكذا، فأتوا الموضع فوجدوا رأسه وأعظمه على جُحر الأفعى.

ط – منافرة عُتْبَة بن رَبِيعَة الفَاكِه بن المُغِيرَة المَخْزُومي[1]:

حدثني أبو السكين زكريا بن عمر بن حصن الطائي قال: حدثني عم أبي زحر بن حصن عن جسده حميد بن حارثة، قال أبو سعيد السُكرى وحدّثني أيضاً أبو السكين الطائي قال أبو بكر – يعني الحلواني وحدثني أيضاً أبو بكر محمد بن أحمد قال حدثنا أبو السكين الطائي بإسناده قال: كانت هند بنت عتبة بن بيعة عند الفاكه بن المغيرة المخزومي وكان الفاكه من فتيان قريش وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس فيه عن غير إذن، فخلا البيت ذات يوم فقال هو وهند فيه ثم خرج الفاكه لبعض حاجته فأقبل رجل ممن كان يغشى البيت فولجه، فلما رأى المرأة ولّى هارباً وناداه الفاكه وأقبل إلى هند فضربها برِجْله وقال لها: من هذا الذي كان عندك؟ قالت: ما رأيت أحدا ولا انتبهت حتى أنبهتني، فقال لها: الحقي بأبيك: وخاض فيها الناس فقال لها أبوها: يا بنية! أنبئيني نبأك، فإن كان الرجل عليك صادقاً دسست عليه من يقتله فانقطعت القالة عنك، وإن يكن كاذباً حاكمته إلى بعض كهان اليمن، فحلفت بما كانوا يحلفون به إنه لكاذب، فقال عتبة للفاكه: إنك قد رميت ابنتي بأمر عظيم فحاكمني إلى بعض كهان العرب، فخرج الفاكه في جماعة من بني مَخْزُوم وخرج عتبة في جماعة من بني عبد مناف وخرج معهم هند ونسوة معها، فلما شارفوا البلاد تغيرت حال هند فقال لها أبوها: إني قد أرى ما بك من تغير الحال وما ذلك إلا لمكروه عندك، قالت: لا والله يا ابتاه! ما ذاك لمكروه عندي، ولكني أعلم أنكم تأتون بشرا يخطئ ويصيب ولا آمنه أن يسيمني ميسما يكون على سُبّة إلى يوم القيامة، فقال لها: إني سوف أختبره من قبل أن ننظر في أمرك، فأخذ حبة من حنطة فأدخلها في إحليل فرسه وأوكى عليه بسير فلما صبّحوا الكاهن نحر لهم وأكرمهم، فلما قعدوا قال له عتبة: إني قد خبأت لك خبيئاً فانظر ما هو؟ قال: ثمرة في كمرة. قال: أريد أبين من هذا، قال: حبة من بُرّ في إحليل مهر، قال: صدقت، انظر في أمر هؤلاء النسوة فجعل يدنو من إحداهن ويضرب كتفها ويقول: انهضي، حتى دنا من هند فضرب كتفها وقال: انهضي غير رسحاء ولا زانية، ولتلدنّ ملكاً يقال له معاوية، فنهض إليها الفاكه فأخذ بيدها فترت يدها من يده، وقالت: إليك، فو الله لأحرصنّ على أن يكون ذلك من غيرك! فتزوجها أبو سفيان بعده فجاءت بمعاوية. قال أبو جعفر: قال لي أبو السكين الطائي: رحل أبو بكر بن عياش من الكوفة إلى البادية حتى لقى عم أبي فسأله عن هذا الحديث.

---

(١) محمد بن حبيب – المنمق: ١١٨ – ١٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ي – منافرة عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية[١]:

وكان لعبد المطلب جار يهودي يقال له "أذينة" يتّجر وله مال كثير فغاظ ذلك حرب بن أمية، وكان ندم عبد المطلب فأغرى به فتياناً من قريش ليقتلوه ويأخذوه ماله؛ فقتله عامر بن عبد مناف بن عبد الدار وصخر بن عمرو بن كعب التيمي جد نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر بعض أخبار آباءه وأجداده.

أبي بكر رضي الله عنه فلم يعرف عبد المطلب قاتله فلم يزل يبحث حتى عرفهما، وإذا هما قد استجارا بحرب بن أمية، فأتى حرباً ولامه وطلبهما منه فأخفاهما فتغالظا في القول حتى تنافرا إلى النجاشي ملك الحبشة فلم يدخل بينهما؛ فجعلا بينهما نُفيل بن عبد العُزَّى العدوي جد عمر بن الخطاب، فقال لحرب: يا أبا عمرو أتنافر جلاً هو أطول منك قامة، وأوسم وسامة، وأعظم منك هامة، وأقل منك ملامة، وأكثر منك ولداً، وأجزل منك صفداً، وأطول منك مدداً؟ وإني لأقول هذا، وإنك لبعيد الغضب، رفيع الصوت في العرب، جلد المريرة تحبك العشيرة؛ ولكنك نافرت منفراً. فغضب حرب وقال: من انتكاس الزمان أن جُعلت حكماً.

فترك عبد المطلب منادمة حرب، ونادم عبد الله بن جُدْعَان التيمي، وأخذ من حرب مائة ناقة فدفعها إلى ابن عم اليهودي، وارتجع ماله إلا شيئاً هلك فغرمه من ماله.

وهو أول من تحنث بحراء فكان إذا حل شهر رمضان صعد حراء وأطعم المساكين جميع الشهر.

وتوفي وله مائة وعشرون سنة، وكان قد عمي، وقيل غير ذلك.

ابن هاشم واسم هاشم عمرو، وكنيته أبو نَضْلَة وإنما قيل له هاشم لأنه أول من هشم الثريد لقومه بمكة وأطعمه.

قال ابن الكلبي: كان هاشم أكبر ولد عبد مناف، والمطلب أصغرهم، أمه عاتكة بنت مرة السلمية، ونوفل وأمه واقدة، وعبد شمس، فسادوا كلهم وكان يقال لهم: المجيرون، وهم أوّل من أخذ لقريش العصم فانتشروا من الحرم أخذ لهم هاشم خيلاً من الروم وغسان بالشام، وأخذ لهم عبد شمس خيلاً من النجاشي بالحبشة وأخذ لهم نوفل خيلاً من الأكاسرة بالعراق وأخذ لهم المطلب خيلاً من

(١) ابن الأثير – الكامل في التاريخ، ٢: ٥٥٢ – ٥٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حِمير باليمن فاختلفت قريش بهذا السبب إلى هذه النواحي، فجبر الله بهم قريشاً، وقيل: إن عبد شمس وهاشماً توأمان، وإن أحدهما وُلد قبل الآخر، وإصبع له ملتصقة بجبهة صاحبه فنحيت، فسال الدّم، فقيل: يكون بينهما دم.

ك – منافرة هاشم بن عبد المطلب وأمية بن عبد شَمْس[١]:

وولي هاشم بعد أبيه عبد مناف ما كان إليه من السقاية والرفادة فحسده أمية بن عبد شمس على رياسته وإطعامه فتكلف أن يصنع صنيع هاشم، فعجز عنه، فشمتت به ناس من قريش فغضب ونال من هاشم، ودعاه إلى المنافرة فكره هاشم ذلك لسنّه وقدره فلم تدعه قريش حتى نافره على خمسين ناقة والجلاء عن مكة عشر سنين فرضي أمية. وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي وهو جد عمرو بن الحمق ومنزله بعسفان، وكان مع أمية همهمة بن عبد العزى الفهري وكانت ابنته عند أمية، فقال الكاهن: والقمر الباهر، والكوكب الزاهر. والغمام الماطر. وما بالجو من طائر، وما اهتدى بعلم مسافر. من منجد وغائر. لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر. أول منه وآخر. وأبو همهمة بذلك خابر.

فقضى لهاشم الغلبة، وأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها، وغاب أمية عن مكة بالشام عشر سنين فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية.

ل – منافرة عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية[٢]:

إلّادَهِ فَـــــلادَهِ

روى ابن الأعرابي: الاده فلاده، ساكن الهاء. ويروى أيضاً، الادِه فلادِه، أي إن لم تعط الاثنين لا تعط العشرة. قال أبو عبيد: يضربه الرجل يقول أريد كذا وكذا فإن قيل له ليس يمكن ذا. يقول: فكذا وكذا. وقال الأصمعيّ: معناه إن لم يكن هذا الآن فلا يكون بعد الآن، وقال: لا أدري ما أصله. قال رؤبة: وقُوّل الادَه فلادَه. قال المنذري: قالوا معناه إلا هذه فلا هذه، يعني أن الأصل الاذه فلاذه، بالذال المعجمة، فعربت بالدال غير المعجمة، كما قالوا يهوذا ثم عُرِّب فقيل يهوداً. وقيل: أصله الأدهى، أي إن لم تضرب. فأدخل التنوين فسقط الياء قال رؤبة:

فَالْيَـــــوْم قَدْ نَهْنَهَنِي مُنَهْنِهِي ... وَأَوَّل حِـــلْمٍ لَيْسَ بِالْمُسَفَّهِ
وَقُـــــــوَّلٌ إلاّ دِهِ فَلاَدَهِ ... وحَقَّةٌ لَيْسَتْ بِقَوْلِ التـــرَّهِ

---

(١) ابن الأثير – الكامل في التاريخ، ٢: ٥٥٤.

(٢) الميداني – مجمع الأمثال، ١: ٧٤ – ٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول: زجرني زواجر العقل ورجوع حلم ليس يُنسب إلى السَّفه وقوّل، أي ورجوع قوّل، أي قول يقلن إن لم تتب الآن مع هذه الدواعي لا تتب أبداً: وقوله حقة، أي وقالة حقة، يقال حق وحقة، كما يقال أهْل وأهْلَة، يريد الموت وقربه. روى هشام بن محمد الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن عقيل عن أبي طالب قال: كان عبد المطلب بن هاشم نديماً لحرب بن أمية حتى تنافرا إلى نُفَيْل بن عبد العزى، جدّ عمر بن الخطاب، فانفر عبد المطلب فتفرقا ومات عبد المطلب وهو ابن عشرين ومائة سنة، ومات قبل الفجار في الحرب التي بين هوازن. ويقال بل تنافرا إلى عِزّى سلمة الكاهن. قالوا: كان لعبد المطلب ماء بالطائف، يقال له ذو الهرم، فجاء الثقفيون فاحتفروه فخاصمهم عبد المطلب إلى غزي أو إلى نُفيل، فخرج عبد المطلب مع ابنه الحارث،وليس له يومئذ غيره، وخرج الثقفيون مع صاحبهم وحرب بن أمية معهم على عبد المطلب فنفد ماء عبد المطلب فطلب إليهم أن يسقوه فأبوا، فبلغ العطش منه كل مبلغ، وأشرف على الهلاك، فبينا عبد المطلب يثير بعيره ليركب إذ فجر الله له عينا من تحت جِرانه فحمد الله وعلم أن ذلك منه فشرب وشرب أصحابه رِيّهم وتزودوا منه حاجتهم. ونفد ماء الثقفيين فطلبوا إلى عبد المطلب أن يسقيهم فأنعم عليهم. فقال له ابنه الحارث: لأنحنينّ على سيفي حتى يخرج من ظهري. فقال عبد المطلب: لأسقينّهم فلا تفعل ذلك بنفسك، فسقاهم ثم انطلقوا حتى أتوا الكاهن وقد خبئوا له رأس جرادة في خَرَزة مَزَادة وجعلوه في قلادة كلب لهم يقال له سَوّار، فلما أتوا الكاهن إذا هم ببقرتين تسوقان بينهما بَحزَجًا كلتاهما تزعم أنه ولدها، ولدتا في ليلة واحدة، فأكل النمر أحد البَحْزجين فهما تَرْأمان الباقي، فلما وقفتا بين يديه قال الكاهن: هل تدرون ما تريد هاتان البقرتان؟ قالوا: لا، قال الكاهن: ذهب به ذو جسد أربد وشدق مُرْمع، وناب معلق، ما للصغرى في ولد الكبرى فأنبئنا عنه ثم نخبرك بحاجتنا. قال: خبأتم لي شيئاً طار فسطع فتصوب فوقع في الأرض منه بقع. فقالوا: لادة، أي بينه. قال إن لاده فلاده: هو شيء طار فاستطار، ذو ذنب جرار، وساق كالمنشار، ورأس كالمسمار، فقالوا: لاده.

قال: أن لاده فلاده، هو رأس جرادة، في خَرَز مَزَادة — في عنق سوّار ذي القلادة. قالوا: صدقت فأخبرنا فيما اختصمنا إليك؟ فأخبرهم وانتسبوا له فقضى بينهم، ورجعوا إلى منازلهم على حكمه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- منـــافرات عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعامر بن الطُّفَيْل:

أ – خبر أبي عبيدة[١]:

[المتنافرون في الجاهلية ثلاثة]

عامر بن الطُّـفَـيْـل، و عَلْقَمة بن عُلاثَة الجَعْفَرِيَّان، وتنازعا في الرئاسة حين أُهْتِر عامر ابن مالك ملاعب الأسنة، فقال علقمة: أنا أحق بها منك؛ لأن الأحوص بن جعفر كانت له و لم تكن لأبيك، فقال عامر: أنا أحقّ بها منك، لأني أفضل منك فتحاكما إلى هَرِم بن قُطْبَة بن سنان الفزاري. فقال عامر بن الطفيل لعمه عامر [بن] مالك: أعنّي، فقال له: سُبّني يا ابن أخي فأبى، فقال: أبو براء وأنا لا أسبّ عمّي وقال:

أَأُومَرُ أَنْ أَسُبَّ أَبَا شُرَيْحٍ وَلا وَاللّهِ أَفْعَلُ مَا حَيِيتُ

وَلا أُهْدِي إِلى هَرِمٍ لِقاحًا فَيُحْيِي بَعْد ذلك أَوْ يُمِيتُ

فشخص بنو مالك بن جعفر مع عامر ومعه لبيد بن ربيعة. وشخص بنو الأَحْوَص بن جعفر مع عَلْقَمَة بن عُلاثَة ومعه الحُطَيْئة، ومع كل واحد منهما ثلاثمائة بعير يُعطى الحاكم منها مائة، ويَعْقِرُ مائة ويأكلُ هو وأصحابه في الطريق مائة، فلما بلغ هرماً دنوّهما استخفى فجعلا يتهاتران. فقال عَلْقَمَة: أنا عفيفٌ وأنت عاهرٌ، وأنا ولّودٌ وأنت عاقرٌ، وأنا إلى ربيعة، وكانت أمّه منهم.

فقال عامر:

فَاخَرتني بِبَشْكُـــــــــر بنِ بَكْرٍ
وَالنَّحِيَّيْنِ أَهْلَ سَيِـــــــف البَحْرِ
وَجَمْـــعَ عــبْد القَيْسِ أَهْل النَّمْرِ

وقال لبيد:

يا هَــرِم بْن الأَكْرَمِينَ مَنْصِبَا
إِنّ الذّي يَعْلُـــو عَلَيْهَا تُرْتُبَا
لِخَيْرِنَا خَالاً وَعَمًّا وَأَبا

(١) أبو عبيدة – الديباج: ٨٨ – ٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فَطَبِّق المِفْصِلَ وَاغْنَمْ طَيِّبَا

وقال لبيد:

يَا هَرِمًا وَأَنْتَ خَيْرُ عَدْلِ
هَلْ تُوهِنَنَّ حَسَبِي وَفَضَلِي
وَإِنْ ولدَ الأَحْوَص يَوْماً قَبْلي
ثُمَّ لَحِقْتُ بِانْطِلاقِ رَسْلِي
قد عَلِموا أنّا خِيَارُ الطَّبْلِ

فعنّ له السندري بن عيساء فقال:

إِنِي لِمَنْ يَسْأَلُ عَنّي السَّنْدَرِيّ
أَنَا الغُلامُ الأَحْوَصِيّ الجَعْفَرِيّ

وقال:

وهل فيكم يومٌ كيوم الجَبَلَة
يَـــــوْمٌ أَتَتْنَا أَسَدٌ وَحَنْظَلَة
وَالمَلِكَان وَالْجُمُـــوعُ أَزْفَلَة
كَأَنَّهُمْ مهنوة مـــــدجلة
نَعْلُوهُمُ بِقُضُبٍ مُنْتَخَلَـــــة
لَمْ تَعْدُ أَنْ أَفْرشَ عَنْهَا الصَّقَلَة

وكان الأحوص رئيس هوازن وعبس وغُنَيٍّ وباهلة يوم جبلة، فقال عامرٌ: يا لبيدُ أما ترى إلى العبد؟ فقال: والله لا أجعل عرضي إلى ابن السّوداء، وقال:

وَلَمَّا دَعَانِي عَامِـرٌ لِأَسُبَّهُمْ أَبيتُ وَإِنْ كَانَ ابْنُ عَـيْسَاءَ ظَالِما
لكيلا يَكُونَ السَّنْدَرِيُّ نديانا وَأَجْعَلُ أعماماً عُمُومًا عَمَاعِما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجعل الحطيئة يقول ولا يحقق:

وَمَا يَنْظُرُ الحُكَّامُ فِي الفَضْلِ بَعْدَمَا ... بَدَا وَاضِحٌ ذُو غُرَّةٍ وَحُجُـــولِ

فلمّا رأوا هرما لا يظهر توجهوا إلى عكاظ فلقى الأعشى بن قيس عامراً، [فقال:] ما الخطب يا أبا علي؟ فأخبره، وقال: إني قائل أبياتاً أتقوّل عليه وأزعم أنكما حكمتماني ثمّ، وأنا واقف في سوق عكاظ أنشدها فينشدها قواعد أصحابك أن يعقروا الإبل ويحفظ الشعر، ففعل وغدا الأعشى فقال – ورفع عقيرته، أي: صوتَه بالغناء- :

عَلْقَـــمَ لا لَسْتَ إلى عَامِرٍ ... النَّاقِـــضِ الأَوْتَارَ وَالوَاتِرِ
سُدْتَ بَنِي الأَحْوَصِ لَمْ تَعْدُهُمْ ... وَعَامِـــرٌ سَادَ بَنِي عَامِرِ
سَادَ وَأَلْفَى رَهْطَـــهُ سَادَةً ... وَكَابِـــرًا سَادُوكَ عَنْ كَابِرِ
مَنْ يَجْعَـــلُ الجُدَّ الظَّنُونَ الذِّي ... جُنَّبَ صَوْبَ اللَّجِبِ المَاطِرِ
مِثْـــلَ الفُرَاتِ إِذَا مَا طَمَـــا ... يَقْـــذِفُ بالبُوصِيِّ وَالمَاهِرِ
حَكَّمْتُـــــوهُ فَقَضَى بَيْنَكُمْ ... أَبْلَـــجُ مِثْلَ القَمَرِ الزَّاهِرِ

و لم يزد على هذه الأبيات، وشدّ أصحاب عامر فعقروا الإبل ونادوا: أعامر ثم تفرقوا، وكان في سرعان أصحاب عامر فتىً تقدم قبل القوم فأورد فريقاً على الماء – وهو رافع عقيرته – يقول:

عَلْقَمَ لا لَسْتَ إلى عَامِرٍ ... النَّاقِضِ الأَوْتَارَ وَالوَاتِرِ

فسمعته مليكة بنت الحطيئة فوضعت البوغاء على رأسها وهتفت: حباه؟ هذا والله شعر أبي بصير، فلما توعد علقمة الأعشى وزاد فيها:

شَاقَتْكَ مِـــنْ قَتْلَةَ أَطْلالها ... ... إلى آخر القصيدة.

وقال في كلمته التي فيها:

أَذَنْبُنَا أَنْ جَاشَ بَحْرُ ابْنِ عَمِّكُمْ ... وَبَحْرُكَ سَاجٍ لا يُوارِي الدَّعَامِصَا
كِلَا أَبَوَيْكُمْ كَانَ فَرْعًا دِعَامَـــةٍ ... وَلَكِنَّهُمْ زَادُوا وَأَصْبَحْتَ نَاقِصَا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأسلم هَرِم بن قُطْبَة الفزاري فقال له عمر – رحمه الله– حين وفد عليه: لمن كنت حاكماً؟ فقال: أعفني يا أمير المؤمنين فو الله لو أظهرتُ اليوم شيئاً لعادت الحكومةُ جذعةً. قال: صدقت بهذا العقل حكمت بدر. قال: والله لناس يرون أنه قال لعلقمة: والله لبيان عامر أشهر منكم في العرب. وقال لعامر: أتنافر علقمة وأنت أعور عاقر، لا والله ما رآهما ولا رأياه، ولئن شئت لتسمعن قائلاً يقول: أنتما كركبتي الجمل الأدرم. ولو قال هذا لادّعى كلٌ واحدٍ منهما أنه المعني ولتفانا جذماهما ولكنهما قد تماترا ببابه فحكاه من لا يعلم عن من لا يعلم عن هرم. يقول: تنافر فنفر فلانٌ فلاناً، والحاكم ينفر أفضلهما.

ب – : خبر الأصفهاني[1]:

الخبر في هذه القصة
وسبب منافرة عامر وعلقمة
وخبر الأعشى وغيره معهما فيها

أخبرني بذلك محمد بن الحسن بن دريد إجازة، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، ونسخت من روايات ابن الكلبي عن أبيه، ومن رواية دَمَاذ والأَثْرَم عن أبي عبيدة والأصمعي، ومن رواية ابن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضّل، ومن رواية أبي عمرو الشيباني عن أصحابه، فجمعت رواياتهم، ولكل امرئ منهم زيادة. على صاحبه ونقصان عنه، واللفظ مشترك في الروايات، إلا ما حكيته مفردا.

قال ابن الكلبيّ: حدثني أبي ومحرز بن جعفر، وجعفر بن كلاب الجعفريّ، عن بشر بن عبد الله بن حيّان بن سلمى بن مالك بن جعفر، عن أبيه، عن أشياخه وذكر بعضه أبو مسكين، قالوا:

أول ما هاج النِّفَار بين عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر، وبين عَلْقَمَة بن عُلاثَة بن عوف بن الأحوص –

وأم عامر: كبشة بنت عروة الرحّال بن عتبة بن جعفر، وأمها أم الظباء بنت معاوية، فارس الهرّار، ابن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة، وأمها خالدة بنت جعفر بن كلاب، وأمها فاطمة بنت عبد شمس بن عبد مناف، وأم أبيه الطّفيل:أم البنين بنت ربيعة بن عمرو بن عامر بن صعصعة.

(١) الأصفهاني- الأغاني، ١٦: ٢٨٣ – ٢٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال أبو الحسن الأثرم: وكانت أم علقمة ليلى بنت أبي سفيان بن هلال بن النّخع سبيّة، وأم أبيه ماوية بنت عبد الله بن الشّيطان بن بكر بن عوف بن النخع مُهَيْرَة –

إن علقمة كان قاعداً ذات يوم يبول، فبصر به عامر، فقال: لم أر كاليوم عورة رجلٍ أقبح. فقال علقمة: أما والله ما تثب على جاراتها، ولا تنازل كنّاتها؛ يعرّضُ بعامر. فقال عامر: وما أنت والفروم! والله لفرس أبي "حَنْوة" أذكر من أبيك؛ ولفحل أبي "غَيْهب" أعظم ذكراً منك في نجد. قال: وكان فرسه فرسا جواداً، نجا عليه يوم بني مرة بن عوف بن سعد بن ذُبيان، وكان فحله فحلاً لبني حرملة بن الأشعر بن صرمة بن مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان.

قال الأثرم: وأخبرني رجل من جهينة بدمشق، قال: هو الأشعر بن صِرْمة.

قال الأثرم: سمي صرمة غَيْهب لسواده.

قال ابن الكلبيّ: فاستعار منهم يستطرقه، فغلبهم عليه، فقال علقمة: أما فرسكم فعارة، وأما فحلكم فغدرة. ولكن إن شئت نافرتك. فقال: قد شئت.

فقال عامر: والله لأنا أكرم منك حسبا، وأثبت منك نسبا، وأطول منك قصباً.

فقال علقمة: لأنا خير منك ليلاً ونهاراً.

فقال عامر: لأنا أحب إلى نسائك أن أصبح فيهن منك.

فقال علقمة: على ماذا تنافرني يا عامر؟

فقال عامر: أنافرك على أن أنحر منك للّقاح، وخير منك في الصباح، وأطعم منك في السنة الشّياح.

فقال علقمة: أنت رجل تقاتل والناس يزعمون أني جبان، ولأن تلقى العدوّ وأنا أمامك، أعزّ لك من أن تلقاهم وأنا خلفك. وانت جواد والناس يزعمون أني بخيل، ولست كذلك، ولكن أنافرك أني خير منك أثراً، وأحدّ منك بصراً، وأعز منك نفرا، وأسرح منك ذِكْرا.

فقال عامر: ليس لبني الأحوص من فضل على بني مالك في العدد، وبصري ناقص، وبصرك صحيح، ولكني أنافرك على أني أنشر منك أمّة، وأطول منك قمّة، وأحسن منك لمّة، وأجعد منك جُمّة، وأبعد منك همّة.

قال علقمة: أنت رجل جسيم، وأنا رجل قَضِيف، وأنت جميل، وأنا قبيح، ولكني أنافرك بآبائي وأعمامي.

فقال عامر: آباؤك أعمامي ولم أكن لأنافرك بهم، ولكني أنافرك أني خير منك عَقِباً، وأطعم منك جدبا.

قال علقمة: قد علمت أن لك عقبا في العشيرة، وقد أطعمت طيبا إذ سارت؛ ولكني أنافرك أني خير منك، وأولى بالخيرات منك؛ وقد أكثرنا المراجعة منذ اليوم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال: فخرجت أم عامر، وكانت تسمع كلامهما، فقالت: يا عامر، نافره أيكما أولى بالخيرات.
قال أبو المنذر: قال أبو المسكين: قال عامر في مراجعته: والله لأنا أركب منك في الحُمَاة، وأقتل منك للكُمّاة، وخير منك للمولى والمولاة.
فقال له علقمة: والله أني أعز منك، إني لبرّ وإنك لفاجر، وإني لوفيّ وإنك لغادر، ففيم تفاخرني يا عامر؟ فقال عامر: والله إني لأنزل منك للقَفْرة، وأنحر منك للبَكْرة، وأطعم منك للهَبْرة، وأطعن منك للثّغرة.
فقال علقمة: والله إنك لكليل البصر، نكد النظر، وثّاب على جاراتك بالسّحر.
فقال بنو خالد بن جعفر، وكانوا يدا مع بني الأحوص على بني مالك بن جعفر: لن تطيق عامرا، ولكن قل له: أنافرك بخيرنا وأقربنا إلى الخيرات، وخذ عليه بالكِبَر. فقال له علقمة هذا القول.
فقال عامر: عتر وتيس، وتيس وعتر، فذهبت مثلاً، نعم على مئة من الإبل، إلى مئة من الإبل يُعطاها الحكم، أ يّنا نُفّر عليه صاحبه أخرجها، ففعلوا ذلك، ووضعوا بها رهنا من أبنائهم، على يدي رجل من بني الوحيد، فسمى الضّمين إلى الساعة، وهو الكفيل.

قال: وخرج علقمة ومن معه من بني خالد، وخرج عامر فيمن معه من بني مالك، وقد أتى عامر بن الطفيل عمه عامر بن مالك، وهو أبو برّاء، فقال: يا عماه، أعتّي. فقال: يا بن أخي، سُبّني. فقال: لا أسبك وأنت عمي. قال: فسُبّ الأحوص. فقال عامر: ولا أسب والله الأحوص وهو عمي، فقال: فكيف إذن أعينك، ولكن دونك نعلي، فإني قد ربّعت فيها أربعين مِرْبَاعا، فاستعن بها في نفارك.

وجعلا منافرتهما إلى أبي سفيان بن حرب بن أمية، فلم يقل بينهما شيئا، وكره ذلك لحالهما وحال عشيرتهما، وقال: أنتما كركبتي البعير الأدرم، تقعان بالأرض "قالا: فأينا اليمين؟ فقال: كلاكما اليمين. وأبى أن يقضي بينهما. فانطلقا إلى أبي جهل بن هشام، فأبى أن يحكم بينهما، فوثب مروان بن سراقة ابن قتادة بن عمرو بن الأحوص بن جعفر، فقال:

يا آلَ قُرَيْشٍ بَيّنوا الكَلامَا ... إنّا رَضِينا مِنْكُمُ الأَحْكامَا
فَبيّنوا إنْ كُنْتُمُ حُكّاما ... كان أَبُونا لَهُمُ إمَامَا
وَعَبْدُ عَمْرو مَنَعَ الفِئامَا ... في يَوْمِ فَخْرٍ مُعْلَمٍ إعْلامَا
وَدَعْلَجٌ أقْدَمَهُ إقْدَاما ... لَوْلا الذي أَجْشَمَهُمْ إجْشَامَا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لاتَّخَذَتْهُـــمْ مَذْحِـــجٌ نعاما

قال: فأبوا أن يقولوا بينهما شيئا.

وقد كانت العرب تحاكم إلى قريش، فأتيا عُيينة بن حصن بن حذيفة، فأبى أن يقول بينهما شيئا. فأتيا غيلان بن سلمة بن مُعتب الثّقفي، فردهما إلى حرملة ابن الأشعر المُرّى، فردهما إلى هَرِم ابن قُطْبَة بن سنان بن عمرو الفزاريّ، فانطلقا حتى نزلا به.

وقال بشر بن عبد الله بن حبّان بن سلمى: إنهما ساقا الإبل معهما، حتى أشتت وأربعت، لا يأتيان أحدا إلا هاب أن يقضي بينهما؛ فقال هَرِم: لعمري لأحكمن بينكما، ثم لأفصلن، ثم لست أثق بواحد منكما، فأعطياني موثقا أطمئن إليه أن ترضيا بما أقول، وتسلّما لما قضيت بينكما، وأمرهما بالانصراف، ووعدهما ذلك اليوم من قابل. فانصرفا حتى إذا بلغ الأجل من قابل، خرجا إليه، فخرج علقة بن الأحوص، فلم يتخلف منهم أحد، معهم القباب والجُزُر والقدور، ينحرون في كل منزل ويطعمون، وجمع عامر بني مالك، فقال: إنما تخاطرون عن أحسابكم، فأجابوه وساروا معه، ولم ينهض أبو براء معهم، وقال لعامر: والله لا تطلع ثنية إلا وجدت الأحوص منيخا بها، وكره أبو برّاء ما كان من أمرهما، فقال عامر فيما كره من منافرتهما، ودعاه عامر إياه أن يسير معه:

أَأُ ومَـــرُ أَنْ أَسُبَّ أَبَا شُرَيْحٍ وَلا وَاللّـــهِ أَفْعَلُ مَا حَيِيتُ
وَلا أُهْـــدِي إِلى هَرِمٍ لِقاحًا فَيُحْيِي بَعْدَ ذلك أَوْ يُمِيتُ
أُكَلِّفُ سَعْيَ لُقْمَان بن عادٍ فَيَال أبي شُـــرَيْحٍ مَا لَقِيتُ

قال: وأبوشُرَيْح: هو الأَحْوَص، فكره كل واحد من البطنين ما كان بينهما، وقال عبد عمرو بن شُرَيْح بن الأَحْوَص:

لَحَى الله وَفْدَيْنَا وَمَا ارْتَحَلا بِهِ مِنَ السَّوْءةِ الباقِي عَلَيْهِمْ وَبَالُهَا
أَلا إِنَّما بُـــرْدى صِفاقٍ مَتِينَةٌ أَبَى الضَّـــيْمُ أَعْلاهَا وَأُنْبِتَ حَالُهَا

قال: فسار عامر وبنو عامر على الخيل مُجْنِبي الإبل، وعليهم السلاح، فقال رجل من غُنَيّ: يا عامر، ما صنعت؟ أخرجت بني ما لك تنافر بني الأَحْوَص ومعهم القباب والجُزُر، وليس معك شيء

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تطعمه الناس! ما أسوأ ما صنعت! فقال عامر لرجلين من بني عمه: أحصيا كل شيء مع علقمة من قُبّة أو قِدْر أو لَقْحة.

ففعلا. فقال عامر: يا بني مالك، إنها المقارعة عن أحسابكم، فاشخصوا بمثل ما شخصوا به، ففعلوا. وثار مع عامر لبيد بن ربيعة والأعشى، ومع علقمة الحُطيئة وفتيان من بني الأحوص، منهم السّندريّ بن يزيد بن شريح، ومروان بن سُراقة بن قتادة بن عمرو بن الأحوص، وهم يرتجزون، فقال لبيد:

يَا هَرِمًا وَأَنْتَ أَهْلُ عَدْلِ إنْ نُفِّرَ الأَحْوَصُ يَوْمًا قَبْلِي
لِيَذْهَبَـــــنَّ أَهْلُهُ بِأَهْلِي لا تَجْمَعَنَّ شَكْلَهُمْ وَشَكْلِي
وَنَسْلَ آبَائِهُمْ وَنَسْلِي

وقال أيضاً:

إِنِّي امْـــرُؤٌ مِنْ مَالِكِ بن جَعْفَر عَـــلْـــقَـــمَ قَدْ نَافَرْتَ غَيْرَ مُنَفر
نَافَرْتَ سَقْبًا مِنْ سِقَابِ العَرْعَر

فقال فحافةُ بن عوف بن الأحوص:

نَهْنِهْ إِلَـــيْـــكَ الشَّعْـــــرَ يَا لَبِيدُ وَاصْدُدْ فَقَدْ يَنْفَعُكَ الصُّدُودُ
سَادَ أَبُونَا قَبْلَ أَنْ تَسُـــودُوا سُـــــوْدُدُكُمْ مُطَرَّفٌ زَهِيدُ

وقال أيضا:

إِنِّي إِذَا مَا نُسِـــيَ الحَيَاءُ وَضَاعَ يَوْمَ المَشْهَدِ اللِّوَاءُ
أُنْـــمَى وَقَدْ حُقَّ لِيَ النَّمَاءُ إلى ذُكُورٍ ذِكْرُها سَنَاءُ
إِذْ لا تَزَالُ جَلْدَةٌ كَوْمَاءَ مَبْقورةَ لِسَقْبِها دُعَـــاءُ
لَمْ يَنْهَنَا عَنْ نَحْرِهَا الصَّفَاءُ لَنَا عَلَيْكُمْ سُورَةٌ وَلاءُ
المَجْدُ وَالسُّوْدُدُ وَالعَطَاءُ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال أيضاً:

أَنْتُمْ هَزَلْتُمْ عامِرَ بنَ مَالِكِ في شَتَواتِ مُضَرِ الهَوالِكِ
يا شَرَّ أَحْياءٍ وشَرَّ هَالِكِ

قال: وأنشدها السّندريّ يومئذ، ورفع صوته، فقيل: من هذا؟ فقال:

أنا لِمَنْ أَنْكَرَ صَوْتِي السَّنْدَرِيّ أنا الفَتى الجَعْدُ الطَّويلُ الجَعْفَرِيّ
مِنْ وَلَدِ الأَحْوصِ أَخْوالِي غَنِي

فقال عامر: أجب يا لبيد. فرغب لبيد عن إجابته، وذلك لأن السّندريّ كانت جدته أمّة اسمها عيساء، فقال:

وَلَمَّا دَعَـانِي عَامِرٌ لِأَسُبَّهُـمْ أَبيتُ وَإِنْ كَانَ ابْنُ عَيْسَاءَ ظَالِما
لِكَيْمَا يَكُونَ السَّنْدَرِيُّ نَـدِيدَتِي وَأَشْتُـمَ أَعْمَامًا عُمُومًا عَمَاعَمَا
وَأَنْبُشَ مِنْ تَحْتِ القُبُـورِ أُبُوَّةً كِـرَامًا هُمُ شَدُّوا عَلَيَّ التَّمَائِمَا
لَعِبْتُ عَلَى أَكْتَافِهِمْ وَحُجُورِهِمْ وَلِـيدًا وَسَمَّوْنِي مُفِيدًا وَعَاصِمَا
أَلا أَيُّنَا مَا كَانَ شَـرًّا لِمَالِكٍ فَلا زَالَ فِي الـدُّنْيَا مَلُومًا وَلائِمَا

قال: ووثب الحُطيئة، فقال:

فمايَحْبِسُ الحُكَّامُ بِالفَصْلِ بَعْدَمَا بَدَا سَابِقٌ ذُو غُرَّةٍ وحُـجُولِ

وقال أيضاً:

يَا عَامِ قَدْ كُنْتَ ذَا بَاعٍ وَمَكْرُمَةٍ لَوْ أَنْ مَسْعَاةَ مَنْ جَارَيْتَهُ أُمَمُ
جاريتُ قرما أجاد الأحوصان به سمح اليدين وفي عرنينه شمـمُ
لا يصعُبُ الأمرُ إلاّ ريث يركبه ولا يبيت على مالٍ له قسـمُ
هابت بنو مالك مجدا ومكرمـة وغايةً كان فيها الموتُ لو قدموا
وما أساءوا فراراً عن مجلّحـةٍ لا كاهنٌ يمترى فيها ولاحكم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال: وأقام القوم عنده أياما، وأرسل إلى عامر، فأتاه سرا، لا يعلم به علقمة فقال: يا عامر، قد كنتُ أرى لك رأيا، وأن فيك خيرا، وما حبستك هذه الأيام إلا لتنصرف عن صاحبك. أتنافر رجلا لا تفخّر أنت وقومك إلا بآبائه؟ فما الذي أنت به خير منه؟

قال عامر: أنشُدُك الله والرّحم أن لا تُفضّل عليّ علقمة، فوالله فعلت لا أفلح بعدها أبدا. هذه ناصيتي فاجزُزها. واحتكم في مالي، فإن كنت لا بدّ فاعلاً فسوّ بيني وبينه. قال: انصرف، فسوف أرى رأيي. فخرج عامر وهو لا يشك أنه ينفّره عليه.

ثم أرسل إلى علقمة سرّاً، لا يعلم به عامر، فأتاه فقال: يا علقمة، والله إن كنت لأحسب فيك خيراً، وأن لك رأياً، وما حبستك هذه الأيام لتنصرف عن صاحبك. أتفاخر رجلاً هو ابن عمك في النسب؟ وأبوه أبوك، وهو مع هذا أعظم قومك غنّاء، وأحمدهم لقاء؟ فما الذي أنت به خير منه؟ فقال له علقمة: أنشدك الله والرّحم تنفّر عليّ عامراً. أجزُز ناصيتي، واحتكم في مالي، وإن كنت لا بد أن تفعل فسوّ بيني وبينه. فقال: انصرف فسوف أرى رأيي. فخرج وهو لا يشك أنه سيفضّل عليه عامراً.

قال أبي: وسمعت أن هَرِماً قال لعامر حين دعاه: يا عامر، كيف تفاضل علقمة؟ فقال عامر: و لم يا هَرِم؟ قال: لأنه أنجل منك عينا في النساء، وأكثر منك نفيراً عند ثورة الدعاء، قال عامر: هل غير هذا؟ قال: نعم. هو أكثر منك نائلاً في الثّراء، وأعظم منك حقيقة عند الدعاء. ثم قال لعلقمة: كيف تفاضل عامراً؟ قال: و لم يا هَرِم؟ قال: هو أنفذ منك لسانا، وأمضى منك سناناً. قال علقمة: فهل غير هذا؟ قال: نعم. هو أقتل منك للكُماة، وأفك منك للعناة.

قال: ثم إن هَرِما ما أرسل إلى بنيه وبني أبيه: إني قائل غدا بين هذين الرجلين مقالة، فإذا فعلت فليطرد بعضكم عشر جزائر فلينحرها عن علقمة، ويطرد بعضكم عشر جزائر، فلينحرها عن عامر، وفرّقوا بين الناس، لا تكون لهم جماعة.

وأصبح هَرِم، فجلس بمجلسه، وأقبل الناس، وأقبل علقمة وعامر حتى جلسا، فقام لبيد فقال:

يَا هَرِمَ ابْنَ الأَكْـــرَمِينَ مَنْصِبَا ... إِنَّكَ قَدْ وُلِّيتَ حُكْمًا مُعْجِبَا
فَاحْكُمْ وَصَوِّبْ رَأْسَ مَنْ تُصَوِّبَا ... إِنَّ الذِّي يَعْلُـــو عَلَيْنَا تُرْتُبَا
لَخَيْـــــــرُنَا عَمًّا وَأُمًّا وَأَبَا ... وَ عَامِرٌ خَيْرُهُـــــمَا مَرْكَبًا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَعَامِـــــــــرٌ أَدْنَى لِقَيْسٍ نَسَبَا

فقام هَرِم فقال: يا بني جعفر، قد تحاكمتما عندي، وأنتما كركبتي البعير الأدرم: تقعان إلى الأرض معا، وليس فيكما أحد إلا وفيه ما ليس في صاحبه، وكلاكما سيد كريم وعمد بنو هَرِم وبنو أخيه إلى تلك الجُزُر، فنحروها حيث أمرهم هَرِم عن علقمة عشرا، وعن عامر عشراً، وفرقوا الناس، فلم يفضّل هرم واحدا منهما على صاحبه، وكره أن يفعل وهما ابنا عم، فيجلب بذلك عداوة، ويوقع بين الحيين شراً.

قال: وكان الأعشى حين رجع من عند قيس بن معد يكرب بما أعطاه طلب الحوار والخُفرة من علقمة، فلم يكن عنده ما طلب، وأجاره وخفَره عامر، حتى إذا أداه وماله إلى أهله قال:

عَلْقَمَ مَا أَنْتَ إِلى عَامِرِ النَّاقِـــضِ الأَوْتَار وَالْوَاتِرِ

ثم اتمها بعد النّفار. فلما بلغ علقمة ما قال الأعشى، وأشاع في العرب أن هَرِماً قد فضّل عامرا، توعّد الأعشى، فقال الأعشى:

لَعَمْرِي لَئِنْ أَمْسَى مِنَ الحَيِّ شَاخِصًا

قال ابن الكلبي: حدّثني أبي قال: فعاش هَرِم حتى أدرك سلطان بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فسأله عمر فقال: يا هَرِم، أيّ الرجلين كنت مفضلاً لو فضلت؟ فقال: لو قلت ذاك يا أمير المومنين لعادت جَذَعَة، ولبلغت شِغَاف هَجَر. فقال عمر: نعم مستودعُ السّرّ ومسندُ الأمر إليه أنت يا هَرِم، مثلُ هذا فليسُد العشيرة. وقال: إلى مثلك فليستبضِع القومُ أحكامهم.

ج – خبر ابن نباتة[1]:

[منافرة عَـــلْـــقَمَة بن عُلاثَة وعامر بن الطُّفَيْل]

هو هَرِم بن قُطْبَة بن سيّار والفزاري، حكم من حكام العرب، يقضي بين السّادات فيرضون بقضائه، ولا يُردّ قولُه إذا فضّل أحد المتنافرين على الآخر. ومعنى المنافرة المحاكمة في الحسب والفضل بين الرّجلين، يقال: نافره إذا حاكمه، ونفره إذا غلبه.

(١) ابن نباتة – سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون: ١٦٢- ١٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعَلْقَمَة هذا، هو عَلْقَمَة بن عُلاثَة بن جعفر؛ من بني عامر بن صعصعة. وعامر هو ابن الطّفيل بن مالك الأحوص، وكلّ منهما سيّدٌ من سادات قومه، فارس شاعر، وسأورد من أخبارهما شيئاً.

فأمّا سبب منافرتهما كما حكى أبو عبيدة وغيره، قال: أوّل ما هاج النّفار بين عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعامر بن الطّفيل، أنّ عَلْقَمَة كان قاعداً ذات يومٍ يبول، فبصر به عامر وقال: لم أر كاليوم عورة رجل أقبح من عورتك! فقال عَلْقَمَة: لأنّها لا تثبت على جارتها، ولا تنال كنّاتها — يعرّض بعامر — فقال عامر: وما أنت والقُروم! والله لفرسُ أبي المسمّى "حَنْوَة" أذكر من أبيك، ولفحلُ أبي المسمّى "الغيهب" أعظم ذكراً منك.

فقال عَلْقَمَة: أما فرسكم فعارة، وأما فحلكم فغدرة — وكانوا قد استعاروا هذا الفحل من رجل من كلب يستطرقونه فغلبوه عليه — ولكن إن شئت نافرتك؛ قال: قد شئتُ.

فقال عَلْقَمَة: والله أني لبَرٌّ وإنّك لفاجرٌ، وإنّي وفيّ وإنّك لغادر، فبم تفاخرني يا عامر!

فقال عامر: والله إني لأنزل منك في القَفْرة، وأنحر للبَكْرة، وأطعن للثّغرة؛ ثم تنافروا على مائة من الإبل إلى مائة، يعطيها الحكم أيّهما نفّر عليه صاحبه. ثم خرج عَلْقَمَة بمن معه من بني خالد، وخرج عامر بمن معه من بني مالك، وقد أتى عامر بن الطفيل عمّه ملاعب الأسنّة، فقال: يا عمّاه أعنّي؛ قال: يا بن أخي؛ سُبّني، قال: لا أسبّك وأنت عمي، قال: دونك نعلي، فإنّي ربعتُ فيهما أربعين مِرْبَاعاً، فاستعن بهما في نفارك.

وجعلا منافرتهما إلى أبي سفيان بن حرب، فلم يقل فيهما شيئاً، وكره ذلك الأمر لحالهما وحال عشيرتهما، فانطلقا إلى هَرِم بن قُطْبَة حتى نزلا به، فقال هرم: لأحكمنّ بينكما ثم لأفصلن، ثم لست أثق بواحدٍ منكما، فأعطياني موثقاً أطمئن إليه؛ أن ترضيا بما أقول. وأمرهما بالانصراف ووعدهما ذلك اليوم من قابل، فانصرفا حتى إذا بلغ الأجل خرجا إليه: فخرج عَلْقَمَة ببني الأحوص معهم القباب والجُزر والقدور، ينحرون في كلّ منزلٍ ويطعمون. وجمع عامر بني مالك، وخرجوا على الخيل عليهم السلاح، فقال رجل من غنيّ: يا عامر، ما صنعت! أخجت بني مالك تفاخر بني الأَحْوص، معهم القباب والجُزر، وليس معك شيء تطعم الناس، ما أسوأ ما صنعت. فقال عامر لرجلين من بني عمّه: أحصيا كلّ شيء مع عَلْقَمَة من قبّة أو قد أو لقحة. ففعلا، فقال عام: يا بني مالك، إنّها المقارعة عن أحسابكم، فاشخصوا بمثل ما شخصوا. ففعلوا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأتوا هرماً فأقاموا عنه أياماً، وأرسل إلى عامر فأتاه سرّاً لايعلم به عَلْقَمَة، فقال: يا عامر، قد كنت أرى لك رأياً وفيك خيراً، وما حبستكَ هذه الأيام إلا لتنصرف عن صاحبك، أتفاخر رجلاً لا تفخر أنت وقومك إلا بآبائه! فما الذي أنت به خير منه! فقال عامر: ناشدتُك الله والرّحم ألاّ تفضّل عليّ عَلْقَمَة؛ فوالله إن فعلت لا أفلح بعدها! هذه ناصيتي جُزّها، واحتكم في مالي. فإن كنت ولا بدّ فاعلاً فسوّ بيني وبينه. فقال: انصرف فسوف أرى رأيي.

فخرج عامر وهو لا يشكّ أنه ينفّره عليه، ثم أرسل هرم إلى عَلْقَمَة سرّاً لا يعلم به عامر، فأتاه، فقال: يا عَلْقَمَة، والله إني كنت لأحسب فيك خيراً أتفاخر رجلاً هو ابنُ عمّك في النّسب، وأبوه أبوك، وهو أعظم منك غناء، وأجمل لقاء! فما الذي أنت به خير منه؟ فقال له عَلْقَمَة: نشدتُك الله ألا تنفر على عامرا! فأجابه بما أجاب به الآخر، وانصرف.

ثم إن هرماً أحضر بنيه وبني أبيه، فقال: إنّي قائل غداً بين هذين الرجلين مقالة، فإذا فعلت فليطرد أحدكم عشر جزائر فينحرها عن عامر، ويطرد بعضكم عشر جزائر فينحرها عن عَلْقَمَة، وفرّقوا بين الناس لئلا يكون لهم جماعة. وأصبح هرم فجلس في مجلسه، وقبل الناس، وأقبل عَلْقَمَة وعامر حتى جلسا، فقام لبيد، فقال:

يَا هَرِمَ ابْنَ الأَكْرَمِينَ مَنْصِبَا إِنَّكَ قَدْ وَلِّيتَ حُكْمًا مُعْجِبَا
فَاحْكُمْ وَصَوِّبْ رَأْيَ مَنْ تُصَوِّبَا

فقال هرم وقال: يا بني جعفر، قد تحاكمتما عندى، والله إنّكما كركبتي البعير الأدرم؛ يقعان معاً على الأرض، وليس أحدٌ [منكما] إلا وفيه ما ليس في صاحبه، وكلا كما سيّد كريم. وعمد بنو هرم إلى الجزر، فنحروها وفرقوا بين الناس، وكره أن يفضّل بينهما وهما ابنا عمّ، فيوقع بذلك عداوة بين الحيّين، وخرجا من عنده راضيين.

وقد قيل إنه قال لهما: أنتما كغربي السيف، فإنه لو قال: "كركبتي البعير" لقالا: أيّهما اليمين؟ وقيل: إنه لم يقل شيئاً من ذلك، وإنما اكتفيا بما قال سرّاً، وذهبا عنه.

وادّعى الاعشى أنّهما حكماه، فحكم لعامر على عَلْقَمَة، وقال في ذلك قصائد، منها الّتي أولها:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أَعَـلْـقَـمُ لَسْتَ إِلى عَامِرِ

د – هُـــــــمَا كَرُكْبَتَيّ البَعِير[1]:

قال ابن الكلبي : إن المثل لهَرِم بن قُطْبَة الفزاري، تمثّل به لعَلْقَمَة بن عُلاثَة وعامر بن الطّفيل الجعفر بين حين تنافرا إليه، فقال: أنتما كركبتي البعير فأمر لكل واحدٍ منها بقُبّة، وأمر لهما بالأنزال، وما يحتاجون إليه، فلما هدّأت الرّجلُ أني عامرا فقال له: لماذا جئتني؟ قال: جئتُك لتنفّرني على عَلْقَمَة، فقال: بئس الرأي رأيتُ، وساء ما سوّلتَ لك نفسُك، أفضّلك على عَلْقَمَة ومن أمره كذا وكذا؟ يعدّد مفاخرة ومآثره وقديمه و حديثه، والله لئن رأيتك غداً معه متحاكمين إليّ لأنفرنّه عليك، ولا يطلق القلم مني به وبك غيره، ثم تركه ومضى إلى عَلْقَمَة فقال: ما جاء بك؟ قال: جئتك لتنفّرني على عامر، فقال: أين غاب عنك حلمُك؟ أعلى عامر أفضّلك؟ وقدم عامر كذا وكذا، وحسبه كذا، والله لئن نافرته إليّ لأحكمن له، فأقدم على ما تريد أو أحجم عنه، ثم فارقه ورجع إلى بيته، فلما أصبحا قالا: نرجع ولا حاجة بنا إلى التنافر، ولا يدري كلّ واحدٍ منهما ما عند صاحبه، فلما كانا في بعض الطريق تلقّاهما الأعشى، فسألهما عما خرجا له، فأخبراه بقصتهما، فقال الأعشى لعَلْقَمَة: مالي عندك إن نفّرتُك على عامر؟ قال: مائة من الإبل، قال: وتجيرني من العرب؟ قال: أجيرك من قومي، فقال لعامر: فإن أنا نفّرتك على عَلْقَمَة فمالي عندك؟ قال: مائة من الإبل، قال: وتجيرني من أهل الأرض؟ قال: أجيرك من أهل السماء والأرض، قال الأعشى: تجيرني من أهل الأرض فكيف تجيرني من أهل السماء؟ قال: إن مات أحد من ولدك أو أهلك وديتُهُ، وإن ماتت لك ماشية فعليّ عوضهُا، قال: نعم، فمدح عامراً، وهجا عَلْقَمَة، فقال من قصيدته في هجائه:

أَعَلْقَمُ قَـــــــدْ حَكَّمْتَنِي فَوَجَدْتَنِي ... بِكُمْ عَالِمًا عِنْدَ الحُكُومَةِ غَائِصا

كِـــــلا أَبَوَيْكُمْ كَانَ فَرْعَيْ دَعَـــامَةٍ ... وَلَكِنَّهُمْ زَادُوا وَأَصْبَحْتَ نَاقِصَا

تَبِيتـــــــــُونَ فِي المَشْتَى مِلاءً بُطُونُكُمْ ... وَجَارَاتُكُمْ غَرْثَى يَبِتْنَ خَمَائِصَا

فَمَا ذَنْبُنَا إِنْ جَاشَ بَحْرُ ابْنِ عَمِّكُمْ ... وَبَحْرُكَ سَاجٍ مَا يُوارِي الدَّعَامِصَا

وكان يقال: من مدحه الأعشى رفعه ومن هجاه وضعه، وكان يتّقي لسانه، وكان عَلْقَمَة ممن آمن وصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما عامر فلا.

---

(١) الميداني – مجمع الأمثال، ٣: ٤٧٧ – ٤٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١- منافرة القَعْقَاع بن مَعْبَد وخالد بن مالك النَّهْشَلِيّ:

المثل: ما جُعِل العبد كربّه

" قالوا: إن أول من قال ذلك ربيعة بن جرادٍ الأسلميّ، وذلك أن القعقاع بن معبد بن زُرارة بن عُدُس بن زيد بن عبد الله بن جَنْدل بن نهشل تنافرا إلى أكثم بن صيفي، أيهما أكرم، وجعلا بينهما مائة من الإبل لمن كان أكرمهما، فقال أكثم بن صيفي: سفيهان يُريدان الشّر، وطلب إليهما أن يرجعا عما جاءا له، فأبيا، فبعث معهما رجلاً إلى ربيعة بن جراد وحبس إبلهما التي تنافرا عليها مائة ومائة، وقال: انطلقا مع رسولي هذا فإنه قتل أرضاً عالمها وقتلت أرضٌ جاهلها، فأرسلها مثلا. فلما قدما على ربيعة وأخبراه بما جاءا له قال ربيعة للقعقاع: ما عندك يا قعقاع؟ قال: أنا ابن مَعْبد زُرارة، وأمي معاذة بنت ضِرار، رَأس من أعمامي عشرة، ومن أخوالي عشرة، وهذه قوسُ عمّي رَهَنها عن العرب، وجدّي زُرارة أجار ثلاثة أمْلاك بعضهم من بعضٍ، قالوا: وفي ذلك يقول الفرزدق.

مِنّا الّذي جَمَعَ المُلُوك وبينهم ... حَرْبٌ يُشَبُّ سَعِيُرها بِضِرَامِ

ثم قال ربيعة لخالد بن مالك: ما عندك يا خالد؟ قال: أنا ابن مالك، قال: لم تصنع شيئاً، ثم ابن من؟ قال: ابن رِبْعي، قال: لم تصنع شيئاً، ثم ابن من؟ قال: ابن سَلْم؟ قال: الآن، فمن أمّك؟ قال: فَرْعة، قال: ابنة من ؟ قال: ابنة مندوس، قال ربيعة للقعقاع؟ قد نفّرتك يا ابن الضَّبِنة، فقال خالد: أتجعل معبد بن زُرارة كمثل سَلْم بن جندل؟ فقال ربيعة: ما جُعل العبدُ كربّه! فأرسلها مثلاً"[1].

"أخبرنا أبو سعيد السيرافي رحمه الله قال: أخبرنا ابن مِقْسم، عن ثعلب، عن الأثرم، عن أبي عبيدة قال: كان القَعْقاع بن مَعْبد بن زُرارة حليماً يُشبّه بعمّه حاجب. فبينا حاجبٌ ذات يوم على جَابِية له وإبلُه تُورَدُ عليه، إذ أقبل خالدُ بن مويلك النهشلي على فرسه. وفي يده الرمحُ فقال: والله يا حاجبُ لترقُصَنَّ أو لأختِلن حضنيك بالرُّمح، فقال: تَنحَّ عني أيها السفيه. فقال: والله لتَفْعلنّ. فقام الشيخُ فأقبل وأدبر. وبلغ ذلك شيبان بن علقمة بن زُرارة، فقال: أبعمّي يتهكّمُ خالدٌ؟ والله لأنافرنّه. فكلّمت بنو تميم حاجباً فنهاهُ. ثم أنبئ بذلك القعقاع بن معبد فقال: لناقتُهُ هي سائبةٌ إن أدركتُ القوم على الماء قبل أن يتفرقوا فأدركهم وسيّب ناقته. فثارت بنو تميم إلى

(١) الميداني - مجمع الأمثال، ٣: ٢٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حاجبٍ فقالوا له: الله الله في قومك، أُرْدُدِ القعقاع كما رددت شيبان. فقال: إنّ القعقاع ليس كشيبان، إن القعقاع ليس برطبٍ فَيُعصر، ولا ببابسٍ فيُكسر. فقال القعقاع لخالد: أبعمّي تتهكمُ يا خالدُ، تعال حتى أُنافرك الكرم. قال: نعم، أيّنا أوهبُ للغالية، وأنحرُ للثّاوية، وأصدّ للعادية، وأقتلُ للطاغية؟ قال: بل أيّنا أنزلُ بالبراح، وأطعم للسُّحاح، وأطعن بالرّماح. قال: بل أيّنا أولى بالخير، وأحرى بالمآثر الكُبْر. قالا: بل أيّنا خيرٌ أباً وأُمّاً. قال: فغضب خالدٌ وقال: نعم، إلى آدم وحوّاء فتنافرا على مائتي بعير، للقامرِ مائةٌ وللمنفّر مائةٌ، وجعلا نُفورتهما إلى ربيعة بن حُدار [حُذار] الأسديّ. وتواعدا إلى سبعة أرجاب يخرُجان في كل عام خصيبٍ. فلما صادفا ذلك العام، خرجا يَرِدَان الماء ويسقيان اللبن وينحران الإبل، حتّى أتيا ربيعة وهو في قُبّة من أدَمٍ. فاحتجب عنهما، حتى اشتدّت عليهما النفقةُ وعظمت عليهما المؤنة. فمرّ راعي غنمٍ على بابه، فنادي: يا ربيعةُ، قد أكلتِ الإبلُ أوبارها، وتساوكتْ غنمي منتظر [...] ون، من نقورتك، فوالله لئن حكمت بعدلٍ لا تزال حكم مُضرٍ ما بقيت، ولئن حكمت بجورٍ ليُحطّنّ أمرك، وليُتَجَهَمنّ عدلُك. قال: فخرج إليهم، فقال: قد أردت أن تراجعوا ألآفاً كراماً فأبيتم، يا بني أسدٍ، اركبوا الخيل، فإذا نفّرتُ فاعزلوا نصيبي. فقال بنو تميم: يا ربيعةُ: الله الله في قومك، تُفشينَ أسرارهم، ولا تَهْتكنّ أستارهم. فقال سفهاء قومه: نفّرْ نفّرْ. وقال حلماؤهم: لا تفعل. فإن كنت ولا بدّ مُنفّراً، فقُل هما كذراعي البَكْر الآدم. فقال خالدٌ: أعطيتُ يوماً من سأل، وأطعمتُ من أكل، ونصبتُ قُدُوري فأطعمت حتى وضعت الشّمال ذُيولها. وطعنت يوم شُواحط فارساً فخللتُ فخذيه بفرسه. فقال ربيعة: هات يا قعقاع ما عندك. فأخرج قوس حاجبٍ فقال: هذه قوسُ عمّي رهنها عند العرب، فاستدفأوا من القُرِّ، وشبعوا من التّمر، وانقضت عنهم الشّتوةُ، وهاتان نعلا جدّي، قسم فيهما [أربعين] مرْباعاً : ثمانيةٌ وثلاثون على مُضرٍ واثنان على تميم. وهذه ذرّيةُ زُرارة نُصالحُ عليها سبعة أملاك كُلّهم حربٌ لصاحبه.وعمّي سُوَيْد بن زُرارة لم ير ناره خائفٌ قطّ إلاّ أمن، ولم يُمسك بطنُبِ فُسْطَاطه أسيرٌ إلاّ فكّ. فنادى ربيعةُ: إنّ السَّماح واللُّهى والباع، والشرف الأسْنَع للقعقاع، إلاّ أنّي قد نفّرتُ من كان أبوه معبداً، وعمّه حاجباً، وجده زُرارة. ثم أدركا الإسلام، فوفدا على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال أبو بكر: يا رسول الله، لو بعثت هذا وولّيته. فقال صلى الله عليه وسلم: لو أنكما اختلفتما لأخذتُ برأيكما. فرجعا ولم يُوَلّهما"[1].

(١) أبو العلاء صاعد البغدادي – كتاب الفصوص، د: ٢٩٨ – ٣٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤. منافرة جَرِير بن عبد الله البَجَلِيّ وخالد بن أَرْطَاة الكَلْبِي:

" يقـــال: إن الأقرع بن حابسٍ أول من حابى في الحكومة في منافرة جرير بن عبدالله البَجَليّ وخالد بن أرطاة الكلبي،وكان الذي جرّ المنافرة بين جرير بن عبدالله بن جابر، وهو الشّليل بن مالك بن سعد بن نَضْر بن ثعلبة بن جُشَم بن عُوَيْف بن خَزِيْمة بن حَرب بن مالك بن سعد بن نذير بن قســـر بن عبقر بن أنمار، وبين خالد بن أرطأة بن خُشين بن شبث بن إساف بن هذيم بن عُدي بن حناب، أن كلباً أصابت في الجاهلية رجلاً من بَجِيلة من بني عَادِية بن عامر بن قُداد يقال له مالك بـــن عتبة - أو عنبة، شكّ في اسمه الكلبيّ - فوافوا به عُكاظ. ومرّ العاديّ بابن عمٍّ له يقال له القسم بـــن عقيـــل يأكلُ تمراً، فتناول من ذلك التّمر شيئاً ليتحرّم به، ومعه رجلٌ من كلب يمسكه، فجذبه الكلبيّ بقدّه فقال: إنّه رجلٌ من عشيرتي فقال: لو كانت لك عشيرة مَنَعتك. فانطلق القِسم بن عُقيل إلى بني زيد بن الغَوث بن أنمار، فاستتبعهم- أي يتبعوه - فقالوا: كلما طارت وبرةٌ من بني زيد أردنا أن نتبعها في أيدي العرب.

فانطـــلق إلى جرير بن عبد الله فكلّمه فكان القسم يقول بعدُ: إنّ أوّل ما رأيت فيه الثّياب المُصـــبّغة، والقباب الحمر، ليوم جئتُ جريراً في قَسْر. قال: فاتّبعني ثم فتشني عن الرجل، فقال: اطو الخـــبر، وخـــلا بأشـــراف بني مالك بن سعد بن نذير بن قسر فدعاهم إلى انتزاع العاديّ من كلب فتـــبعوه، فخرج يمشي بهم حتى هجم على منازل كلب بعكاظ، فانتزع منهم الأسير مالكاً فقامت كلبٌ دونه فقال جرير: زعمتم أن قومه لا يمنعونه، فقالت كلبٌ جماعتنا خُلوفٌ عنا فقام جرير فقال: لو كانوا حضوراً لم يدفعوا عنه شيئاً فقالوا: كأنك تستطيل على قُضاعة فقال: إن شاؤوا قايسناهم المجـــد. وزعيم كلبٍ يومئذ خالدُ بن أرطأة، فقال: ميعادُك من قابل سوق عكاظ. فجُمعت كلبٌ، وجُمعـــت قَسْـــر ، ووافـــوا عكاظ. وصاحب كلبٍ الذي أقبل بهم في العام المقبل خالدُ بن أرطأة، فحكّمـــوا الأقرع بن حابس التّميميّ، حكّمه جميع الحيّين، ووضعوا الرُّهنَ على يدي عُقبة بن ربيعة بـــن عـــبد شمس القرشيّ، في أشراف من قريش، وكان في الرّهنُ من قَسْر الأضرم بن أبي عويف بن عُويف بن مالك ابن ذبيان بن ثعلبة بن عمرو بن يَشْكر. ومن أَحْمَس حازم بن أبي حازم بن صخر بن العيَّلة ومن بني زيدُ بن الغوث رجلٌ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم قـــام خالدُ بن أرطأة، فقال لجرير: ما تجعلُ؟ فقال: الَخطرُ في يدك قال: ألفُ ناقة حمراء لألف ناقة حمراء. فقال له جرير: ألفُ قَيْنة عذراء لألف قينة عذراء، وإن شئت فألف أوقيّة صفراء لألف أوقيّة صفراء.

قال خالد: من لي بالوفاء؟ قال: كفيلي اللاّت، والعُزّى، وإسافٌ، ونائلة، وشمسُ، ويَعُوقُ، والخَلَصةُ، ونَسْرٌ فمن عليك بالوفاء؟ قال: ودٌّ ومَناةُ، وفَلْسٌ، ورُضىً. قال: جريرٌ: لك الوفاءُ سبعون غلاماً مُعمّماً مُخْوّلاً، يوضعون على أيدي الأكفّاء من أهل الله. فوضعوا الرّهنُ من بَجيلة ومن كلبٍ، على أيدي من سمّينا من قريش. وحكموا الأقرع بن حابسٍ وكان عالم العرب في زمانه. فقال الأقرع: ما عندك يـــا خالد؟ قال نزل البَراح، ونطعنُ بالرّماح. ونحن فتيان الصّباح. قال: الأقرع وما عندك يا جرير؟ قـــال: نحـــن أهـــل الذّهب الأصفر، والأحمر الُمعْتصر - يعني الخمر - نخيفُ ولانخافُ. ونُطْعِم ولا نستطعم. ونحن حيٌّ لَقَاحٌ ونطعم ما هبّت الرّياح، نطعم الشّهر، ونضمن الدّهر، ونحن الملوك قَسْر، قـــال الأقرع: واللاّت والعُزّى لو فاخرت قيصر ملك الرّوم، وكسرى عظيم فارس، والنعمان ملك العـــرب، لنفرتُك عليهم. وأقبل نُعَيْمُ بن حُجيّة النّمري - وقد كانت قَسْر ولدته - بفرس إلى جريرٍ فركبهُ من قبل وحشيّة، فقالوا: لم تُحسن تركبُ الفرس فقال جريرٌ: إنّ الخيل ميامينٌ، وإنا نركبها من وجوهها، ونادى بن عمرو بن الخُثارم، وهو أحدُ بني جُشم بن عمرو بن قُدادٍ فقال:

يا ابَنـــــي نزارٍ انُصرا أخاكما إنّ أبي وَجـــــــدتُهُ أباكما
لا يُغْلبُ اليـــــــــومَ أخٌ والاكُما

وقال أيضاً:

يا أقْرعَ بن حابسٍ يا أقرَعُ إنّك إن تَصْرع أخاك تُصـــــــرَعُ

وقال أيضاً:

يـــالَ نِزارٍ دعـــوةَ المُثـــوّبِ أحسابُكُم أخطرتُها وحَسبي

فزعمت مضر أنّ الأقرع بن حابسٍ، إنّما نفّر جريراً وبجيلة على خالد بن أرطأة وكلب لأنه زعم أن أغماراً ابن نزارٍ، وأنه لقرابتـــــه بمُضر وربيعة، أفضلُ وأكثرُ عدداً بإخوته من قُضاعة، لأنّ قضاعة بن مَعَدّ وهو عمّ هؤلاء"[1].

(١) أبوعبيدة – شرح نقائض جرير والفرزدق، ١: ٣٠٩ – ٣١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" قـــال ابـــن السيرافي، قال أبو الخُثارم البَجَليّ – في منافرة بَجِيلة وكلب. فتحاكموا إلى الأقرع بن حابس، فقالت بَجِيلة: نحن إخوة ولهم أحاديث – فقال في ذلك أبو الخثارم:

يا أقرعَ بن حابسٍ يا أقـــــــرعُ
إنّي أخوك فانظرنْ ما تصنـــعُ
إنك إن تَصْرَعْ أخاك تُصْرعوا
إني أنا الداعي نِزاراً فاسمعـــوا

قال: جعل (تُصرعوا) للجماعة، يريد الأقرع وقومه، ولاشاهد فيه على هذا الوجه. ويروي هذا الرجز مجروراً [و] أنشد:

يا أقرعَ بن حابسٍ يا أقـــــرعِ
إني أنا الداعي نزاراً فاسمـــــعِ
في باذخٍ من عزّةٍ ومَفْـــــزَعِ
وقائماً تُمّت قُلْ في المجـــــمعِ
للمرء أرطأةٍ أنا ابن الأقـــــرعِ
ها إنّ ذا يومٌ عُـــــلاً ومجـــــمعِ
ومنظرٍ لمن رأى ومســـــــــــمعِ

قال س: هذا موضع المثل:

... ثم إنّه أخطأ في القدر الذي ذكره من جهات شتى:

مـــنها أنـــه نسب هذا الرجز إلى أبي تمام الخُثارم البجلي، وإنما هو ابن الخُثارم وهو عمرو بن الخُثارم البجلي.

ومنها أنه ذكر أن المنافرة كانت بين بَجِيلة وكلب، وإنما كانت بين رجلين لا قبيلتين، هما: جرير بن عبد الله البجلي، وخالد بن أرطأة بن خُشين بن شَبَث الكلبي.

ومنها قوله: قالت بجيلة نحن إخوة نزار، و لم يبيّن الأخوّة من أي جهة هي.

ومـــنها أنـــه قال: يُروى هذا الرجز مجروراً، وإنما هما أرجوزتان، ... وإحدى الأرجوزتين مرفوعة، والأخرى مجرورة. وسيأتيك بيان ذلك إن شاء الله.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمـــلى علينا أبو الندى قال: كان سب المنافرة بين جرير بن عبد الله البجلي وبين خالد بن أرطأة بن خُشين بن شبث الكلبي – أن كلباً أصابت في الجاهلية رجلاً من بجيلة، يقال له: مالك بن عتبة من بني عادية بن عامر بن قُداد، فوافوا به عكاظ، فمر العاديّ بابن عم له يقال القاسم بن عُقيل بـــن أبي عمرو بن كعب بن عُريج بن الحويرث بن عبدالله بن مالك بن هِلال بن عادية بن عامر بن قداد يأكل تمراً، فتناول من ذلك التمر شيئاً ليتحرم به، فجذبه الكلبي، فقال له القاسم: إنه رجل من عشيرتي، فقال له: لو كانت له عشيرة منعته....

فانطـــلق القاســـم إلى بني عمه بني زيد بن الغـــــوث فاستتبعهم، فقالوا: نحن منقطعون في العرب، وليست لنا جماعة نقوى بها. فانطلق إلى أحمس فاستتبعهم فقالوا: كلما طارت وبرة من بني زيـــد في أيدي العرب أردنا أن نتبعها. فانطلق عند ذلك إلى جرير بن عبد الله فكلّمه، فكان القاسم يقـــول: إن أول يوم أريت فيه الثياب المصبّغة والقباب الحُمر. اليومُ الذي جئت فيه جريراً في قَسْر. وكان سيد بني مالك بن ذبيان بن ثعلبة بن عمرو بن قسر وهم بنو أبيه.

فدعـــاهم في انتزاع العاديّ من كَلْب فتبعوه فخرج يمشي بهم حتى هجم على منازل كلب بعكـــاظ، فانتزع منهم مالك بن عتبة العاديّ، وقامت كلب دونه، فقال جرير: زعمتم أن قومه لا يمنعونه! فقالت كلب: إن جماعتنا خُلُوف. فقال جرير: لو كانوا لم يدفعوا عنكم شيئاً. فقالوا: كأنك تستطيل على قُضاعة .. إن شئت قايسناكم المجد – وزعيم قضاعة يومئذ: خالد بن أرطأة بن خُشين بن شبث – قال: ميعادنا من قابل سوق عكاظ.
فجمعت كلبٌ وجمعت قَسْر ، ووافوا عكاظ من قابل. وصاحب أمر كلب الذي أقبل بهم في المقبل خالد بن أرطأة. فحكموا الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع، حكّمه الحيّين، ووضـــعوا الرّهن على يدي عُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس في أشرافٍ من قريش، وكان في الرُّهن من قَسْر: الأصرم بن عوف بن عويف بن مالك بن ذبيان بن ثعلبة بن عمرو بن يَشْكر بن علي بن مالك بن سعد بن نذير بن قسر. ومن أحمس حازم بن أبي حازم، وصخر بن العلبة. ومن بني زيد بن الغوث بن أنمار رجل.

ثم قـــام خالد بن أرطأة فقال لجرير: ما نجعل؟ قال: الخطر في يدك. قال: ألف ناقة حمراء في ألـــف ناقـــة حمراء. فقال جرير: ألف قينة عذراء في ألف قينة عذراء، وإن شئت فألف صفراء لألف أوقية صفراء.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال: من لي بالوفاء؟ قال: كفيلك اللاّت والعُزّى وإساف ونائلة وشمس ويَعْوقُ وذو الخلصة ونَسْر. فمن عليك بالوفاء؟ قال: ودّ ومَناة وفَلس ورُضا. قال جرير: لك بالوفاء سبعون غلاماً معمّاً مخــولاً يوضعون على أيدي الأكفاء من أهل الله. فوضعوا الرُّهُن من بجيلة ومن كلب على أيدي من سمّينا من قريش، وحكّموا الأقرع بن حابس وكان عالم العرب في زمانه.

فقال الأقرع: ما عندك يا خالد؟ فقال: نحن نزل الرياح، ونطعن بالرّماح، ونحن فتيان الصّباح.

فقال الأقرع: ما عندك يا جرير؟ قال: نحن أهل الذّهب والأصفر، والأحمر المعصفر، نخيف ولا نخاف، ونُطعــم ولا نســتطعم، ونحن حيٌّ لَقَاح، نُطعِم ما هبت الرّياح، نطعم الشّهر ونضمن الدّهر، ونحن الملوك لقَسْر.

فقال الأقرع: واللاّت والعزّى، لو فاخرت قيصر ملك الروم، وكسرى عظيم فارس، والنّعمان ملك العــرب، لنفرّتُك عليهم. وأقبل نُعيم بن حُجبة النّمري — وقد كانت قَسْر وفدته بفرس إلى جرير، فركــبه من قبل وحشيّه، فقيل: لم يُحسن أن يركب الفرس، قال جرير: الخيل ميامن، وإنّا لا نركبها إلا من وجوهها.

وقد كان نادى عمرو بن الحُثارم أحد بني جُشم بن عامر بن قُداد فقال:

لا يُغلب اليــوم فتى والاكُما
يا بني نزارٍ انْصُرا أخاكما
إن أبي وجده أباكمــــا
ولم أجد لي نَسَباً سواكمــــا
غيثٌ ربيعٌ سبط نداكمــــا
حتى يحُلّ الناسُ في مرعاكما
أنتم سرورُ عينِ من رآكمــا
قد مُلئتْ فما ترى سواكما
قد فاز يوم الفخر من دعاكما
ولا يعُدّ أحدٌ حصاكمــــا
وإن بنوْا لم يُدْرِكوا بُناكما
مجداً بناه لكما أباكمــــا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عِزٌّ الدّشامـــــخْ لا يقمعُ
يتبـــــــعُه الناسُ ولا يُستتبعُ
هل هو إلا ذَنَب وأكرُعُ
وَزَمـــــعٌ مؤتَشَب مجمّعُ
وَحَسبٌ وَغْل وأنف أجدعُ

وقال أيضاً:

يا أقرع بن حابسٍ يا أقـــرعِ
إنك أن تصرعْ أخاك تُصرعِ
إني أنا الداعي نزاراً فاسمـــعِ
في باذخٍ من عزّه ومفـــزعِ
قُم قائماً ثمت قل في المجمع
للمرء أرطأة أيا ابن الأفدعِ
ها إن ذا يـــومُ عُلاً وبجمعِ
ومنظرٍ لمـــــن رأى ومسمعِ

فنفّره الأقرع بمضر وربيعة، ولولاهم نفّر الكلبي.

قال س: كانت القرابة بين بَجيلة وولد نزار، أن إراش بن عمرو بن الغوث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان خرج حاجاً، فتزوج سلامة بنت أنمار بن نزار، وأقام معها في الدار بغَورْ تهامة، فأولدها أنمار بن إراش ورجالاً.

فلما توفي إراش وقع بين أنمار بن إراش وإخوته اختلاف في القسمة، فتنحّى عن إخوته، وأقام إخوتُه في الدار مع أخوالهم، وتزوج أنمار بن إراش بهند بنت مالك بن غافق بن الشاهد، فولدت أقيل وهو خَثْعَم، ثم توفيت.

فتزوج بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة، فولدت له عَبْقر، فسمته باسم جدها وهو سعد، ولقب بعبقر لأنه ولد على جبل يقال له عبقر، وولدت أيضاً الغوث ووادعة وصُهيبة وخُزيمة وأشهل وشهلاء وسُنيّة وطريفاً وفَهْماً وجَدْعة والحارث"[1].

(١) الأسود الغندجاني – فرحة الأديب: ١٠٥ – ١١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" ونافر جرير بن عبدالله قُضاعة، فبلغ ذلك أسد بن عبدالله، وكان بينه وبينه- أعني جريراً- تباعدٌ، فأقبل في فوارس من قومه ناصراً لجرير ومعاوناً له ومُنجِداً، فزعموا أن أسداً لما أقبل في أصحابه،فرآه جرير، ورأى أصحابه في السلاح ارتاع وخافه، فقيل له: هذا أسدٌ جاءك ناصراً لك، فقال جرير: ليت لي بكل بلد ابن عمّ عاقّاً مثل أسد "[1] .

٥-منافرة بني فَزَارَة وبني هِلال:

جاء في المثل: "أبْخَل من مَادِر، هو رجل من بني هلال بن عامر بن صعصعة، وبلغ من بُخله أنه سقى إبله فبقى في أسفل الحوض ماء قليل، فسنح فيه ومدر الحوض به، فسُمّي مادراً لذلك، واسمه مُخَارق.

قال أبو النّدى: وذكروا أن بني فزارة وبني هلال بن عامر تنافروا إلى أنس بن مُدْرك الخَثْعَميّ، وتراضوا به، فقالت بنو عامر: يا بني فزارة، أأكلتم أيْر حمار؟ فقالت بنو فزارة: قد أكلناه و لم نعرفه، وحديث ذلك أن ثلاثة نفر اصطحبوا:فَزَاريّ وثَعْلبيّ وكِلابيّ، فصادوا حماراً، ومضى الفَزَاري في بعض حاجته، فطبخا وأكلا، وخبا للفزاريّ جُرْدان الحمار، فلما رجع الفزاريّ قالا: قد خبأنا لك، فكل، فأقبل يأكله ولا يكاد يسيغه، فقال: أكلُ شواء العير جُوفان؟ يعني به الذّكر، وجعلا يضحكان، ففطن وأخذ السيف وقال: لتا كلانّه أو لأقتلكما، ثم قال لأحدهما – وكان اسمه مَرْقمة: كلْ منه، فأبى فضربه فأبان رأسه، فقال الآخر: طاح مَرْقمة، فقال الفزاري: وأنت إن لم تَلْقَمه، قال محمد بن حبيب: أراد إن لم تَلْقَمها، فلما ترك الألف ألقى الفتحة على الميم قبل الهاء، كما قالوا وَيْلُمّ الحيرة وأيّ رجال به: أي بها. قلت: إنما قدّر الهاء في تلقّمها إرادة المُضغة أو البضعة، وإلا فليس في الكلام الذي مضى تأنيث ترجع الهاء إليه، فقالت بنو فزارة: ولكن منكم يا بني هلال من قَرَى في حوضه، فسقى إبله فلما رويت سلح فيه ومدره بخلاً به أن يشرب فضله، فقضى أنسُ بن مدرك على الهلاليين، فأخذ الفزاريون منهم مائة بعير، وكانوا تراهنوا عليها"[2].

وجاء في شروح سقط الزند:

" إذا وُصف الطائيّ بالبُخل مادرٌ وعيّر قُسّاً بالفهاهة باقِلُ

(١) الأصفهاني – الأغاني، ٢٢: ٥.

(٢) الميداني – مجمع الأمثال، ١: ١٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التبريزي: الطائيّ، يعني حاتماً الطائي. ومَادر: رجلٌ من بني هلال بن عامر صعصعة، يُضرب به المثل في البخل. وإنّما قيل له مادر، لأنّه سقى إبله من بعض حياض العرب، فلما شربت إبله وصدرت عن الماء مدر الحوض بسَلْحه، أي لطّخه به، حتّى لا يشرب غيره، فقيل: "أبخل من مادر". وذكروا أن بني فزارة وبني هلال بن عامر، تنافروا إلى أنس بن مُدْرك الخَثْعميّ، وتراضوا به. فقالت بنو عامر: يا بني فَـزَارة، أكلتم أير الحمار! فقالت بنو فَزَارة: أكلناه و لم نعرفه. ولكن منكم يا بني هلال من قرى في حوضه فسقى إبله، فلمّا رَوِيَتْ سَلَح فيه بُخلاً أن يشرب من فضله. فقضى أنسٌ على الهلاليّين، فأخذ الفزاريّون منهم مائة بعيرٍ كانوا تراهنوا عليها. وفيهم يقول الشاعر:

لقد جَلّلت خِزْياً هلالُ بنُ عامـرٍ ... بني عامرٍ طُـــرّاً بسلحة مَادِرِ
فأفّ لكم لا تَذكُروا الفَخْر بعدها ... بني عَامرٍ أنتم شِرَارُ المعاشـــرِ

وأما أكل بني فزارة أيْر الحمار، فمن حديثهم أنّ ثلاثة نفرٍ اصطحبوا: فَزَارياً وتغلبيّاً وكِلابياً، فصادوا حمارا، ومضى الفزاريّ في [بعض] حاجته، فطبخا وأكلا وخبآ للفزاريّ جُردان الحمار، فلما رجع [الفزاريّ] قالا له: قد خبّأنا لك فكُل. فأقبل يأكُلُه ولا يسيغه، وجعلا يضحكان، ففطن فقال: "أكـلّ شـواء العـير جوفان ؟". وجوفان العير: أيره. ثم أخذ سيفه وقام إليهما وقال: لتأكلانه أو لأقتلـنّكما. ثم قال لأحدهما، وكان اسمه "مَرْقمة": كُلْ منه. فأبى، فضربه فأبان رأسه. فقال الآخر: "طـاح مَرْقمة". فقال الفزاريّ: "وأنت إن لم تلقمه". أراد إن لم تلقمه. فألقى حركة الهاء على الميم وسكنت الهاء.

ومما قيل في بني فزارة في هذا المعنى قول الكُميت:

نصحتُك يا فَزَارُ وأنتَ شيخٌ ... إذا خُيّرتَ تُخطئ في الخيارِ
أصَيْحانيةٌ أُدمـتْ بزيـت ... أحبُّ إليكَ أم أيـر الحمَـار
بلى أيرُ الحمـــارِ وخُصيتاه ... أحبُّ إلى فَزَارة مـن فـزارِ

وقال الشاعر:

لا تأمننّ فَزَارياً خلوتَ بـه ... على قَلُوصك واكتُبْها بأسـيارِ
لا تأمنَنْهُ ولا تأمن بوائقـــهُ ... بعد الذي امتَلّ أيَر العَير بالنّارِ"[1]

(١) المعري – شروح سقط الزند، ٢: ٥٣٣ – ٥٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦. منافرة محمد بن أُحَيْحَة بن الجُلاّح والزِّبْرِقان بن بدر التميمي[١]:

"قال أبو محمد عبد الملك، وقد ذكرها نابغة بني ذبيان، وذلك أنه تنافر محمد بن أُحَيْحَة ابن الجُلاّح الأوس والزِّبْرِقَان بن بدر بن عامر التميمي، فترافعا في حكومتهما إلى النابغة، وكان النابغة قد نصّب قبّة بعكاظ، وفعل ذلك أيضا زهير بنت أبي سلمى، يسمع العرب منهما، فقال عمرو بن أُحَيْحَة لأخيه محمد، وقد خلا به: إني لأخشى عليك السّقْطة يا محمد، كيف تخاصم رجلا في الحسب والسابقة إلى ابن عمّه، قال محمد: وإن كانم ذلك يا عمرو، والله لا حكم إلا بالحقّ، قال له عمرو: ويحك، إني لأوجل أن يغلب عليه الهوى والحمية، فيحكم عليك، وهو موقف عظيم، وخطر جسيم، قال محمد: دعني، فإن نابغة لا يحكم إلا بالحق.

وإن محمد بن أحيحة خرج في الأوس والخزرج في الخيل والرجال والسلاح الشّاك، وساق مائة بُدْنَة ينحرها بعكاظ إذا حكم له، ويطعم الناس، فلمّا أتى نابغة أوقف محمد بن أحيحة هجانه صفّا، وأوقف الزبرقان هجانه صفّا، ثم وقفا بين يدي زياد النابغة، وشهدهما من كان بعكاظ من وجوه العرب، فقال محمد: أنا محمد، وقال الزبرقان: أنا الزبرقان، قال محمد: أنا ابن أحيحة، قال الزبرقان: أنا ابن بدر، قال محمد: أنا ابن الجُلاّح، قال الزبرقان: أنا ابن عامر. فقال الأوس والخزرج، ومن شهد عكاظ من الأزد، وقال بنو تميم، ومن شهد عكاظ من تميم: احكم يا زياد بين محمد والزبرقان، وبين أحيحة وبدر، وبين الجلاح وعامر، ومن أعلى جدّا وأسمى مجدا. فقال النابغة: شتان بين محمد والزبرقان، وشتان بين أحيحة وبدر، وشتان بين الجلاح وعامر، فأما عامر، فصاحب ضأن وإبل وانتجاع ورجل وخيل وسهل، وأما الجلاح فصاحب حكم وبيان وكفاح وطعان وخيل، ورهان وخمر وقيان، فالجلاح أفضل من عامر، وأما بدر فصاحب سيف وضيف وحشر وخيف، ورحلة في شتاء وصيف، وأما أحيحة فرأس معبود وخلق محشود، قاد الجنود، وأغاث المجهود، وقاتل العنود، وعلم الجود، ووهب ذات المواشي لقيس بن زهير، ثمنها ثمان مائة ناقة، وضمن لكل من أتاه، سنة المسغبة، إذ عقر راحلته على باب داره، وخلفها وسط عياله، فأحيحه أفضل من بدر، وأما الزبرقان فصاحب نساء وغزل، وفتك وقتل، وشجاعة وجهل، وأما محمد فصاحب نزل، ونايل ... وغياث للأرامل، نصر أخاه عبد المطلب على حفر زمزم على قبائل قريش، ونحر يوم كشف زمزم مائة ناقة، وأطعم أهل مكة، وهو فارس يوما عَوْسًا، فمحمد أفضل من الزبرقان، قم يا محمد، انحر

---

(١) ابن الجون الأشعري – الرياض الأدبية في شرح الخمرطاشية: ١٣٦ – ١٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأطعم، فإني حكمت لك، فنحر محمد، وأطعم أهل عكاظ، وانصرف بنو تميم، غضابا على النابغة، فبلغ ذلك النابغة، وأرسل إلى بني تميم شعرا فقال:

يَا سَائِلِي عَــنْ سَادَةٍ مِــنْ مَعْشَرٍ
بِيــــضِ المَكَارِمِ مِنْ بَنِي قَحْطَانِ
لَوْ قَدْ شَهِدْتَ الخَيْلَ تَمْزَعُ بِالضُّحَى
وَالـــــــرِّجْلِ أَسْرَابًا إِلى غَسَّانِ
يَرِدُونَ جَفْنَةَ سَيِّدًا مِــــنْ يَعْرُبٍ
عَمْرَو بنَ عَـــامِرٍ سَيِّدَ الأَزْمَانِ
وَالتَّاجُ فَوْقَ جَبِينِـــــــــهِ مُتَهَلِّلٌ
رَأْدَ الضُّحَى بِالدُّرِّ وَالمُـــرْجَانِ
كَفَرَ الدَسِيعَةَ بِالسَّدِيفِ فَشَاهَـــدُوا
وَمُتُونِـــــــــهَا بِأَطَايِبِ الأَلْوَانِ
لَمَّا حَكَمْتُ وَكَانَ حُكْمِي مُقْسِطًا
بِالحَـــــقِّ لَمَّا إِنْ أَتَى الخَصْمَانِ
وَكَذَلِكَ الجُلاحُ فِي أَيَّامِـــــــهِ
يَهِبُ الجِيَادَ وَخَالِـــــصِ العِقْيَانِ
يَهِبُ الجَـــــرَاجِرَ وَالهِجَانَ كَأَنَّهَا
شُمٌّ شَوَامِـــــخُ مِنْ جِبَالِ قَنَانِ
صَـــــدَقَ الجَوَادُ فَصَدَّقَتْ آلاؤُهُ
لا كُلّ مُجْتَمِـــــعٍ بِكُلِّ لِسَانِ
وَمُحَمَّدٍ أَعْطَى وَأَطْعَـــــمَ مُسْغِبًا
بِفِنَاءِ مَكَّةَ قَـــــــالَهُ المَلَوَانِ
شَتَّانَ مَنْسُـــــوب إِلى جَوْزِ الفَلا
وَمُحَمَّـــــدٌ يَنْمِي إِلى التِّيجَانِ"

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧- منافرة سُوَيْد بن صَامِت وَأَحَدٌ من بني سُلَيْم[١]:

ونافر [سويد بن صامت] رجلاً من بني سُليم، ثم أخذ بني زِغْب بن مالك مئة ناقة، إلى كاهنةٌ من كُهّان العرب، فقضت له. فانصرف عنها هو والسّلميّ، ليس معهما غيرها، فلمّا فرّقت بينهما الطريقُ، قال: مالي، يا أخا بني سُليم؛ قال: أبعثُ إليك به؛ قال: فمن لي بذلك إذا فُتّني به؟ قال: أنا؛ قال: كلاّ، والذي نفسُ سُويدٍ بيده، لا تفارقنّي حتى أوتي بمالي. فاتّخذا، فضرب به الأرض، ثم أوثقه رباطاً ثم انطلق به إلى دار بني عمرو بن عوف، فلم يزل عنده حتى بعثت إليه سُليم بالذي له، فقال في ذلك:

لاتَحْسَبَنّي يابْنِ زِغْبِ بن مَالِكٍ ... كَمَنْ كُنْتَ تَرْدِي بِالغُيُوبِ وَتَخْتِلُ
تَحَوَّلْتَ قِرْناً إِذْ صُرِعْتَ بِعِزَّةٍ ... كَذَلِكَ إِنَّ الحَازِمَ المُتَحَوِّلُ
ضَرَبْتُ بِهِ إِبْطَ الشِّمَالِ فَلَمْ يَزَلْ ... عَلَى كُلِّ حَالٍ خَدُّهُ هُوَ أَسْفَلُ

٨- منافرة خِدَاش بن زُهَيْر البَكَائِيّ وهُبَيْرَة بن عامر بن سَلَمَة بن قُشَيْر[٢]:

وأما قوله: [النابغة الجَعْديّ]

لو تستطيعون أن تُلْقوا جُلودَكُم ... وتجعلوا جِلْد عبد الله سِرْبالا

فإن السّبب في ذلك أن هُبيرة بن عامر بن سلمة بن قُشير، لقي خِدَاش بن زهير البَكّائي، فتنافرا على مائة من الإبل، وقال كل منهما لصاحبه: أنا أكرم وأعزّ منك؛ فحكّما في ذلك رجلا من بني ذي الجَدّين، فقضى بينهما أنّ أعزّهما وأكرمهما أقربهما من عبد الله بن جَعْدة نسباً، فقال خداش بن زُهير: أنا أقرب إليه، أمّ عبد الله بن جعدة عمّتي – وهي أميمة بنت عمرو بن عامر – وإنما أنت أدنى إليه منّي منزلة بأب، فلم يزالا يختصمان في القرابة لعبد الله دون المُكاثرة بآبائهما إقراراً له بذلك، حتى فلج هبيرة القُشيريّ وظفر.

---

(١) ابن عشام – السيرة النبوية، ٢: ٥١ – ٥٢.

(٢) الأصفهاني – الأغاني، ٥: ٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩- منـــــافرة سَبْرَة بن عَمْرو الفَقْعَسيّ وَعَبَّاد بن أَنْفِ الكَلْبِ الصَّيدَاوِي[١]:

وقال سبرة بن عمرو الفقعسيّ، حين ارتشى ضَمْرة النهشلي، ونفر عليه عباد بن أنف الكلب الصيداوي، فقال سبرة:

يا ضَمْرُ كيفَ حَكَمت أمُّك هابلٌ ... والحُكْمُ مسئولٌ بـه المتعمَّـــدُ
أحفظتَ عَهْـــداً أم رَعيت أمانةً ... أم هل سمعتَ بمثلها لا يُنشـــدُ
شَنعاء فاقِـــــرة تجلّلُ نَهْشلا ... دنساً تَغُورُ به الـــرفاق وتُنْجدُ
إنّ الرفاق أمال حكمـــك حبُّها ... فلك اللقاء وراكبٌ متـــــجرِّدُ
ضح العشيرةَ واستمـــرَّ كأنّـــه ... كَلبٌ يُبصبِصُ للعظال ويَطْـــــردُ
لا شيءَ يَعدِلُها ولكـــــن دونَها ... خَرْطُ القَتادِ تهابُ شـــوكَتَها اليدُ
جوعانُ يلحسُ أسكتَا زيفيَّـــــة ... غَلِـــــمٌ يثورُ على البَرَاثِن أعْقَدُ

١٠- منافرة بني العُشْرَاء من بني فَزَارَة مع منافرهم[مجهول][٢]:

إن الكـــاهن عُـــزَّى سَـــلِمَة العُذْرِيّ نفّر بني العُشَراء وهم من بني مازن على منافرهم غير المذكـــور: فقـــال الكاهن:"والأرْضِ والسَّمَاءِ، والعُقَابِ الصَّقْعاء، واقعة بِبَقْعاء، لقد نَفّر المَجْد بني العُشَراء، للمجد والسَّناء".

١١ -منا فرة عُيَيْنَة بن حِصْن وزَبَّان بن سَيَّار[٣]:

"عُيَيْـــنة بـــن حِصْن بن حُذيفة بن بدر نافر زبان [بن منظور] بن سيّار الفَزَاريّ إلى العِزّ الكاهنة، كاهنة نجران فرحلا إليها.

فقال زبّان: أنا ابن منظور.

فقال عيينة: أنا ابن حِصْن.

فقال زبّان: أنا ابن سيّار.

فقال عيينة: أنا ابن حُذيفة.

---

(١) الجاحظ – الحيوان، ١ : ٣١٩.

(٢) الجاحظ – البيان والتبين، ١: ٢٩٠.

(٣) أبو عبيدة – الديباج: ٩٦- ٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال زبّان: أنا ابن عمرو.

فقال عيينة: أنا ابن بدر.

فقال زبّان: أنا ابن جابر.

فقال عيينة: أنا ابن الجون.

فقال الزبّان: زِيْنَة أم عمرٍو.

فقال عيينة: عليه. فلم يرض، وكان يقال: إن بدر بن عمرو ابن الجون الكندي، وإن عيينة لما اعتزى إلى الجون وكان معتلياً لزبّان، فلما ترك نسبه في بني فَزَارة وفخر بفخر غيره قالت: افتخرت بفخر ليس لك وتركت ما في يديك، فكأنّما نفّرت زبّان، فطلب زبان المائة النّفورة فقال عيينة: أنا أفضل منك نَفْساً وأباً ولكنّها جارت، فقال زبان:

أَتَثْلِبُ حُـــرَّةً بَقِيَتْ يَدَاها ... عُيَيْنَةُ تَمْنَعُ اللّخْواءَ تَفْـري
شَرِبْتَ المَجْدَ مِنْ غَطَفَان حَتّى ... تُفاخِرُنِي بِزَيْنَةَ أُمِّ عَمْـرِو
أَلَمّا تَعْلَمي أَنّي كَريـــمٌ ... أَغَرُّ لِصُلْبِ سَيّارِ بن عَمرِو

فقال عيينة:

إنّا لَنَعْلَمُ مَا أَبُـــوكَ بِجابِرٍ ... فَالْحَقْ بِأَهْلِكَ مِنْ بَنِي دُودَانِ
حَالَتْ بِكُم أَمَةٌ لِنَضْلَةَ وابْنِهِ ... فَسَقَـتْ بِزَيْنَتِها أَبَا زَبّـانِ

١٢ـ منافرة قَيْس بن مَسْعُود وحَاجِب بن زُرَارَة[1]:

قال [أبوعبيدة] : وكان في حديث ذي الجَدَّين أن الملك النُّعْمان قال: لأعطين أفضل العرب مئة من الإبل، فلما أصبح الناس، اجتمعوالذلك، فلم يكن قَيْس بن مَسْعود فيهم، وأراده قومُه على أن ينطلق، فقال: لا، ولئن كان يريد بها غيري، لا أشهد ذلك، وإن كان يريدني بها لأعْطِيَنَّها، فلمّا رأى النّعمان اجتماع الناس، قال لهم: ليس صاحبُها شاهدا، فلما كان من الغداة، قال له قومُه: انطلق، فانطلق، فدفعها إليه الملك، فقال حَاجِب بن زُرَارَة: أبيتَ اللّعْن، ماهو أحقّ بها مني، فقال قَيْس بن مَسْعود: أُنَافِرُهُ عن أكرمنا قَعِيدَة، وأحسننا أدبَ ناقة، وأكرمنا لئيم قومٍ، فبعث معهما النّعمان من ينظر في ذلك، فلما انتهوا إلى بادية حاجب بن زُرَارَة، مروا على رجل من قومه فقال

(١) ابن رشيق – العمدة، ٢: ٩٤٠- ٩٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حاجب: هذا ألأم قومي، وهو فلان بن فلان، والرجل عند حَوْضِه، ومورد إبله، فأقبلوا إليه، فقالوا: يا عبدَ الله، دعنا فلْنَسْقِ، فإنا قد هلكنا عطشا، وأهلكنا ظهورنا، فتجهّم، وأبى عليهم فلما أعياهم، قالوا لحاجب: اسْفِر، فَسَفَر، فقال: أنا حَاجِب بن زُرَارَة، فدعنا نشرب، قال: أنت؟ فلا مرحبا بك ولا أهلا، فأتوا بيته، فقالوا لامرأته: هل من منزل يا أَمَة الله؟ قالت: والله ما ربّ المنزل شاهد، وما عندنا من منزل، وأرادوها على ذلك فأبت، ثم أتَوا رجلاً من بَكْر بن وائل على ماء يورد، فقال فيسٌ: هذا والله ألأم قومي، فلما وقفوا عليه، قالوا له مثل ما قالوا للآخر فأبى عليهم، وهمّ أن يضربَهم، فقال له قيس بن مسعود: ويلك! أنا قيس بن مسعود، فقال له: مرحبا وأهلا، أورِدْ، ثم أتوا بيتَه، فوجدوا فيه امرأته وقدرها تَغِطُّ، فلما رأت الركب من بعيد، أنزلت القدر وثَرَدَت، فلما انتهوا إليها، قالوا: هل عندك يا أمة الله من منزل؟ قالت: نعم! انزلوا في الرحب والسعة، فلما نزلوا، طعِموا، وارتحلوا، فأخذوا ناقتيها، فأناخوها على قريتين للنمل، فأما ناقة قيس بن مسعود، فتضوّرت، وتقلّبت ثم لم تَثُرْ، وأما ناقة حاجب، فمكثت وثبتت، حتى إذا قالوا قد اطمأنّت، طَفِقَت هاربة، فأتوا الملك، فأخبروه بذلك، فقال له:قد كنْتَ يا قَيْس ذا جَدٍّ فأنت اليوم ذو جَدَّيْن، فسمّي بذلك ذا الجَدَّيْن.

١٣- منافرة كادت أن تحدث بين حاتم الطّائي وسَعْد بن حارثة بن لَأم[1]:

خرج الحكمُ بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس، ومعه عِطْرٌ يريد الحيرة، وكان بالحيرة سوقٌ يجتمع إليه الناس كل سنة. وكان النعمان بن المنذر قد جعل لبني لأم بن عمرو بن طريف بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جُدعان بن ذُهْل بن رُومان بن حبيب بن خارجة بن سعد بن قطنة بن طيء ربع الطريق طعمةً لهم؛ وذلك لأنّ بنت سعد بن حارثة بن لأم كانت عند النعمان، وكانوا أصهاره، فمرّ الحكمُ بن أبي العاص بحاتم بن عبد الله، فسأله الجوار في أرض طيء حتى يَصير إلى الحيرة، فأجاره، ثم أمر حاتم بجزور فنحرت، وطبخت أعضاءه، فأكلوا، ومع حاتم ملحان بن حارثة بن سعد بن الحشرج وهو ابن عمه، فلما فرغوا من الطعام طيّبهم الحكم من طيبه ذلك. فمرّ حاتم بسعد بن حارثة بن لأم، وليس مع حاتم من بني أبيه غير مِلْحان، وحاتمٌ على راحلته، وفرسه تُقاد، فأتاه بنو لأم فوضع حاتم سفرته وقال: أطعموا حيّاكم الله، فقالوا: من هؤلاء معك يا حاتم؟ قال: هؤلاء جيراني، قال له سعد: فأنت تُجير علينا في بلادنا؟ قال له: أنا ابن عمّكم وأحقّ من لم تخفروا ذمته، فقالوا: لست هناك. وأرادوا أن يفـــضحوه كما فُضح عامر بن جوين قبله، فوثبوا إليه، فتناول سعد بن حارثة بن لأم حاتمًا، فأهوى له حاتمٌ بالسيف فأطار أرنبة أنفه، ووقع الشرّ حتى تحاجزوا، فقال حاتم في ذلك:

---

(١) الأصفهاني – الأغاني، ١٧: ٣٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَددْتُ وبيت الله لو أن أنْفَه هواءٌ فمامَتّ المُخاطُ عــن العَظْمِ
ولكنّما لاقاهُ سَيْفُ ابنِ عَمِّه فآب ومرّ السيفُ منه على الَخطْمِ

فقالوا لحاتم: بيننا وبينك سوق الحيرة فتماجدك ونضعُ الرّهن، ففعلوا، ووضعوا تسعة أفراس هنا على يديْ رجل من كلب يقال له: امرؤ القيس بن عديّ بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن جناب، وهو جدّ سكينة بنت الحسين بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهما، ووضع حاتم فرسه. ثم خرجوا حتى انتهوا إلى الحيرة، وسمع بذلك إياس بن قَبيصة الطّائيّ، فخاف أن يعينهم النعمان بن المنذر يُقَويّهم بماله وسلطانه؛ للصّهر الذي بينهم وبينه، فجمع إياسٌ رَهْطه من بني حيَّة، وقال: يا بني حيّة، إنّ هؤلاء القوم قد أرادوا أن يفضحوا ابن عمكم في مجاده، أي مماجدته، فقال: رجل من بني حية: عندي مائة ناقة سوداء ومائة ناقة حمراء أدْمَاء، وقام آخر فقال: عندي عشرة حُصُن، على كل حصانٍ منها فارس مدجّج لا يُرى منه إلاّ عيناه. وقال حسّان بن جبلة الخير: قد علّمتم أنّ أبي قد مات وترك كَلاّ كثيراً، فعليّ كلّ خَمْر أو لحم أو طعام ما أقاموا في سوق الحيرة. ثم قام إياس فقال: عليّ مثل جميع ما أعطيتم كلكم.

قال: وحاتم لا يعلمُ بشيء مما فعلوا، وذهب حاتم إلى مالك بن جبار، ابن عمّ له بالحيرة كان كثير المال، فقال: يا بن عم، أعنّي على مُخايلتي. قال: والمخايلة المفاخرة، ثم أنشد:

يا مالُ إحدى خطوب الدّهرِ قد طَرَقَتْ يا مالُ ما أنتـــــم عنها بزَحْزاحِ
يا مالُ جاءت حِيَاضُ المـــــوت وارِدةً من بين غَمْــر فخُضْنَاه وضَحْضاحِ

فقال له مالك: ما كنتُ لأحرب نفسي ولا عيالي وأعطيك مالي.
فانصرف عنه، وقال مالك في ذلك قوله:

إنّا بنـــــو عمّكم نُبَاعلكم ولا نجاورِكم إلاّ على نَاحِ
وقد بَلُوتك إذ نلتَ الثراءَ فلم ألقك بالمالِ إلاّ غير مرتاح

قال أبو عمر الشيباني في خبره: ثم أتى حاتم ابن عم له يقال له: وهم ابن عمرو، وكان حاتم يومئذ مصارماً له لا يكلّمه، فقالت له امرأته: أيّ وَهْمُ، هذا والله أبو سفّانة حاتم قد طلع، فقال: مالنا ولحاتم! أثبتي النظر، فقالت: هاهو، قال: ويحك هو لا يكلّمني، فما جاء به إليّ؟ فنزل حتى سلّم عليه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وردّ سلامه وحيّاه، ثم قال له: ما جاء بك يا حاتم؟ قال: خاطرتُ على حَسَبك وحَسَبي، قال: في الرّحب والسّعَة، هذا مالي – قال: وعدّته يومئذ تسعمائة بعير – فخذها مائة مائة حتى تذهب الإبلُ أو تصيبَ ما تريد. فقالت امرأته: يا حاتم، أنت تخرجنا من مالنا، وتفضح صاحبنا – تعني زوجها – فقال: اذهبي، عنك؛ فوالله ما كان الذي غمّك ليردّني عما قبلي. وقال حاتم:

ألا أبلغا وَهْم بن عمرو رسالةً ... فإنك أنتَ المرءُ بالخيرِ أجـــدرُ
رأيتُك أدنى الناسِ منّا قــرابةً ... وغيرك منهم كنتُ أحبُو وأنْصُر
إذا ما أتى يومٌ يُفـــرّقُ بيننا ... بموتٍ فكن يا وهم ذو يتأخّــرُ

ذو في لغة طيّ: الذي.

قالوا: ثم قال إياس بن قَبِيصة: احملوني إلى الملك، وكان به نِقْرس، فحمل حتى أُدخل عليه، فقال: أنعِم صباحاً أبيت اللعن، فقال النعمان: وحيّاك إلهك، فقال إياس: أتمدّ أختانك بالمال والخيل، وجعلت بني ثُعل في قَعْر الكنانة! أظنّ أختانك أن يصنعوا بحاتم كما صنعوا بعامرِ بن جوين، ولم يشعروا أن بني حيّة بالبلد؛ فإن شئت والله ناجزناك حتى يسفح الوادي دماً، فليحضروا مجادهم غداً بمجمع العرب.

فعرف النعمان الغضب في وجهه وكلامه، فقال له النعمان: يا أحلمنا لا تغضب؛ فإني سأكفيك.

وأرسل النعمان إلى سعد بن حارثة وإلى أصحابه: انظروا ابن عمّكم حاتماً، فأرضوه، فوالله ما أنا بالذي أعطيكم مالي تبذرونه، وما أطيق بني حيّة.

فخرج بنو لأم إلى حاتم فقالوا له: أعرِض عن هذا المجاد ندع أرش أنْف ابن عمنا، قال: لا،والله لا أفعل حتى تتركوا أفراسكم، ويغلب مجادكم.

فتركوا أرش أنف صاحبهم وأفراسهم، وقالوا: قبّحها الله وأبعدها؛ فإنما هي مَقارف، فعمد إليها حاتم، وأطعمها الناس، وسقاهم الخمر، وقال حاتم في ذلك:

أبلغ بني لأم فإنّ خيـــولهم ... عقرى وإنّ مجادهم لم يمـــجُد
ها إنّما مطرتْ سماؤكم دماً ... ورفعت رأسك مثل رأس الأصيد
ليكون جيراني أكالاً بينكـــم ... نُحْلاً لكنديّ وســـــيِ مزيــد
وابن النّجود إذا غدا متلاطِما ... وابن العذوّر ذي العِجان الأبــرد
ولثابتٍ عيني جـــذ متماوت ... وللعمظ أوس قد عـــــوى لمقلد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبلغ بني ثُعـــلٍ بأني لم أكن أبداً لأفعلـــها طوال المُـــسْنَد
لاجتثُهم لا وأترك صُحبتـــي نهباً ولم تغدر بقائمهِ يـــــدي

وخرج حاتم في نفرٍ من أصحابه في حاجةٍ لهم، فسقطوا على عمرو بن أوس ابن طريف بن المثنّى بن عبد الله بن يشجب بن عبد وُدّ في فضاءٍ من الأرض، فقال لهم أوس بن حارثة بن لأم: لا تعجلوا بقتله؛ فإن أصبحتم وقد أحدق الناس بكم استجرءوه، وإن لم تروا أحداً قتلتموه. فأصبحوا وقد أحدق الناس بهم، فاستجاروه فأجارهم، فقال حاتم:

عمرو بن أوس إذا أشياعه غَضِبوا فأحـــــرزوه بلا غُرْمٍ ولا عارِ
إنّ بني عَبْـــــد وُدٍّ كلّما وقعت إحدى الهنات أتوها غير أغْمَارِ.

١٤ – الحكّام العُدول والمُرتَشون:

أ – الحكـــــام المرتشون[1]:

(المرتشون في الحكومة في الجاهلية ثلاثة)

"ضَمْرة بن ضَمْرة النَّهْشَليّ وَتحاكم إليه عبّاد بن أنف الكلب، وسَبْرةُ بن عمرو الأسديّان، فاسترشى ضَمْرة عباداً ونفّرهُ على سَبْرة، وأعطاه عبّادٌ عشراً من الإبل، فقيل ذلك لسَبْرة فرجز به فقال:

أنا لمن يسألُ عنّي ســـــبره
ناك أباهُ ضَمْرةَ بن ضَمْـــره
في قَفْـــــرَةٍ لبَلْهَاء أولى نَظْرَه

والأقرع بن حابس المجاشعي تنافر إليه جرير بن عبد الله البَجَليّ وخالد فمدحه جرير ورضخ له رضخةً فنفّره جريراً على خالد.

ومروان بن زِنْبَاع العَبْسي تحاكم إليه السّفاح التغلبي وعمرو بن لأي فارس مخلد من بني تيم الله بن ثعلبة. فأهدى إليه عمرو وأطعمه فنفّره على السّفاح، وكان السّفاح أفضل منه، وكان على خيل سلمة بن الحارث يوم قُتل أخاه شراحيل بن الحارث يوم الكُلاب. وللسّفاح يقول لأخطل:

---

(١) أبو عبيدة – الديباج: ٩٩ – ١٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأخوهما السفاح ظَمَّأ خيـــــــلَهُ حتّى وَرَدْنَ جُبَـــــى الكُلاب نِهالا

ب – الحـــــكّام العُـــــدُول[١]:

(حكماء العرب العُدول ثلاثة)

هَرِم بن قُطْبة الذي يقول فيه الأعشى:

ولا إلى الهرميـــــــــــن في بيت الحُكُومة والصّباره

والآخر: هَرِمُ بن سنان.

ومعاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب.

١٥ –منافرة جميل بن عبد الله بن مَعْمَر وَجَوّاس بن قُطْبَة العُـــــذْرِي (العصر الإسلامي)[٢].

وكان جوّاس شريفاً في قومه شاعراً، فذكر أبو عمرو الشيباني:

أن جميل بن عبد الله بن معمرٍ لما هاجى جوّاساً تنافرا إلى يهود تيماء، فقالوا لجميل: يا جميل، قُل في نفسك ما شئت، فأنت والله الشاعر الجميل الوجه الشريف، وقل أنت يا جواس في نفسك وفي أبيك ما شئت، ولا تذكرنّ أنت يا جميل أباك في فخر؛ فإنه كان يسوق معنا الغنم بتَيْماء، وعليه شملةٌ لا توارى استه، ونفّروا عليه جوّاساً، قال: ونشب الشرّ بين جميل وجوّاس، وكانت تحته أم الُجسَيْر أخت بُثينة التي يذكرها جميل في شعره، إذ يقول:

يا خَلِيـــلي إن أمّ جُسَيْـــرٍ حين يدنو الضّجيع من عَلَلِـــــــهْ

روضةٌ ذاتُ حَنْوةٍ وخُزَامَى جادَ فيها الرَّبيعُ من سَبَـــــــلِهْ

فغضب لجميل نفرٌ من قومه يقال لهم بنو سفيان، فجاءوا إلى جوّاس ليلا وهو في بيته، فضربوه وعرّوا امرأته أمّ الجُسَيـــــــــر في تلك الليلة، فقال جميل:

---

(١) أبو عبيدة – الديباج: ١٠١.

(٢) الأصفهاني – الأغاني، ٢٢: ١٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما عَرّ جوّاس اســـتُها إذ يسبُّهم بصَقْرى بني سُفيان قَيْس وعاصمِ

هـــــما جردا أُمُّ الجُسَيْر وأوقعا أمـــرٌ وأدهى من وَقِيعة سالِمِ

فقال جوّاس:

ما ضُـــــــرِب الجَوّاسُ إلا فُجَاءة على غفلة مِن عَينِه وهو نائـــــــمُ

فإلا تُعجّلـــني المنيّةُ يصْـــــطبح بكأسك حِصنـــاً كم حُصين وعاصِمُ

ويُعطي بنو سفيان ما شئت عنـــوةً كما كنتُ تُعطِيني وأنفـــُك راغـــمُ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا: شعر المنافرات الذي ذكر في الدواوين الشعرية:

١ – الأَعْشَى الكَبِير – مَيْمُون بن قَيْس

أ – الرَّائِيَّة[1]:

شَاقَتْكَ مِنْ قَتْلَةَ أَطْلاَلُهَا ... بِالشَّطِّ فَالْوَتْرِ إِلى حَاجِرِ
فَرُكْنِ مِهْرَاسٍ إِلى مَارِدٍ ... فَقَاعٍ مَنْفُوحَةَ ذِي الحَائِرِ
دَارٌ لَهَا غَيَّرَ آيَاتِهَا ... كُلُّ مُلِثٍّ صَوْبُهُ زَاجِرِ
وَقَدْ أَرَاهَا وَسْطَ أَتْرَابِهَا ... فِي الحَيِّ ذِي البَهْجَةِ وَالسَّامِرِ
كَدُمْيَةٍ صُوِّرَ مِحْرَابُهَا ... بِمُذْهَبٍ فِي مَرْمَرٍ مَائِرِ
أَوْ بَيْضَةٍ فِي الدِّعْصِ مَكْنُونَةٍ ... أَوْ دُرَّةٍ شِيفَتْ لَدَى تَاجِرِ
يَشْفِي غَلِيلَ النَّفْسِ لاهٍ بِهَا ... حَوْرَاءُ تُصْبِي نَظَرَ النَّاظِرِ
لَيْسَتْ بِسَوْدَاءَ وَلا عِنْفِصٍ ... تُسارِقُ الطَّرْفَ إِلى الدَّاعِرِ
عَبَهْرَةُ الخُلْقِ بُلاخِيَّةٌ ... تَشُوبُهُ بِالخُلُقِ الطَّاهِرِ
عَهْدِي بِهَا فِي الحَيِّ قَدْ سُرْبِلَتْ ... هَيْفَاءَ مِثْلَ المُهْرَةِ الضَّامِرِ
قَدْ نَهَدَ الثَّدْيُ عَلَى صَدْرِهَا ... فِي مُشْرِقٍ ذِي صَبَحٍ نَائِرِ
لَوْ أَسْنَدَتْ مَيْتًا إِلى نَحْرِهَا ... عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلى قَابِرِ
حَتَّى يَقُولُ النَّاسُ مِمَّا رَأَوا ... يَا عَجَبًا لِلمَيِّتِ النَّاشِرِ
دَعْهَا فَقَدْ أَعْذَرْتَ فِي حُبِّهَا ... وَاذْكُرْ حَنَا عَلْقَمَةَ الفَاجِرِ
عَلْقَمَ لا لَسْتَ إِلى عَامِرٍ ... النَّاقِضِ الأَوْتَارَ وَالوَاتِرِ
وَاللاَّبِسِ الخَيْلَ بِخَيْلٍ إِذَا ... ثَارَ غُبَارُ الكَبَّةِ الثَّائِرِ
سُدْتَ بَنِي الأَحْوَصِ لَمْ تَعْدُهُمْ ... وَعَامِرٌ سَادَ بَنِي عَامِرِ
سَادَ وَأَلْفَى قَوْمَهُ سَادَةً ... وَكَابِرًا سَادُوكَ عَنْ كَابِرِ
مَا يُجْعَلُ الجُدُّ الظَّنُونُ الذِّي ... جُنِّبَ صَوْبَ اللَّجِبِ الزَّاخِرِ
مِثْلَ الفُرَاتِيِّ إِذَا مَا طَمَا ... يَقْذِفُ بِالبُوصِيِّ وَالمَاهِرِ
إِنَّ الَّذِي فِيهِ تَمَارَيْتُمَا ... بُيِّنَ لِلسَّامِعِ وَالنَّاظِرِ
حَكَّمْتُمُونِي فَقَضَى بَيْنَكُمْ ... أَبْلَجُ مِثْلُ القَمَرِ البَاهِرِ
لا يَأْخُذُ الرُّشْوَةَ فِي حُكْمِهِ ... وَلا يُبَالِي غَبَنَ الخَاسِرِ

---

(١) ديوان الأعشى: ١٧٥ – ١٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَكُلِّ جَوْبٍ مُتْـــرَصٍ صُنْـعُـــهُ ... وَصَارِمٍ ذِي رَوْنَقٍ بَـاتِـــــرِ
وَكُلِّ مِرْنَانٍ لَهُ أَزْمَـــــــلٌ ... وَلَيِّـنٍ أَكْعُبُـــــــهُ حَادِرِ
وَقَدْ أُسَـلِّـي الهَـمَّ حِينَ اعْتَـرَى ... بِجَسْـرَةٍ دَوْسَـــــرَةٍ عَاقِـرِ
زَيَّـــافَةٍ بِالرَّحْـــلِ خَطَّارَةٍ ... تُـــلْوِي بِشَرْخَيْ مَيْسَةٍ قَـاتِـرِ
شَتَّـــانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا ... وَيَوْمُ حَيَّـانَ أَخِي جَـابِـرِ
فِي مِجْـــــدَلٍ شُيِّدَ بُنْيَانُـهُ ... يَزِلُّ عَنْـهُ ظُفُـــرُ الطَّائِـرِ
يَجْمَـــعُ خَضْـرَاءَ لَهَا سَوْرَةٌ ... تَعْصُـــفُ بِالدَّارِعِ وَالحَـاسِـرِ
بَاسِلَةُ الوَقْـــعُ سَـــرَابِيلُهَا ... بِيضٌ إِلَى جَانِبِـــهِ الظَّاهِـــرِ

ب – الصاديّة[1]:

وقال يهجو علقمة أيضًا:

لَعَمْرِي لَئِنْ أَمْسَـى مِنَ الحَيِّ شَاخِصاً ... لَقَدْ نَـــالَ خَيْصاً مِنْ عُفَيْـرَةَ خَائِصَا
إِذَا جُرِّدَتْ يَوْمًا حَسِبْتَ خَمِيـصَـــةً ... عَلَيْـــهِ وَجِرْيَالاً يُضَـــيُّ دُلامِصَا
تَقَمَّـــــرَهَا شَيْخٌ عِشَاءً فَأَصْبَحَتْ ... قُضَـاعِيَّـــةً تَأْتِي الكَـوَاهِنَ نَاشِصَا
فَأَقْصَدَهَا سَهْمِـي وَقَـدْ كَانَ قَبْـلَهَا ... لأَمْثَالِهَا مِنْ نِسْـــــوَةِ الحَيِّ قَارِصَا
أَتَانِي وَعِيـدُ الحُوصِ مِنْ آلِ جَعْفَـرٍ ... فَيَا عَبْدَ عَمْرٍو لَوْ نَهَيْتَ الأَحَـاوِصَا
فَقُلْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ أَبَكْرَ بْـــنَ وَائِلٍ ... مَتَى كُنْتُ فَقْعًـــــا نَابِتًا بِقَصَائِصَا
وَقَدْ مَلَأَتْ بَكْرٌ وَمَـنْ لَفَّ لَفَّـهَـا ... نُبَاكًا فَأَحْوَاضَ الرَّجَـــــا فَالثَّوَاعِصَا
أَعَلْقَمُ قَدْ حَكَّمْتَنِـــــي فَوَجَدْتَنِي ... بِكُمْ عَالِمًـا عَلَى الحُكُـومَةِ غَائِـصَا
كِلا أَبَوَيْكُـــمْ كَانَ فَـــرْعًا دِعَامَةً ... وَلَكِنَّـــــهُمْ زَادُوا وَأَصْبَحْتَ نَاقِصَا
هُـــمُ الطَّرَفُ النَّاكُو العَدُوَّ وَأَنْتُـمُ ... بِقُصْـــوَى ثَلاثٍ تَأْكُـلُونَ الوَقَائِصَا
تَبِيتُونَ فِي المَشْتَى مِلاءٌ بُـــطُونُكُـمْ ... وَجَارَاتُكُمْ غَرْثَى يَبِتْنَ خَمَائِـــصَا
يُرَاقِبْـــنَ مِنْ جُـوعٍ خِلالَ مَخَـافَةٍ ... نُجُـومَ السَّـــمَاءِ الطَّالِعَاتِ الشَّوَاخِصَا
أَتُوعِدُنِـــي أَنْ جَاشَ بَحْرُ ابْنِ عَمِّكُـمْ ... وَبَحْرُكَ سَاجٍ لا يُوَارِي الدَّعَامِـصَـــا
فَلَوْ كُنْتُمُ نَخْلاً لَكُـــنْتُمْ جُرَامَـــةً ... وَ لَوْ كُنْتُـــمُ نَبْلاً لَكُنْتُمْ مَعَاقِصَـــا
رَمَى بِكَ فِي أُخْرَاهُمُ تَرْكُكَ العُلَـى ... وَ فَضَّـــلَ أَقْوَامًا عَلَيْـــــكَ مَرَاقِصَا
فَعَضَّ حَدِيدَ الأَرْضِ إِنْ كُنْتَ سَاخِطاً ... بِفِيـــــكَ وَأَحْجَارَ الكُلابِ الـرَّوَاهِصَا

(١) ديوان الأعشى: ١٨٥ – ١٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فَإِنْ تَتَّعِدْنِي أَتَّعِدْكَ بِمِثْلِهَا ... وَسَوْفَ أَزِيدُ البَاقِيَاتِ القَوَارِصَا
قَوَافِيَ أَمْثَالاً يُوَسِّعْنَ جِلْدَهُ ... كَمَا زَدْتَ فِي عَرْضِ القَمِيصِ الدَّخَارِصَا
وَقَدْ كَانَ شَيْخَانَا إِذَا مَا تَلاقَيَا ... عَدُوَّيْنِ شَتَّى يَرْمِيَانِ الفَرَائِصَا
وَمَا خِلْتُ لَقَّى بَيْنَنَا مِن مَوَدَّةٍ ... عِرَاضُ المَذَاكِي المُسْنِفَاتِ القَلائِصَا
فَهَلْ كُنْتُمُ إِلاَّ عَبِيداً وَ إِنَّمَا ... تُعَدُّونَ خُوصاً فِي الصَّدِيقِ لَوَامِصَا
تَخَامُصُكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ غَيْرَ طَائِلٍ ... عَلَى سَاعَةَ مَا خِلْتُ فِيهَا تَخَامُصَا
فَإِنْ يَلْقَ قَوْمِي قَوْمَهُ تَرَ بَيْنَهُمْ ... قِتَالاً وَأَكْسَارَ القَنَا وَمَدَاعِصَا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ العِرْضَ أَصْبَحَ بَطْنُهَا ... نَحِيلاً وَزَرْعاً نَابِتاً وَقَصَافِصَا
وَذَا شُرَّفَاتٍ يُقْصِرُ الطَّيْرُ دُونَهُ ... تَرَى لِلحَمَامِ الوُرْقِ فِيهِ قَرَامِصَا

وقال معتذراً إلى علقمة بن عُلاثة[1]:

أَعَلْقَمُ قَدْ صَيَّرَتْنِي الأُمُورُ ... إِلَيْكَ وَ مَا كَانَ لِي مَنْكَصُ
كَسَاكُمْ عُلاَثَةُ أَثْوَابَهُ ... وَوَرَّثَكُمْ مَجْدَهُ الأَخْوَصُ
وَ كُلٌّ أَنَاسٍ وَ إِنْ أَفْحَلُوا ... إِذَا عَايَنُوا فَحْلَكُمْ بَصْبَصُوا
وَإِنْ فَحَصَ النَّاسُ عَنْ سَيِّدٍ ... فَسَيِّدُكُمْ عَنْهُ لا يُفْحَصُ
فَهَلْ تُنْكَرُ الشَّمْسُ فِي ضَوْئِهَا ... أَوِ القَمَرُ لِلبَاهِرُ المُبْرِصُ
فَهَبْ لِي ذُنُوبِي فَدَتْكَ النُّفُوس ... وَلا زِلْتَ تَنْمِي وَلا تَنْقُصُ

٢ – الحُطَيْئَة:

أ – اللاميّة[2]:

قال الحطيئة في منافرة عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعامر بن الطُّفَيل، منتصرا لعلقمة:

أَلا آلُ لَيْلَى أَزْمَعُوا بِقِفُولِ ... وَمَا آذَنُوا ذَا حَاجَةٍ بِرَحِيلِ
تَنَادَوا فَحَثُّوا لِلتَّرَحُّلِ عِيرَهُمْ ... فَبَانُوا بِبَيْضَاءِ الخُدُودِ قَتُولِ
مُبَتَّلَةٍ يَشْفِي السَّقِيمَ كَلامُهَا ... لَهَا جِيدُ أَدْمَاءِ العَشِيِّ خَذُولِ
وَتَبْسِمُ عَنْ عَذْبٍ مُجَاجٍ كَأَنَّهُ ... نُطَافَةُ مُزْنٍ صُفِّقَتْ بِشَمُولِ

(١) ديوان الأعشى: ٤٠٥.
(٢) ديوان الحطيئة: ٥ – ٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فَعَدِّ طِلابَ الحَيِّ عَنْهَا بِجَسْـــرَةٍ ... تَخَيَّـــلُ في جَدْلِ الزِّمَـــامِ ذَمُولِ
عُذَافِرَةٍ حَرْفٍ كَأَنَّ قُتُـــودَهَـــا ... عَلَى هِقْلَةٍ بالشَّيْطَيْنِ جَفُـــولِ
فَلَوْ سَلِمَتْ نَفْسِي لِعَمْرِو بنِ عَامِرٍ ... لَقَدْ طَالَ رَكْبٌ نَازِلٌ بِأَمِـــيلِ
لَعَمْرِي لَقَدْ جَارَيْتُمُ آلَ مَالِـــكٍ ... إِلى مَاجِدٍ ذِي جَمَّةٍ وَفُضُـــولِ
إِذَا قَايَسُوهُ المَجْدَ أَرْبَى عَلَيْهِـــمُ ... بِمُسْتَفْرِغٍ مَاءَ الذِّنَابِ سَجِـــيلِ
وَإِنْ يَرْتَقُوا في خُطَّةٍ يَرْقَ فَوْقَهَـــا ... بِـــثَبْتٍ عَلَى الضَّاحِي المَـــزِلِّ رَحِيلِ
فَصُدُّوا صُدُودَ الوَانِ أَبْقَى لِعِرْضِكُمْ ... بَنِي مَالِكٍ إِذْ سُدَّ كُلُّ سَبِيـــلِ
وَمَا جَعَـــلَ الصُّعْرَ اللِّثَامَ خُدُودُهَا ... كَآدَمَ قَلْبٍ مِنْ بَنَاتِ جَدِيـــلِ
فَتًى لا يُضَامُ الدَّهْرَ مَا عَاشَ جَارُهُ ... وَلَيْسَ لإِذْمَانِ القِرَى بِمَـــلُـــولِ
هُوَ الوَاهِبُ الكُومَ الصَّفَايَا لِجَـــارِهِ ... وَكُلِّ عَتِيـــقِ الحُرَّتَيْنِ أَسِيـــلِ
وَأَشْجَعُ في الهَيْجَـــاءِ مِنْ لَيْثِ غَابَةٍ ... إِذَا مُسْتَبَاةً لَمْ تَثِـــقْ بِحَلِيـــلِ
وَ خَيْلٍ تَعَـــادَى بِالكُمَاةِ كَأَنَّهَـــا ... وُعُـــولُ كِهَافٍ أَعْرَضَتْ لِوُعُولِ
مُثَابِرَةٍ رَهْواً وَزَعْـــتَ رَعِيلَهَـــا ... بِأَبْيَضَ مَاضِي الشَّفْرَتَيْنِ صَقِيـــلِ
أَخُو ثِقَـــةٍ ضَخْمُ الدَّسِيعَـــةِ مَاجِدٌ ... كَرِيمُ الثَّنَـــا مَوْلاهُ غَيْرُ ذَلِيلِ
إِنَا النَّاسُ مَدُّوا لِلفِعَالِ أَكُفَّـــهُمْ ... بَذَخْتَ بِعَادِيِّ السَّرَاةِ طَوِيـــلِ
وَجُرْثُومَةٍ لا يَقْرَبُ السَّيْلُ أَصْلَهَـــا ... فَقَدْ صَدَّ عَنْهَا المَاءُ كُلَّ مَسِيـــلِ
بَنَى الأَحْوَصَانِ مَجْدَهَـــا ثُمَّ أُسْلِمَتْ ... إِلى خَيْرِ مُرْدٍ سَادَةٍ وَكُهُـــولِ
فَإِن عُدَّ مَجْدٌ فَاضِلٌ عَدَّ مِثْلَـــهُ ... وَإِنْ أَثَـــلُوا لاقَـــاهُـــمُ بِأَثِيلِ
وَرِثْتَ تُرَاثَ الأَحْوَصَيْنِ فَلَمْ يَضِـــعْ ... إِلى ابْنَيْ طُفَيْلٍ مَالِكٍ وَعَقِيـــلِ
فَمَا يَنْظُـــرُ الحُـــكَّامُ بـــالفَضْلِ بَعْدَمَا ... بَدَا وَاضِحٌ ذُو غُـــرَّةٍ وَحُجُـــولِ

ب – الميمية[1]:

وقال في منافرة علقمة بن عُلاثة وعامر بن الطفيل، وهو يفضل علقمة عليه:

يَا عَامِ قَدْ كُـــنْـــتَ ذَا بَاعٍ وَمَكْرُمَةٍ ... لَوْ أَنَّ مَسْعَاةَ مَنْ جَارَيْتَهُ أَمَـــمُ
جَارَيْتَ قَرْماً أَجَادَ الأَحْوَصَانِ بِهِ ... جَـــزْلَ المَوَاهِبِ، فِي عَـــرْنِينِهِ شَمَمُ
لا يَصْعُبُ الأَمْرُ إِلاَّ رِيْثَ يَرْكَبُهُ ... وَ لا يَبِيتُ عَلَى مَالٍ لَهُ قَسَـــمُ
مِصْبَاحُ سَارِي ظَلامٍ يُسْتَضَاءُ بِـــهِ ... فِي إِبِّـــرٍ مَوسُوقَةٍ تُهْدَى بِهَا النَّعَمُ

(١) ديوان الحطيئة: ١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَمِثْـــلُهُ فِي كِلابٍ فِي أُرُومَتِـــهِ ... يُعْطَى المَقَالِيدَ أَوْ يُلْقَـــى لَهُ السَّلَمُ
هَابَتْ بَنُو مَالِكٍ مَجْداً وَمَكْرُمَـــةً ... وَغَايَةً كَانَ فِيهَا المَوْتُ لَوْ قَدِمُـــوا
وَمَا أَسَاءَ فِرَاراً مِنْ مُجَلَّحَـــةٍ ... لا كَاهِنٌ يَمْتَرِي فِيهَا وَلا حَكَـــمُ

ج – الرائيّة[1]:

وقال في منافرة عُيَيْنَة بن حِصْن الفَزَارِيّ وزَبَّان بن سَيَّار الفَزَارِيّ:

أَبَى لَكَ آبَاءٌ، أَبَى لَكَ مَجْدُهُـــــــمْ ... سِوَى المَجْدِ، فَانْظُرْ صَاغِراً مَنْ تُـــنَافِرُهْ
قُبُورٌ، أَصَابَتْهَا السُّيُوفُ ثَلاثَـــــــةٌ ... نُجُومٌ هَوَتْ فِي كُلِّ نَجْـــمٍ مَـــرَائِرُهْ
فَقَبْـــــــرٌ بِأَجْـــبَـــالٍ وَقَبْرٌ بِحَاجِرٍ ... وَقَبْرُ القَلِيبِ لَسْعَرَ الحَرْبَ سَـــاعِرُهْ
وَشَـــرُّ المَنَايَا هَالِكٌ وَسْطَ أَهْلِـــــهِ ... كَهُلْكِ الفَتَاةِ أَيْقَـــظَ الحَيَّ حَاضِـــرُهْ

٣ – لبيد بن ربيعة:

قال في منافرة عامر بن الطُّفَيْل وعَلْقَمَة بن عُلاثَة[2]:

وَلَمَّا دَعَانِي عَـــامِرٌ لِـــأَسُبَّهُمْ
أَبِيتُ وَإِنْ كَانَ ابْنُ عَيْسَاءَ ظَالِما
لِكَيْمَا يَكُونَ السَّنْدَرِيُّ نَدِيدَتِي
وَأَجْعَلُ أَقْوَامًا عُمُـــومًا عَمَاعِما
وَأَنْـــبُـــشَ مِنْ تَحْتِ القُبورِ أُبُوَّةً
كِرَامًا هُمُ شَدُّوا عَلَيَّ التَّمَائِمَا
لَعِبْتُ عَلَى أَكْتَافِهِمْ وَحُجُورِهِمْ
وَلِيدًا وَسَمَّوْنِي مُفِيدًا وَعَاصِمَا
بَلَى:أَيُّنَا مَا كَانَ شَرًّا لِمَالِكٍ
فَلا زَالَ فِي الدُّنْيَا مَلُومًا وَلائِمَا

(١) ديوان الحطيئة: ٤٥.

(٢) ديوان لبيد بن ربيعة: ٢٨٦ – ٢٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال أيضا[١]:

إِنِّي امْـرُؤٌ مِنْ مَالِكِ بن جَعْفَـــــر
عَلْقَـــــمَ قَدْ نَافَرْتَ غَيْرَ مُنَفـــر
نَافَـرْتَ سَقْبًا مِنْ سِقَابِ العِـرْعَـرَ

وقال أيضا[٢]:

يَا هَـــــــرِمًا وَأَنْتَ أَهْلُ عَدْلِ
أَنْ وَرَدَ الأَحْـــــوَصُ مَاءً قَبْلِي
لَيَـــــــذْهَبَنَّ أَهْلُهُ بِأَهْلِي
لا تَجْمَعَنَّ شَكْلَهُـــــمْ وَشَكْلِي
وَ نَسْـــــــلَ آبَائِهِمُ وَنَسْلِي
لَقَدْ نَهَيْتُ عَـــــنْ سَفَاهِ الجَهْلِ
حَتَّى انْتَـــــزَى أَرْبَعَةٌ فِي حَبْلِي
فَاليَوْمَ لا مَقْعَـــــدَ بَعْدَ الوَصْلِ
فَارَقْتُهُمْ بِذِي ضُـــــرُوعٍ حُفْلِ
مَوَائِمِ الحَزْنِ قَرِيـــــعِ السَّهْلِ
بِصَائِبِ الصَّدْرِ سَدِيـــــدِ الرِّجْلِ
يَمُدُّ بِالذِّرَاعِ يَـــــوْمَ المَعْـــلِ
سَتَعْلَمُـــــونَ مَنْ خِيَارُ الطَّبْلِ

٤ – حاتم الطائي:

قال في المنافرة التي كادت أن تحدث بينه وبين سَعْد بن لَأْم[٣]:

أَبْلِـــــــغْ بني لَأْمٍ بِأَنَّ خُيولَهُـــمْ
عَقْرى وَإِنَّ مِجادَهُـــــــمْ لَمْ يُمْجَدِ

(١) ديوان لبيد بن ربيعة: ٣٣٤.
(٢) ديوان لبيد بن ربيعة: ٣٤٣ – ٣٤٤.
(٣) ديوان حاتم الطائي: ٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هاأنَّـــــــــــما مُطِرَت سَماؤكُمُ دمًا
وَرَفَعْـــتَ رَأْسَكَ مِثْلَ رَأْسِ الأَصْيَدِ
لِيَكـــــونَ جِيرَانِي أُكَالًا بَيْنَكُـــــمْ
بُخْـــــلا لِكِنْـــدِيٍّ، وَسَبْيِ مُزْنِدِ
وَابْنُ النُّجـــــــودِ وَإِنْ غَدا مُتَلاطِمًا
وابنُ العَـــــــــذوّرِ ذِي العِجانِ الأَزْبَدِ
أَبْلِغ بَنِي ثُعْلٍ بِأَنِّي لَمْ أَكُـــــــــنْ،
أَبَدًا، لِأَفْعَلَهَا، طَـــــــــوالَ المُسْنَدِ
لا جِئتُـــــــهُمْ فَلًّا، وَأُتْرُكَ صُحْبَتِي
نَهْبًا، وَلَـــــــمْ تَغْدُرْ بِقائِمِهِ يَدِي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثا: خطب المنافرات

١- خطبة عبد المطلب بن هاشم في منافرة قريش وخُزَاعَة[١]:

يقول: " أيها الناس: نحن آل إبراهيم، وذُرية إسماعيل، وبنو النَّضْر بن كِنَانة، وبنو قُصيّ بن كِلاب، وأرباب مكة وسكان الحرم، لنا ذروة الحسب والنسب، ومعدن المجد، ولكل في كلّ حلف يجب عليه نصرته، وإجابة دعوته، إلا ما دعا إلى عقوق عشيرة، وقطع رحم. يا بني قصي: أنتم كغصني شجرة، أيهما كسر أوحش صاحبه، والسيف لا يُصان إلا في غِمْده، ورامي العَشيرة يصيبه سهمه، ومن أمحكه اللّجَاج أخرجه إلى البغي. أيها الناس: الحلم شرف، والصبر ظَفَر، والمعروف كنز، والجود سؤدد، والجهل سفه، والأيام دُوَل، والدهر غِيَر، والمرء منسوب إلى فعله، ومأخوذ بعمله، فاصطنعوا المعروف تكسبوا المجد، ودعوا الفضول تجانبكم السفهاء، واكرموا الجليس، يعمر ناديكم، وحابوا الخَليط يرغب في جواركم، وأنصفوا من أنفسكم يوثق بكم. وعليكم بمكارم الأخلاق، فإنها رفعة لكم، وإياكم والأخلاق الدنية، فإنها تضع الشرف، وتهدم المجد، وأن نَهْنَهَة الجاهل أهون من حَزِيرته، ورأس العشيرة يحمل أثقالها، ومقام الحليم عظة لمن انتفع به ".

٢- خطبة مَرْثَد الخَيْر في منافرة سُبَيْع بن الحَرْث ومَيْثَم بن مُثَوِّب[٢]:

فقال: "إن التَّخَبُّط وامْتِطاء الهَجَاج، واسْتِحْقَاب اللّجَاج، سَيَقِفُكُما على شَفا هُـوَّة في تَوَرُّدِها بَوار الأصيلَة، وانقطاع الوسيلة، فَتَلافيا أمركما، قَبْل انْتِكاث العَهْد، وانْحلال العَقْد، وتَشَتُّت الأُلفة، وتَبَاين السُّهْمة، وأنتما في فُسْحة رافـهـة، وقدم واطِدة، والمَوَدَّةُ مُثْرِية، والبُقْيَا مُعْرِضة، فقد عَرَفتم أنباءَ من كان قَبْلكم من العَرب، ممن عَصَى النَّصيح، وخالف الرَّشيد، وأصْغَى إلى التقاطع، ورأيتم ما آلت إليه عواقب سوء سعيهم، وكيف كان صَيُّور أمورهم، فـتـلافوا القَرْحة، قبـل تفاقم الشَّـأي، واسْتِفحال الداء، وإعْواز الدَّواء، فإنه إذا سُفِكت الدماء، واستحكمت الشحناء، وإذا اسْتَحكمت الشحناء، تقبضت عُرَى الإبقاء، وشَمِل البلاء ، فقال سُبَيْع: أيها الملك، إن عداوة بني العَلّات لا تبرئها الأُساة، ولا تشفيها الرُّقاة، ولا تستقل بها الكُفاة، والحسد الكامن، هو الداء الباطن، وقد عَلِم بَنُو أبينا هؤلاء أنّا لهم رِدْءٌ إذا رَهِبوا، وغَيْثٌ إذا أجْدَبوا، وَعَضُدٌ إذا حاربوا، ومَفْزَعٌ إذا نُكِبوا، وإنا وإياهم كما قال الأوّل:

---

(١) الماوردي – أعلام النبوة: ١٥٩ – ١٦٠

(٢) القالي – الأمالي، ١: ٩٢ – ٩٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذا مَا عَلَوا قالوا أَبُونا وأُمُّنا

وليس لهـــم عالِين أُمٌّ ولا أبُ

فقال مَيثم:أيها الملك، إن من نَفِسَ على ابنِ أبيه الزَّعامة، وحَدَبَه في المَقَامة، واستكثر له قليل الكرامة، كان قَرِفاً باللامة، ومُؤَنِّباً على ترك الاستقامة، وإنا والله ما نَعْتَدُّ لهم بيد إلا وقد نالهم منّا كفاؤها، ولا نذكر لهم حسنةً إلا وقد تَطَلَّع منّا إليهم جزاؤها، ولا يَتَفَيَّأ لهم علينا ظلُّ نعمة، إلا وقد قوبلوا بشَرْواها، ونحن بَنُو فَحْلٍ مُقْرِم، لم تَقْعُد بنا الأمَّهات ولا بهم، ولم تَنْزِعْنا أعراقُ السُّوءِ ولا إياهم فعلام مطَّ الخدود وخَزَر العُيون، والجَخيفُ والتَّصَعُّر والبَأْو والتكبر؟ أَلِكَثرة عدد أم لفَضْل جَلَد، أم لطول مُعْتَقَد؟ وإنَّا وإياهم لكما قال الأوَّل:

لاهِ ابنُ عَمِّك لا أَفْضَلْتَ في حَسَبٍ

عَنِي ولا أنـــــــتَ دَيَّـاني فَتَخْزُوني

ومَقَاطع الأمور ثلاثة:حَرْبٌ مُبيرةٌ، أو سِلْم قَرِيرةٌ، أو مُدَاجاة غَفِيرة، فقال الملك: لا تنشطوا عُقُلَ الشوارد، ولا تلْقحوا العُونَ القواعد، ولا تُورِّثوا نيران الأحقاد، ففيها المَتْلَفة المُسْتَأْصِلَة، والجَائِح والأَلِيلَة، وعَفُّوا بالحِلْم أبْلادَ الكَلِم، وأَنيبوا إلى السبيل الأرشد، والمنهج الأقْصد، فإن الحرب تقبل بِزِبْرِج الغرور، وتدبر بالويل والثبور، ثم قال الملك:

ألا هَلْ أَتَى الأَقْوَامَ بَذْلِي نَصيحَةً

حَبَوْتُ بِهَا مِنِّي سُبَيْعًا وَمَيْثَمَا

وَقُلْتُ اعْلَمَا أَنَّ التَّـدَابُرَ غَادَرَتْ

عَـوَاقِبُهُ للذُلِّ وَالقُلِّ جُرْهُمَا

فَلا تَقْدَحَا زَنْدَ العُقُـوقِ وَأَبْقِيَا

عَلَى العِزَّةِ القَعْسَاءَ أَنْ تَتَهَدَّمَا

وَ لا تَجْنِيَا حَـرْباً تَجُرُّ عليكما

عَواقُبها يَوْماً من الشَّرِّ أَشأما

فإن جُنَاة الحَـرْبِ للحَيْنِ عُرْضةٌ

تُفَوِّقُهم منها الذُّعَاف المُقَشَّما

حـــــذَارِ فلا تَسْتَنبِئُوها فإنما

تُغادِرُ ذا الأنف الأَشَمّ مُكَشَّما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقالا: لا أيها الملك، بل نقبل نصحك، ونطيع أمرك، ونطفئ النائر، ونحلّ الضغائن، ونثوب إلى السَّلْم".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Abstract

Al-Munafarat in Pre- Islamic Literature

By
Fatma H. Al Mazroui

Supervisor
D.r. Hamdi Mansor

This study investigates Al-Munafarat in Pre Islamic Literatur. Al-Munafarat ameans or procedure to put an end betweem opponents who refer to judges to judge between them: who belongs to the best anscestors and generation or tribe. Poets have an active role in the process of Al-Munafarat through their prose and poetry trying to keep opponents in addition to the orders of judges who judge by rhyming words.

The study consists an introduction and three sections. The introduction introduces Al-Munafara and its meaning in language and expression and it's development in both the Islamic and the Umayyad eras. The researcher differenciates between Al-Munafara, Al-Mufakhara, Al-Munaqara, Al-Mubahala and Al-Mu'aqara.

The first section deals with the economic and sociatal aspects of Al-Munafara. Consedering them as causes that furnished the ground for such style. Then procedes to the elements of Al-Munafara such as: The opponents , judge, Al-Nufourah, bet, place and time.

The second section discusses the different types of Al-Munafarat according to the opponents such as: tribal – personal Munafara, personal – Munafara that becomes tribal whith focus

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

on the fields of Al-Munafara. Some of the important fields are: hounord anscestory, best qualities as courage and generousity. Then the researcher investigates some news, companing them with Al-Munafarat taking into consideration the differences and the similarities, focussing on the differences that exclude Al-Munafarat from their news.

The third section, discusses the traces of Al-Munafarat in literature. The section is diveded in to two parts. The first is poetry which focuses on Al-Munafarat in poetry. The second discusses Al-Munafarat that appear in the form of prose an speeches and rhymes. The study analysis the content, language, music, images with focus on the language of Al-Munafarat and their styles. Finally the study is attached with an index af Al-Munafarat and their texts inaddition to the results of the study.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit